منبر الإسلام

صوت الإسلام الوسطى

السنة (٧٥) العدد(٦) جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ
مارس ٢٠١٦م - الثمن ٢٠٠ قرش

الدماء التى لا تجف

أ.د. محمد مختار جمعة (وزير الأوقاف)

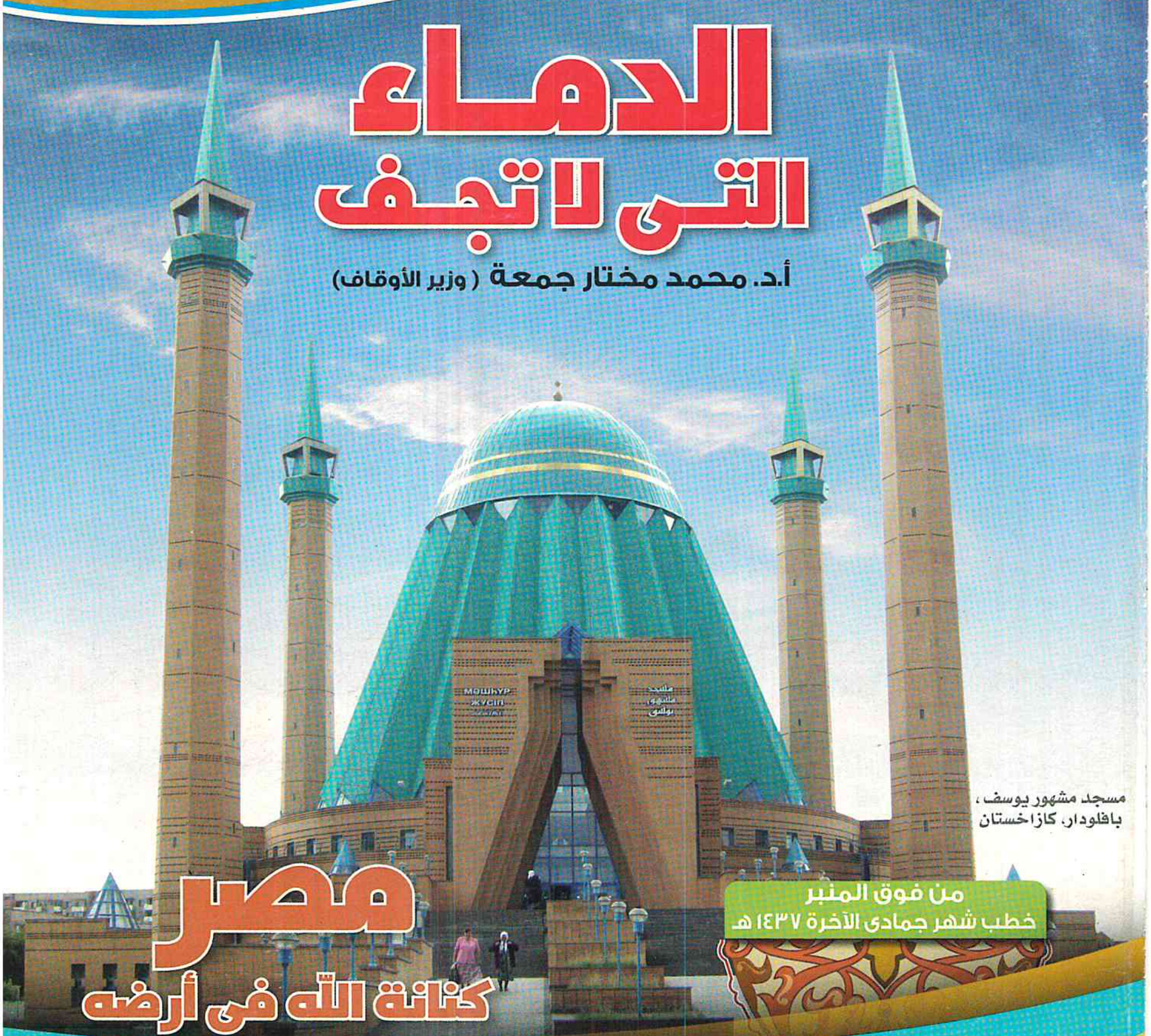

مسجد مشهور يوسف، بافلودار، كازاخستان

مصر كنانة الله فى أرضه

من فوق المنبر
خطب شهر جمادى الآخرة ١٤٣٧ هـ

ملف العدد

الثأر الطريق إلى الهاوية

شرع الإسلام القصاص ردعًا لمن تسول له نفسه الإقدام على الدم الحرام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما

رواه البخاري

وعن عَبْد اللَّه بْن عُمَرَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: «مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ، مَالِهِ وَدَمِهِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلاَّ خَيْرًا» (سنن ابن ماجه)، ويقول ﷺ: «لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِغَيْرِ حَقٍّ» (رواه ابن ماجه)، وعَنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أن النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» (رواهُ البخارى).

وقد نهى الإسلام عن قتل النفس عمداً، أو خطأ، أو تسرعًا، فقال الحق سبحانه فى كتابه العزيز: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء : ٩٢).

أما القتل العمد فقد رتب عليه الإسلام ما رتب من الوعيد الشديد، فقال الحق سبحانه: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء : ٩٣).

كما نهى الإسلام عن التسرع فى القتل أو الإسراع إليه أو الخفة فيه، وضرورة التثبت حتى فى الحرب، فقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء : ٩٤)، ولما قتل أسامة بن زيد أحد المشركين فى ساحة القتال بعد أن قال الرجل: لا إله إلا الله، قال له النبى ﷺ: «كيف لك بلا إله إلا الله يا أسامة؟

فقال أسامة بن زيد: يا رسول الله قالها والسيف على عنقه، فقال له النبى ﷺ: **هلا شققت عن قلبه يا أسامة».**

وحتى ولىّ الدم نُهى عن الإسراف فى القتل، فقال الحق سبحانه: **﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِفْ فِى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾** (الإسراء: ٣٣)، ويقول سبحانه: **﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾** (النحل: ١٢٦).

وردعًا لمن تسول له نفسه الإقدام على الدم الحرام شرع الإسلام القصاص، فقال سبحانه: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِى الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (البقرة: ١٧٨)، وجعل النفس بالنفس، والعين بالعين، والسن بالسن، فقال سبحانه: **﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** (المائدة: ٤٥).

فلا الدين، ولا الإنسانية، ولا الأخلاق، ولا القيم، ولا الأعراف، ولا المواثيق الدولية، ولا القوانين سماوية كانت أم وضعية أم عرفية، تبيح قتل النفس، أو إزهاقها، أو الاعتداء عليها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما

رواه البخاري

غير أننا أمام ظواهر شاذة تستحق وقفة متأنية ودراسات علمية ونفسية وأيدلوجية لهذه الوحشية التى أصابت بعض المنتمين إلى بنى الإنسان تجاه الإنسان نفسه، فلم تعد له هذه الحرمة التى عرفها الطير قبل الإنسان على نحو ما قص علينا القرآن الكريم من شأن الغراب مع أخيه الغراب ليعطى درسًا إنسانيًا لبنى البشر جميعًا، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة المائدة فى قصة ابنى آدم: **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَىْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ • لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ • إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ • فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ • فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِى سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِىَ سَوْأَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾** (المائدة: ٢٧:٣١).

إذن فما الذى أصاب الإنسانية من هذه الجرأة السافرة على الدماء، والإقدام على القتل، بل الذبح، والحرق، والتمثيل والتنكيل البشرى؟! إنه لخطر كبير على مسيرة الإنسانية وأخلاقها ما لم يسرع الحكماء والعقلاء لكبح جماح هذا الانفلات المقيت.

سماحة الإسلام الوارفة

شعر / عبد الغنى أحمد ناجى

كالظل ممتد أعلى وهج الحرور
كالغيث يثلج ما تأجج فى الصدور
كالشمس تشرق بعد طول غيابها
أو كالنسيم معطراً بشذى الزهور
كانت رسالة أحمد للعالمين
على مدى شتى العصور
هى رحمة وهداية منداحة
وبها العلاج لكل آفات الدهور
كالواحة الخضراء فى جوف اللظى
تهب الأمان لمدلج يخشى المسير
هذا هو الإسلام جاء متمما
بنيان رسل الله فى نسق كبير
كى ينشر الأخلاق فى دنيا الورى
حتى يصير الطبع كالماء النمير
العدل ديدنه وحب منهج
والحق مرعى فيصحبه السرور
فأولو الكتاب يرون عدلا باهرا
فيه السماحة مالها أبداً نظير
نطق الجميع بعدل أفضل أمة
ترعى حقوق الناس حتى الأسير
تاريخ عالمنا مشيد دائما
بسماحة الإسلام فى دنيا تمور

فلم الهجوم بعصرنا يأيها ال
عقلاء - بالأقوال والرسم المثير؟!
ولم التنكر للسماحة كالنها
ر أو الندى .. ولم الشرور؟!
إسلامنا أنواره شعت على
دنيا الورى كالصبح يعشقه الطيور
من قال إن السيف كان أداته
لتغلغل فى القلب دفاق الشعور
هى قالة مسمومة فاهت بها
أفواه قوم مالهم فكر نضير
فليقرءوا التاريخ فى وعى الألى
قد أنصفوا الحق المبين بلا غرور
نور الحقيقة ماثل لكنهم
طمسوا العقول فلا تعى الحق المنير
لكن نور الحق يأبى دائما
إلا البزوغ على هدى .. إلا الظهور
قد جمعت تلك الإساءة أمة
كل لدين الله يغضب أو يثور
بالصبر أوصى ربنا دون اعتدا
ء ذلكم ياقومنا - عزم الأمور
والجاهلون المفترون مآلهم
إن لم يتوبوا فى أسى - نار السعير

الثأر

الطريق إلى الهاوية

لا يختلف اثنان أن ظاهرة الثأر واحدة من الظواهر الاجتماعية السلبية المنتشرة فى بعض المجتمعات، حيث تنذر هذه الظاهرة بخطر يهدد حياة المجتمع، لتزايد حوادث الثأر وارتفاع عدد ضحاياه سواء من ذوى العلاقة بالثأر أم من الأبرياء الذين يلقون حتفهم من الشباب والشيوخ والنساء والأطفال بسبب حوادثه التى يأبى مرتكبوها إلا أن تكون الأسواق العامة فى المدن الرئيسية مسرحا لجرائمهم البشعة التى تروع المجتمع.

هذه الآفة الاجتماعية الخطيرة المسماة بالثأر تلحق أشد الضرر بحياة الفرد والأسرة والمجتمع لما يتولد عنها من آثار ومآس وآلام تؤثر وتهدد السلم الاجتماعى والأمن والاستقرار والسكينة العامة للناس. إن هذه المشكلة أصبحت من أسوأ المشكلات التى يعانى منها الوطن والمواطن على حد سواء لانتشارها بين أوساط المجتمع بشكل مخيف يودى بحياة الرجال الذين يخلفون وراءهم اليتامى والأرامل. فالثأر من موروثات الماضى البغيض التى يجب وضع المعالجات الجادة للحد من تأثيراتها والقضاء عليها تدريجيا؛ ليعيش الناس فى أمن وسلام وسعادة ووئام.

ولهذه الظاهرة أسبابها ومضاعفاتها التى ينتج عنها تعطيل وتخريب للمشاريع الأهلية والخدمية والتنموية التى يتوقف صداها وآلية العمل فيها بهذه العادة المقيتة.

وإيمانًا منا بخطورة هذه الظاهرة على المجتمع بكل طوائفه رأينا أن نفرد لها هذا التحقيق الذى استطلعنا فيه آراء العلماء والمفكرين من علماء الدين والاجتماع والقانون ورجال الشرطة والإعلاميين حول هذه القضية من أجل المساهمة فى تشخيصها ووضع الحلول للحد منها والقضاء عليها.

ملف من إعداد:
د. حسن أحمد خليل - محمد كامل شاهين
شيماء نزيه - أمل عدلى - حسام فاروق - سعيد جابر

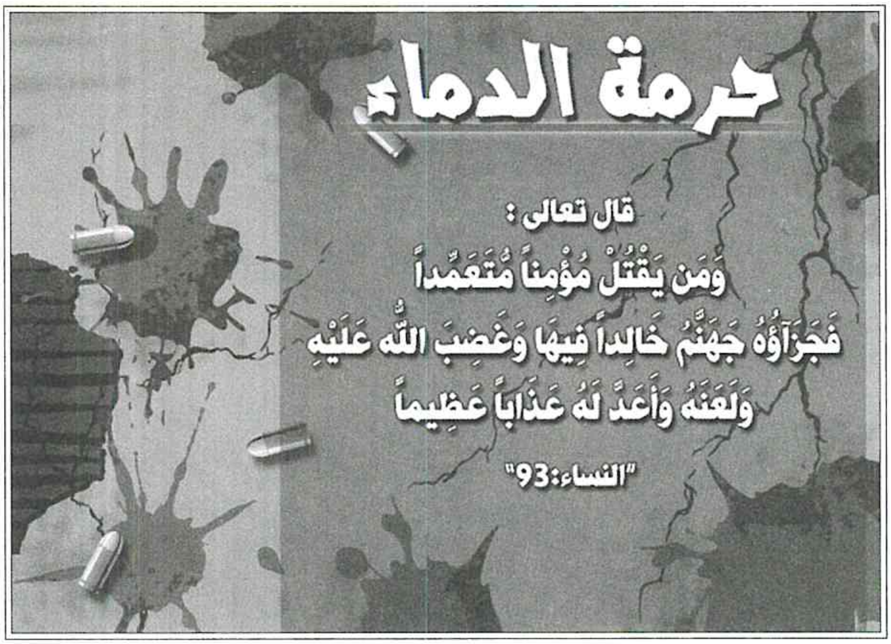

عادة الثأر

وعن رأى الدين فى عادة الثأر وتداعياتها على أمن المجتمع وسلامته يؤكد أ. د نبيل غنايم - الأستاذ بكلية دار العلوم جامعة القاهرة -: أن النفس الإنسانية مصونة بحفظ الله تعالى لها منذ خلقها حيث أمر بحفظها، وحرم العدوان عليها بأى شكل من الأشكال، وخاصة القتل حتى لو كانت هى نفس القاتل «الانتحار» ويشمل ذلك النفس الإنسانية والحيوانية والنباتية، ولتأكيد ذلك عمومه على جميع الأنفس وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (سورة الأنعام آية ١٥١) وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (سورة النساء آية ٢٩) وقال أيضا: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (سورة البقرة آية ١٩٥) فكلمة النفس هنا تشمل جميع الكائنات، وأوجب الله سبحانه وتعالى على من يعتدى على أى نفس القصاص من نفسه - إن كان الاعتداء بالقتل - أو من ممتلكاته - إن كان الاعتداء بإتلاف شىء ليس ملكه - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ (سورة البقرة آية ١٧٨) وفى نهاية الآية ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقال فى الآية التى تليها: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة آية ١٧٩).

وقال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ إلا بإحدى ثلاث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة**» وجعل الله سبحانه وتعالى القصاص وإقامة الحدود الشرعية بيد ولى الأمر أو من ينيبه؛ لأنه المكلف شرعا من قبل الله عز وجل بذلك، وكان هذا الحق لولى الأمر حتى لا تشيع الفوضى وتسفك الدماء، ويقتل الناس بعضهم بعضا ويفرطون فى القتل فيقتلون بدلا من الواحد اثنين وربما عشرة أو أكثر وفى هذا عدوان على الأبرياء، وقد لا يكون القاتل من بين هؤلاء المقتولين الأبرياء.

د. محمد نبيل غنايم:

الثأر عادة جاهلية وعدوان على حدود الله واعتداء على الآمنين

د. مختار مرزوق:

لو عرف القاتل أنه سيقتص منه فسوف يفكر ألف مرة قبل اقترافه لجريمة قتل النفس

إنما المؤمنون إخوة

فأصلحوا بين أخويكم

الشيخ: سلامة عبدالرازق:

تولى وزارة الأوقاف ظاهرة الثأر اهتماماً كبيراً وتقوم بتبصير الناس بخطورتها على المجتمع

د. عبدالباسط عز الدين:

الدين من أقوى الوسائل التى يعوّل عليها فى إيقاظ الأمة وتنبيه روحها

ويضيف أ. د. نبيل غنايم أن الثأر عادة جاهلية وعدوان على حدود الله واعتداء على الآمنين ولو استمر الناس على الأخذ بالثأر لانقلب المجتمع إلى غابة لا إلى واحة من الأمن والأمان تليق بالآدميين، لذا حرم الإسلام عادة الثأر وأبطلها وأمر بالقصاص عن طريق أولى الأمر حتى يتحقق الأمن والأمان فى المجتمع، بل إن الإسلام شرع لأهل المقتول أبواباً أخرى غير القصاص، فأخذ الدية أو العفو عن القاتل دون قصاص ولا دية، وتوعد من يعتدى بعد الاتفاق بالعذاب الأليم، ووعد العافين بالأجر العظيم.

قال تعالى: ﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ● وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت آية ٣٤، ٣٥).

ولما كان اعتقاد الآخذين بالثأر الحمية والعصبية حتى لا يقال عنهم إنهم ضعفاء قوّى الله سبحانه وتعالى من شأنهم وحذرهم من مغبة ثأرهم وجعل ذلك من صنع الشيطان.

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة الأعراف آية ٢٠٠).

فعلى جميع المسلمين وغيرهم أن يقلعوا عن هذه العادة البغيضة والعصبية الجاهلية وترك الأمر إلى الحاكم عملا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وفى هذا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (سورة النساء آية ٥٩).

أعظم الجرائم

ويذهب أ. د. مختار مرزوق عبدالرحيم ـ عميد كلية أصول الدين بأسيوط ـ إلى أن القرآن الكريم حث على أن يتجنب المسلم قتل أى إنسان، فبين أن قتل النفس يعد من أعظم الجرائم بعد الشرك بالله.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دما يقول: يا رب هذا قتلني حتى يدنيه من العرش

رواه الترمذي

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء آية ٩٣) وهذه الأمور المترتبة على قتل النفس لم يرد التشديد فى أى جريمة كانت مثلما ورد فى جريمة القتل لدرجة أن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال: «لا أرى لقاتل النفس توبة» ورأى ابن عباس خالفه فيه جمهور الصحابة الذين يرون أن من تاب من أى ذنب تاب الله عليه إلا أن كلام عبدالله بن عباس يدل على مدى الجرم العظيم الذى يرتكبه من يقتل إنسانًا بغير حق.

ويشير د. مختار مرزوق إلى أنه من المعلوم فقهيّا أن القصاص يتم بيد الحاكم والمراد به فى العصر الحديث السلطة القضائية المختصة، وهذا أمر يدل على عظمة الإسلام حتى لا تصير الأمور فوضى ولو سمح أن يقتص كل واحد من الآخر بنفسه لعمت الفوضى وانتشرت الفتن بين الناس، ويمكن أن يقتل الإنسان بالشبهة أو بسوء الظن.

تطبيق القصاص

ويضيف د. مختار مرزوق أن السبيل للخروج من أزمة الثأر فى الصعيد يكون بتطبيق القصاص العادل وهو ما طالبت به كثيرًا على صفحات الجرائد ومواقع التواصل الاجتماعى، فتطبيق القصاص العادل هو الذى يعصم أهل الصعيد من هذه العادة السيئة .. ففى الصعيد بمجرد أن يقتل رجل يقوم أهل القتيل في الحال بقتل رجل من العائلة الأخرى بصرف النظر عن كونه القاتل من عدمه، ويأتى المقتول يوم القيامة حاملا رأسه على يديه، ويقول: «يارب سل عبدك هذا فيم قتلنى» كما صح الحديث عن الرسول ﷺ.

وكثير ممن يقتلون فى صعيد مصر ويعرفون أن القصاص أو الأخذ بالثأر لن يكون منهم ذاتيا، وإنما فى العادة يتم أخذ الثأر من أفضل الرجال فى العائلة القاتلة ولو عرف القاتل أنه سيقتص منه ذاته فسوف يفكر ألف مرة قبل اقترافه لجريمة قتل النفس.

قيمة الإنسان

ويشير فضيلة الشيخ سلامة عبدالرازق - وكيل وزارة الأوقاف لشئون الدعوة - إلى أنه لا يخفى على كل ذى عقل ما سطره الإسلام من خلال كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهجه من بيانات إلهية تبين قيمة الإنسان بصرف النظر عن ديانته أو جنسه أو لونه أو ما إلى ذلك.

قال الله تعالى :

﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

سورة البقرة

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (سورة الإسراء آية ٧٠) ولم يقل بنى آدم المسلمين أو بنى آدم المؤمنين، واتفقت كل الأديان على حرمة الدماء وقتل النفس، وجاء الإسلام ليؤكد ذلك قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (سورة المائدة آية ٣٢).

جاء الإسلام وحث الناس على الإقلاع عن الموروثات المحرمة ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ويبين للبشرية ما يتفق ودين الله، وما يتعارض وفى سبيل ذلك أرسل الله الرسل مبشرين للمطيعين ومنذرين للعصاة المصرين على المعصية أو الجهالة، وفى سبيل ذلك قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (سورة إبراهيم آية ٤) ويضيف أنه لو ترك لكل إنسان الحق فى أخذ الثأر لعمت الفوضى واقتص كل بما يتفق وهواه .. لذا ترك القصاص لولى الأمر من خلال القضاء والقوانين التى تحكم سلوك الأفراد وتنظم معيشتهم.

ويوضح فضيلة الشيخ سلامة عبدالرازق أن سبيل الخروج من أزمة الثأر يكون بالتخلى عن العصبية، وتفريغ العقول من الأهواء والنزعات العرقية، ولن يتأتى ذلك إلا بفهم صحيح الدين.

وعن دور وزارة الأوقاف فى احتواء ظاهرة الثأر والقضاء عليها يؤكد أن الوزارة تولى موضوع الثأر اهتمامًا كبيرًا، حيث يعد هذا الموضوع من أهم الموضوعات التى تأخذها وزارة الأوقاف على عاتقها فتقوم بتبصير الناس بخطورة هذا الفعل من خلال الخطب والدروس والقوافل الدعوية، كما تعد برامج تدريبية لتدريب الأئمة على توعية أفراد المجتمع وتبصيرهم بصحيح الدين.

يؤكد **د. عبد الباسط عز الدين** ـ من علماء وزارة الأوقاف، ومفتش أول دعوة، وله دراسة علمية عن الثأر من منظور دعوى ـ أن الإسلام نظام شامل ودعوة صالحة لكل زمان ومكان، وإذا كانت المجتمعات الإسلامية تعانى من بعض الظواهر السلبية التى قد تضر المجتمع ومنها ظاهرة الثأر فإنه لا بد من عمل دراسة شاملة ترصد هذه الظاهرة وتضع لها حلولا مناسبة؛ لأن إراقة الدماء من أخطر الانتهاكات التى تواجه المجتمعات.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: آية ٩٣).

ويرى د. عبد الباسط أن أسباب انتشار ظاهرة الثأر يرجع إلى:

١ ـ الجهل فالجهلاء يغضبون لأتفه الأسباب ويحرضون على الأخذ بالثأر.

٢ ـ دعوى الحفاظ على كرامة الأسرة وهيبتها فصار الثأر فى الصعيد وعند البدو ردًا للكرامة الضائعة.

٣ ـ التمسك بالعصبية القبلية، فالعصبية من أهم أسباب الثأر وكل قبيلة تجتمع على الشر فالسيادة للظلم والطغيان والضعيف مأكول ومهان، والقوى ظالم ومهاب، ولم تكن القوة فى حد ذاتها كافية، بل كان لا بد من ممارستها حتى تملأ القلوب رهبة وتمنع كيد الطامعين وهذا حال شاعرهم حيث يقول:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم، ومن لا يظلم الناس يظلم

٤ – ومواجهة ظاهرة الثأر تكمن فى الوازع الدينى: ويقصد به محاربة الشر فى نفس الإنسان وحضه على الخير، حيث إن للدين أثره فى تحصين الكيان النفسى للإنسان؛ لأنه منطلق سليم للمثل العليا والفضائل والقيم الأخلاقية.

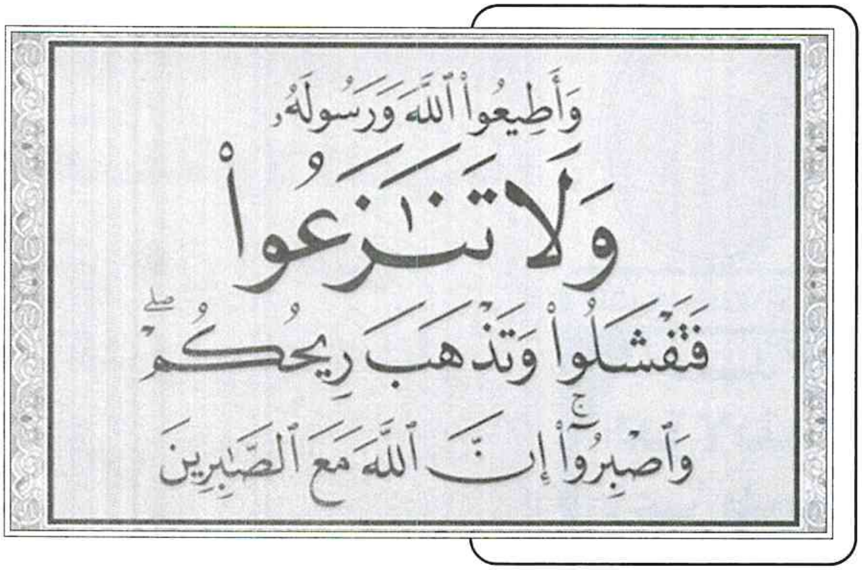

فالدين من أقوى الوسائل التى يعول عليها فى إيقاظ ضمير الأمة وتنبيه روحها بما فيه من نور وهداية وقواعد وأحكام، وبما له من تأثير على النفوس والعقول والأفئدة، وهو قادر على أن يواجه هذا النوع الاجتماعى وعلى هزيمته ولو ارتفع الدين فى نفوس هؤلاء لتآكلت وسقطت من تلقاء نفسها هذه المفاهيم المغلوطة التى تدفعهم إلى الثأر المجنون.

ومن أسباب ضعف الوازع الدينى:

١ - إقبال الإنسان على المعاصى فكلما أقبل الإنسان عليها أحب الدنيا والبقاء عليها ولم يبال بالآخرة، وكل إنسان يظهر منه سلوك سيئ يوصف بأنه ضعيف الإيمان، ومن تمام الإيمان أن يسلم الإنسان من أذى أخيه الإنسان.

٢ - ضعيف الإيمان يسهم بالفساد وانحراف المجتمع

فإن الإيمان القوى يحقق سكينة النفس وطمأنينة القلب قال تعالى: **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾** (الفتح: ٤) ومن الأمور الناجعة لحل مشكلة الثأر يرى د. عبد الباسط ضرورة الدعوة إلى الصلح قبل أن يتفاقم الأمر حقنًا للدماء، ويكون التدخل بعد القتل العمد أو الخطأ بناء على طلب الجانى وأهله والصلح على أى حال يشيع فى المجتمع الأمن والاستقرار، ويتمسك الناس بما تصالحوا عليه، والمعتدى بعد ذلك له عذاب أليم.

كما أن العفو عن قتل الخطأ بقبول الدية، وهذا العفو يحول الإنسان من الكره إلى الحب، وكفارة القتل عتق رقبة مؤمنة فمن لم يجدها أو يجد قيمتها كى يتصدق بها فعليه صيام شهرين متتابعين قال تعالى: **﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾** (النساء: ٩٢)

ويضيف أن المؤسسات الدعوية الرسمية والأهلية لها دور مهم فى التصدى لظاهرة الثأر وتتكاتف هذه المؤسسات ليكمل بعضها بعضا فى إيجاد حلول للمشكلات الاجتماعية فى المجتمعات عن طريق أمرين:

الأول: من خلال ما يلقيه أساتذة الأزهر الشريف من دروس ومحاضرات عن خطورة هذه العادة المنكرة على الأفراد والجماعات فهى تورث بينهم العصبية الجاهلية وهى عصبية ممقوتة فى الإسلام.

الثانى: من خلال ما يُبث فى النشء أثناء العملية التعليمية من حرمة الاقتراب من النفس البشرية وصونها من كل المهلكات انطلاقا من قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾** (الإسراء: ٣٣) فالله عز وجل فى هذه الآية الكريمة يبين حرمة الاعتداء على النفس بدون وجه حق، ويؤكد على هذا المعنى قوله ﷺ: **«كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»**، وقوله ﷺ: **«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»**.

كما أن الأزهر الشريف يبث فى النشء أن ظاهرة الثأر من العادات التى كانت منتشرة فى العصر الجاهلى بصورة بشعة، وأن الإسلام حارب هذه الظاهرة فى المجتمع الجاهلى من خلال التطبيق الفعلى لمبدأ العفو العام والصفح الشامل.

وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ
ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ
كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ

فصلت : 34

الشيخ: محمد زكى:

أخذ الحق لا يتم إلا عن طريق ولى الدم المتمثل فى الهيئات الرسمية للدولة

إصلاح ذات البين

وعن جهود الأزهر الشريف وعلماء الأوقاف فى التصدى لظاهرة الثأر والقضاء عليها.

يشير فضيلة الشيخ محمد زكى بدارى - الأمين العام لشئون الدعوة ومقرر اللجنة العليا للمصالحات بالأزهر - إلى أنه صدر قرار انشاء اللجنة العليا للمصالحات بالأزهر سنه ٢٠١٥م وبرئاسة الأستاذ الدكتور وكيل الأزهر وهى تتولى اللجنة اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة بالتنسيق مع اللجنة الفرعية لكل محافظة لإصلاح ذات البين و العمل على رأب الصدع وتوحيد الصف. وإعلاء المصلحة العليا للوطن لتحقيق أمنه واستقراره وحفظ الأرواح والأعراض والممتلكات خاصة فى ظل الظروف العصيبة التى تمر بها البلاد.

حفظ النفس

وللجنة أن تستعين بمن تراه من المثقفين والسياسيين ووجهاء أهل القرية أو المدينة محل النزاع ممن يتمتعون بالسمعة الطيبة والسيرة الحسنة ، وكبار عائلات أطراف النزاع ، على أن تكون أعمال اللجنة بموجب محاضر معتمدة وموثقة من الجهات التنفيذية بالمحافظة، وتكون قرارات اللجنة نافذة وملزمة للجميع بما لا يتعارض مع القانون فى شأن الأحكام الجنائية والمدنية.

وللجنة العليا لجان فرعية مهمتها إجراء الخطوات الأولى للمصالحة والتدخل السريع بين أطراف النزاع وحثهم على حفظ الأنفس والأرواح والممتلكات وترك العادات السيئة ووالعصبية القبلية فى التعامل فيما بينهم و التحلى بأخلاق الإسلام السمحة تمهيداً لتدخل اللجنة العليا للمصالحات. وعرض تقرير مفصل بالواقعة على اللجنة العليا تمهيداً لاستكمال باقى الإجراءات ويتم التنسيق بين اللجنة وبيت العائلة فى حال طلب التدخل بين مسلمين ومسيحيين .

وتمثل اللجنة الفرعية من السيد المحافظ رئيسا للجنة، ومعاونة السيد مساعد وزير الداخلية لأمن المحافظة ورئيس المباحث الجنائية، ومنسق الأمن العام، وجميع تشكيلات وزارة الداخلية، والسادة مفتشو مباحث المراكز والأقسام بمشاركة وكيل الأزهر بالمحافظة، ووكيل الأوقاف، ويتم التنسيق مبدئيا لوقف نزيف الدم حتى لا يعم الفساد الناتج عن القتل وسفك الدماء، وتتم المصالحة بين الأسر المتصارعة بناء على شرع الله وسنة رسوله ﷺ بالعفو، والمصالحة على عدم الانتقام والأخذ بالثأر،

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لا يحل دم امرئٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة

رواه البخاري و مسلم

ولى الدم المتمثل فى الهيئات الرسمية المنوط بها تحقيق العدالة بين الناس ولا يجوز لإنسان أن يأخذ ثأره بنفسه فيقتص من خصمه جاعلا من نفسه الأهلية لكل مؤسسات الدولة حتى لا تشيع الفوضى يقول تعالى ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (سورة الإسراء: آية٣٣)

ومن أخذ حقه بنفسه فهو آثم ويعد فعله هذا خروجًا على قوانين الدولة: بمؤسساتها و هيئاتها المنشأة بإذن من ولى الأمر ومؤسسة القضاء المعنية بالحكم فى قضية القتل هى التى تحدد نوع القتل إما أن يكون عمدًا أو شبه عمد أو خطأ، وتصدر حكمها بناء على ذلك فإن كان عمدًا ففيه القصاص، ولا يكون القصاص إلا عن طريق ولى الأمر حتى لا يتحول المجتمع إلى غابة قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة آية ١٧٩) أو الدية والعفو قال تعالى: ﴿ودية مسلمة﴾ وقال أيضًا: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ (سورة البقرة: آية ١٧٨).

ففى شرعة الدية تخفيف من الله ورحمة، والله يذكرنا بالعفو مع وجود جريمة القتل، يذكرنا بالعفو فى زحمة الغضب النفسى ويذكرنا بالأخوة «من أخيه» وهذا تمهيد لمبدأ العفو، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (سورة الشورى آية ٤٠)، وهذا الذى نميل إليه ونرغب فيه ونعمل جاهدين أن يتخلق المجتمع بخلق العفو حتى يتحقق الأمن والإستقرار.

وإن كان شبه عمد فليس فيه إلا الدية أو العفو وإن كان خطأ فليس فيه أيضا إلا الدية والعفو.

ووقف نزيف الدماء بين العائلات المتصارعة ويتم ذلك من خلال أمور هى:

إما أن يترك الأمر للقضاء ليقول كلمته، وإما أن تقدم الدية كتعويض لأسر المقتول، ويتنازل أهل القتيل عن حقهم فى الدم، أو أن تتم المصلحة بالعفو المطلق الذى تقدم فيه القودة وهى أن يقدم القاتل كفنه على يديه لأسرة القتيل. ويتم ذلك أمام الناس ووجهاء البلاد و الأعيان و أولى الأمر إشارة من أسرة القاتل لقبول الاعتذار من أسرة المقتول تطبيبًا لخاطرهم و إعلامًا بأن الأسرتين كلتيهما خضعتا لأمر الله وحكمه.

يقول تعالى ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة النور آية ٢٢)

حتى يحظوا بالمكانة العالية التى أخبر عنها النبى الكريم ﷺ ويترتب عليها الجزاء الأعظم من الله العلى القدير يقول تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (سورة آل عمران آية ١٣٤)

يقول النبى ﷺ **«ألا أدلكم على أفضل من درجة الصلاة و الصدقة و الصوم و الحج قالوا: بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين فإن فساد البين هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر و لكن تحلق الدين»**.

الهيئات الرسمية

من ذلك يتبين أن أخذ الحق لايتم إلا عن طريق

ولعل سائلا أن يسأل، إن كان الخطأ لا يؤخذ بجريرته الإنسان حيث قال رسول الله ﷺ «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (سورة البقرة آية ٢٨٦)، ولكن الشارع يعوض أهل المقتول خيرًا، يلزم به القاتل وأسرته وعقيلته تعويضا لما أصابهم، ولأن القاتل خطأ كان بإمكانه أن يحترز عن الوقوع فى هذا الخطأ.

ونحن نميل إلى العفو لأنه يعبر عن مراد الله عز وجل، ومن الحكمة أن نؤثر مراد الله على مراد أنفسنا ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ سورة النور آية ٢٢).

صلح كبير

ولا يقتصر عمل اللجنة على الصعيد فقط، بل تم صلح كبير فى أفريقيا الوسطى على يد الأزهر الشريف كما أن اللجنة لا تفرق بين مسلم ومسيحى فقد قامت بالمصالحة بين عائلتين مسيحيتين فى دير أبى حنث مركز ملوى بالمنيا.

جهود اللجنة

وعما تم إنجازه من خلال لجنة المصالحات بالأزهر يضيف الشيخ محمد زكى أن من أبرز ما قامت به اللجنة «صلح أسوان» بين قبيلتى الهلالية والدابودية، هذا الصلح الكبير الذى حضره الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب - شيخ الأزهر - ووزير الأوقاف الأستاذ الدكتور محمد مختار جمعة، كما حضره لفيف من علماء الأوقاف وعلماء ووعاظ الأزهر وحكماء أسوان وقنا، وقد أصرت الأسرتان أن يكون الصلح تحت رعاية الأزهر الشريف، وقد قتل فى هذه المنازعات أكثر من ٢٥ قتيلاً.

وأعقب ذلك «صلح برديس البليانة» وكان ضحايا النزاع ١٣ قتيلاً.

كما قامت اللجنة بعقد مصالحات فى محافظة سوهاج وإطلاق مبادرة (سوهاج خالية من الثأر والدم) وتتوالى هذه المبادرات فى باقى محافظات مصر وخاصة صعيدها وهذا إيمان من الأزهر بكل مؤسساته - برسالته والعاملون بالدعوة فى الأزهر والأوقاف يؤمنون بالقضية الوطنية ويعملون على إعلاء المصالح العليا للوطن نحو تحقيق أمنه واستقراره.

وما زالت اللجنة تقوم بمساعيها، وهذه المصالحات تكون تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر وإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور وكيل الأزهر.

الحق فى الحياة

وعن جهود وزارة الداخلية فى القضاء على ظاهرة الثأر يقول اللواء إبراهيم صابر. مساعد وزير الداخلية سابقا ـ: «إن ظاهرة الثأر ظاهرة اجتماعية تشكل انتهاكا صارخًا، وانتشرت هذه الظاهرة فى الصعيد لضعف المستوى التعليمى هناك، لذا لابد من تضافر وزارت التربية والتعليم، والثقافة، والإعلام لتوعية المواطنين بمخاطر الأخذ بالثأر وحرمة الدماء، وترك الأمر للقضاء العادل».

ويضيف: أن لجان المصالحات تلعب دورا لا يمكن للجهات الأمنية أن تقوم به بحكم حيادها المهنى بين أطراف النزاع.

ويتطرق اللواء إبراهيم صابر إلى دور الأزهر والأوقاف مشيدا بهما فى إرسال قوافل إلى الصعيد لتعريف الناس بخطورة هذه الجريمة، ويتم إيفاد هذه القوافل برعاية الأزهر والأوقاف حيث تم إنهاء العديد من الخصومات الثأرية.

كما يضيف أن هناك قضايا تقبل التنازل، وقضايا أخرى لا تقبل التنازل كالقتل، لأن القتل جريمة خطيرة تنال من سلامة المجتمع.

ولا يقتصر ضررها على أهل القتيل، وإنما يجب أن يكون هناك رادع عام من مصلحة المجتمع أن تقوم به الدولة، ولا يترتب على الصلح بين العائلات المتخاصمة إلغاء العقوبة.

الفهم المغلوط للدين

يقول اللواء ممدوح مقلد ـ مساعد وزير الداخلية سابقا وعضو مجلس النواب حاليا ـ: «إن وراء انتشار جرائم الثأر فى الصعيد الفهم السيئ للدين الصحيح فهناك أكثر من آية فى القرآن الكريم تفهم بطريقة خاطئة كقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (المائدة: ٤٥).

وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ

اللواء: إبراهيم صابر:

القتل جريمة خطيرة تنال من سلامة المجتمع

اللواء: ممدوح مقلد:

تطبيق القانون هو الحل الأمثل والأقوى فى مواجهة جريمة الثأر فى الصعيد

اللواء: محمد نور الدين:

التخلص من ظاهرة الثأر من خلال تطبيق أحكام رادعة

اللواء: نبيل فهمي:

من يحرض على الثأر ويرفض الصلح يتم اعتقاله جنائيًا لخطورته

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اجتنبوا السبع الموبقات

قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال :

الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات متفق عليه

عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ٩٣).

وأيضا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ (النساء: ٩٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (الإسراء: ٣٣).

وقد فهمت هذه الآيات فهمًا خاطئًا فأدى إلى اندفاع أى شخص دون وجه حق فى المطالبة بالقصاص بيده فاستفحلت ظاهرة الثأر.

ويضيف اللواء ممدوح مقلد أن من يقتل يعدم لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: ١٧٩) أى يا أصحاب العقول.

عدم الاهتمام بالتعليم

ويرى اللواء محمد نور الدين - مساعد وزير الداخلية الأسبق - أن من أسباب انتشار الثأر فى الصعيد الفقر والجهل وعدم الاهتمام بالتعليم مما يصنع إنسانا غير سوى، وغير متسامح فى أصغر الأشياء بالإضافة إلى بطء العدالة فى الحكم، ومن الممكن أن تحكم المحكمة بحكم مخفف أو بالبراءة، مما يدفع بأهل القتيل على الأخذ بالثأر فيستمر سلسال الدم بين العائلات لفترة طويلة إلى أن تعقد مجالس للصلح يحضرها الحكماء ورجال الأمن ومحكمون عرب وتنتهى إما بقبول الديّة أو تقديم الكفن.

ويضيف أن لجان المصالحات والجلسات العرفية لها دور كبير فى وقف نزيف الدم، ويتضح هذا الدور فى حال تساوى العائلتين فى عدد القتلى من كل عائلة فتجلس العائلتان وتتصالحا، ولكن إذا زاد عدد القتلى من عائلة لأخرى لا تتصالحا إلا عندما يتساوى عدد القتلى.

ويذكر أن مواجهة الثأر تتطلب أن يكون هناك دور لرجال الدين فى إقناع

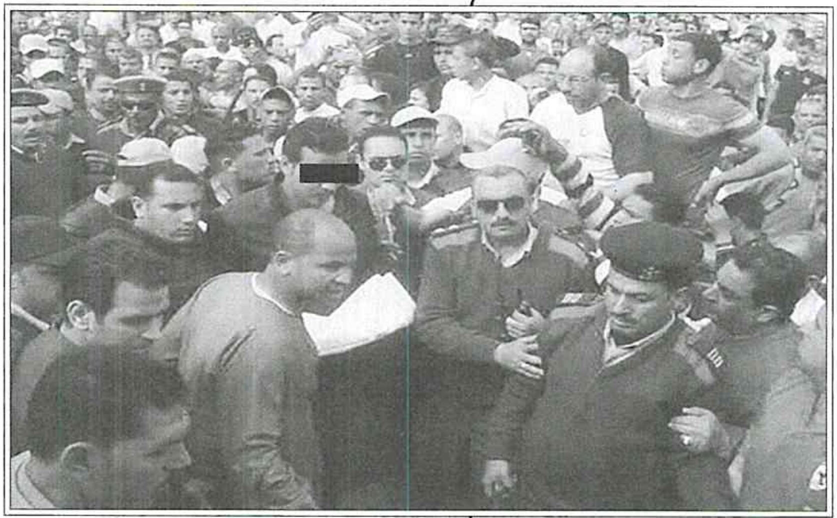

الأهالى بأن القصاص يجب أن يتم من خلال السلطة، ويجب أن يُدرس كيفية غرس ثقافة الحوار والمناقشة، وتثقيف الشباب حول مخاطر الإجرام، ولابد من نبذ العنف والخلاف بين المواطنين من أجل التعايش فى أمن واستقرار لأن الرسالات السماوية تدعو إلى ذلك.

ويؤكد أن التخلص من هذه الظاهرة يكمن فى أن يكون القانون هو السيد من خلال تطبيق أحكام رادعة فى حال نشوب أى خلاف ينتج عنه جريمة قتل، ويشدد على ضرورة القضاء على تجارة السلاح، ولابد من التواجد الأمنى المكثف لسرعة القضاء على أى خلاف ينشب بين العائلات حتى لا يتطور إلى القتل.

وعن أسباب انتشار ظاهرة الثأر يذهب اللواء نبيل فهمى ـ مدير مباحث الجيزة سابقا ـ إلى أن الجهل هو أحد أسباب انتشار جريمة الثأر فى الصعيد، فلا يوجد حوار عقلانى بين الناس، وعدم اللجوء للكبير نظرا لتعصبه فى آرائه بالإضافة إلى الجهل بقواعد الدين والعادات والتقاليد، وعدم معالجة المشاكل وسوء حلها فى الصعيد، فمثلا إذا وقع حادث وقتى وتمت السيطرة عليه من قبل الجهات الشرطية واحتواؤه وعقد صلح سريع مع بيان أسباب الوفاة فلن يحدث ثأر لأن الحدث وقتى (غير مدبر)، ولا يوجد فيه تعمد أو تربص أو قتل عمد، أما إذا لم يتم علاج هذه المشكلة فى وقتها فستزيد الخصومات الثأرية بين العائلات، وتنقطع أواصر الصلة بينهم فيتجهوا إلى شراء الأسلحة للأخذ بالثأر.

ويضيف: أن من يحرض على الأخذ بالثأر، ويرفض إتمام الصلح يتم احتجازه واعتقاله جنائيا لخطورته على الأمن العام، وتحت هذا الضغط كان يتم الصلح، ولرجال الدين دور واضح فى المصالحات بين العائلات من خلال الحجة فى الكلام، وإقناع الناس بخطورة هذه الجريمة، ومما يصعب الأمر على رجال الدين جهل بعض العائلات بتطبيق أحكام الشرع.

ويشير إلى أن السلاح إذا استخدم فى أى جريمة يأخذ صاحبه عقوبة مشددة، أما حيازة السلاح الآلى بدون ترخيص فهى جريمة يعاقب عليها القانون ولكن أخف من عقوبة القتل وتبدأ من (٣ ـ ١٥ سنة)، أما من يتاجر فى السلاح فعقوبته تصل إلى المؤبد.

ويبين أن الداخلية تتشدد فى إجراءات منح ترخيص السلاح للمواطنين، فعندما يكون المواطنون قادرين على حمل السلاح المرخص لن يلجأوا إلى استخدام السلاح غير المرخص، فالمواطن من حقه أن يحمل سلاحا إذا كان هناك مبرر لذلك، وأن يكون حسن السمعة، وليس لديه سوابق إجرامية.

كما يوضح أن هناك حملات لتوعية الناس فى الصعيد بخطورة هذه الجريمة، فقد كانت هناك خصومة ثأرية بين عائلتين، وتم الصلح بينهما والتنازل عن الثأر حيث تصالح أقارب المقتول مع أهل القاتل، وتم الزواج بينهم، والآن يعيشون فى سعادة، وفى البحيرة كانت هناك أكثر من ٤٨ خصومة ثأرية وبفضل الله والمجالس العرفية تم

تحقيق التصالح بين العائلات، ولم تعد هناك أى خصومة ثأرية.

ويستطرد أنه إذا تم الصلح بين العائلات فمن حق المحكمة معاقبته بحكم أو العفو بالبراءة.

ويرى إلى أن هناك موروثًا ثقافيًا خاطئًا بأن من يقتل هو القوى، والمقتول هو الضعيف، ولذلك لابد من أخذ الثأر حتى لا يصبح هذا الشخص ضعيفا فى نظر المجتمع، ومن العادات المنتشرة فى الصعيد أن أهل القتيل عندما يقتل أحد من أبنائهم يقومون باتهام شخص غير القاتل حتى لا يدخل السجن ويحكم عليه، ويقومون بأخذ الثأر منه خارج السجن.

ويطالب بضرورة التدخل السريع والفورى عند حدوث جريمة قتل بين العائلات والعمل على فض الخلاف من خلال المجالس العرفية للتصالح بين هذه العائلات مع العمل على ضبط الأسلحة والذخائر غير المرخصة، والقبض على المحكوم عليهم والهاربين لتحقيق الردع لنشر السلام والأمان.

الموروثات الثقافية

ويوضح أن عادة الأخذ بالثأر وهى من الموروثات الاجتماعية التى تختلف من مكان إلى آخر. ففى بعض محافظات الصعيد مثل المنيا وبنى سويف، والفيوم ترسخ فيها المصالحات العرفية وما تقره تلك المصالحات من حيث الجانب الاجتماعى، ويعيب أهل القتيل الأخذ بالثأر بعد الصلح العرفى، فلابد من المعالجة الاجتماعية فى السلوك. فكل محافظة لها طبيعة اجتماعية تختلف عن الأخرى، فمثلا: بنى سويف ـ المنيا ـ الفيوم تقبل بالأحكام العرفية والتقارب بين العائلتين بقبول جلسات الصلح التى تنزل من حكم القتل العمد إلى القتل الخطأ وفقا لما تعارفت عليه الموروثات الإسلامية، وتنفذ أحكام الدين التى تتمثل فى الديّة أو الكفن أو التغريب.

أما محافظات أسيوط، سوهاج، قنا، فالعائلات هناك ترفض تمامًا قبول الديّة، وفى محافظة أسوان تميل العائلات إلى التسامح وعدم الأخذ بالثأر.

أغرب الوقائع

ويذهب إلى أن من أغرب الوقائع التى قابلها فى محافظة أسيوط أن شخصا قتل أثناء فضه للمشاجرة بين أقارب زوجته وأقاربه وكانت زوجته فى حيرة من أمرها هل تساعد أشقاءها أم تساعد أهل زوجها، ووفقا للأعراف من المفروض أن تساند أهل الزوج على أشقائها إلى أن قتل أشقاؤها وأشخاص آخرون، وفى النهاية ماتت حزنًا عليهم.

ويرى أن كل موازين القوة فى الصعيد هى التى تفرض الثأر حيث يتم التفاخر بالأنساب والأجداد.

أما فى الوجه البحرى فنظرًا لفكرهم المستنير ووضعهم الاجتماعى يتوارى لديهم الشعور بفرض القوة أو السيطرة.

واختتم حديثه مؤكدا أن تطبيق القانون هو الحل الأمثل والأقوى والأكثر وضوحا فى مواجهة جريمة الثأر فى الصعيد، وهذا ما تقوم به الداخلية.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ، ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا ، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال : انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا ، انظروا هذين حتى يصطلحا

رواه مسلم

ظاهرة الثأر

وعن رأى القانون فى ظاهرة الثأر وما لها من آثار سلبية على المجتمع يرى المستشار سيد رفاعى - رئيس محكمة جنايات بنها- أن ظاهرة القتل أخذًا بالثأر لم يعالجها المشرع المصرى بنصوص صريحة وبالتالى لا توجد إجراءات قانونية لمعالجة هذه الظاهرة لأنه إذا كان القتل بقصد الثأر يكون الباعث على القتل هو الأخذ بالثأر ومن المقرر قانونًا أن الباعث على القتل ليس ركنا فى الجريمة فتقوم جريمة القتل العمد أيا كان الباعث عليها سواء الأخذ بالثأر أو السرقة أو الانتقام للشرف أو النزاع على ميراث.

وهناك عوامل ساعدت على انتشار ظاهرة الأخذ بالثأر مثل توارث الأبناء هذه الفكرة عن الآباء، انتشار هذه الظاهرة بالصعيد، بطء إجراءات التقاضى والهروب من وجه العدالة، وعدم تغليظ العقوبة التى تقضى بها المحكمة على القاتل.

ويشير إلى أن علاج هذه الأمور من الناحية القانونية يكون بسرعة إجراءات التقاضى وجمع الأدلة التى تؤكد ارتكاب المتهم لجريمته مع سرعة تقديمه للعدالة وإنزال العقوبة المشددة عليه التى نص عليها القانون، بالإضافة إلى نشر الوعى الدينى لدى الناس وتبصيرهم بعواقب الإقدام على الأخذ بالثأر وأنه قد يترتب على ذلك قتل الأبرياء، وإشاعة الفوضى بين الناس.

ووفقا لنص المادة (١٨مكرر أ)، من قانون الإجراءات الجنائية يرى المستشار سيد رفاعى أنه يترتب على التصالح فى بعض الجنح مثل الضرب العمد بأداة أو بدون أداة أو بالإصابة الخطأ أو القتل الخطأ أو جرائم التبديد والنصب والإتلاف العمدى - انقضاء الدعوى الجنائية إذا ما كانت الدعوى لا زالت فى حوزة النيابة العامة وتم التصالح أمامها فتصدر

المستشار: سيد رفاعى:

القتل أخذًا بالثأر إذا توافر فيه سبق الإصرار تكون العقوبة الإعدام

المستشار: علاء فتح الباب:

تفعيل قوانين الثأر من خلال إنشاء دوائر خاصة لنظر هذه الجرائم

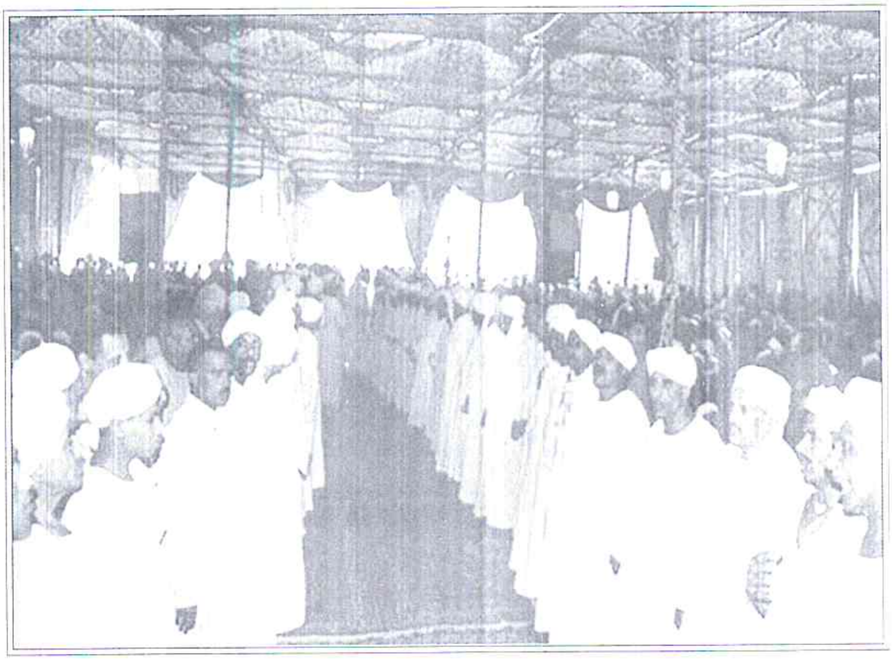

المستشار: خالد القوشى:

زيادة الوازع الدينى من خلال المؤسسات الدينية المعنية لبيان سلبيات الثأر

أمرًا فيها بحفظها لانقضائها بالتصالح وفى هذه الحالة لا توقع أى عقوبة جنائية على المتهم، أما إذا كانت الواقعة جناية قتل عمد سواء أخذًا بالثأر أو أيا ما كان الباعث على القتل وتم الصلح بين المتهم وأهل المجنى عليه فلا يترتب على ذلك انقضاء الدعوى الجنائية بالتصالح وإنما توقع المحكمة العقوبة المقررة على المتهم ويجوز للمحكمة وفقا لنص المادة (١٧) من قانون العقوبات استعمال الرأفة مع المتهم فتنزل العقوبة درجة أو درجتين - فإذا كانت العقوبة المقررة الإعدام يحق للمحكمة فى حالة الصلح أن تقضى بعقوبة السجن المؤبد أو المشدد من (٣-١٥ سنة)، وإذا كانت العقوبة السجن المؤبد فلها أن تقضى بعقوبة السجن المشدد (٣-١٥) سنة وإذا كانت العقوبة المقررة السجن المشدد فلها أن تقضى بعقوبة السجن أو الحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر.

ويضيف أن المحكمة لا دخل لها فى عملية الصلح فهو أمر متروك لورثة المجنى عليه والمتهم، ويتم الصلح أمام المحكمة أو النيابة العامة مع توثيقه بالشهر العقارى، والعقوبة المقررة فى القانون للقاتل فى جريمة الثأر إذا تم القتل مع سبق الإصرار والترصد أو كانت وسيلة القتل السم أو إذا اقترنت جناية القتل العمد بجناية أخرى سبقتها أو تلتها أو كانت جناية القتل العمد بقصد ارتكاب جنحة أو تسهيل ارتكابها تكون العقوبة المقررة الإعدام.

وفى الغالب فإن القتل أخذًا بالثأر تتوافر فيه ظروف سبق الإصرار فتكون العقوبة الإعدام، وتختلف العقوبة من حالة إلى أخرى فأعطى المشرع للمحكمة سلطة استخدام المادة (١٧) والتى بموجبها يتم النزول بالعقوبة درجة أو درجتين حسب ظروف كل واقعة على حدة.

ويضيف أن عقوبة حمل السلاح النارى بدون ترخيص وفقا لتعديل قانون الأسلحة والذخائر الصادر بالقانون رقم (٦ لسنة ١٢) وتم العمل به اعتبارًا من ٢٠١٢/١/١٣م تكون على النحو الآتى:

١ - الأسلحة النارية المششخنة مثل البنادق الآلية والنصف الآلية والمسدسات سريعة الطلقات والمدافع الرشاشة عقوبتها السجن المؤبد وغرامة لا تجاوز ٢٠ ألف جنيه.

٢ - الأسلحة النارية المششخنة مثل مسدسات فردية الإطلاق والبنادق الخرطوش عقوبتها السجن

المشدد من (٣-١٥) سنة وغرامة لا تجاوز خمسة آلاف جنيها.

٣ - الأسلحة النارية غير المششخنة مثل الفرد الخرطوش عقوبتها السجن من (٣-١٥) سنة وغرامة لا تجاوز خمسة آلاف جنيها ويجوز للمحكمة استعمال الرأفة مع المتهم وفقا لنص المادة (١٧) من قانون العقوبات وذلك بالنزول بالعقوبة درجة أو درجتين.

توعية الأفراد

ويبين المستشار علاء فتح الباب – رئيس محكمة الاستئناف – أن هناك إجراءات كثيرة متنوعة يمكن اتخاذها لمعالجة ظاهرة الثأر تتمثل فى:

– إجراءات دينية من خلال توعية الأفراد إلى أن جريمة القتل لها عقوبتها فى الدنيا كما أن عقوبتها قائمة فى الآخرة إلا من تاب وآمن يقول تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (سورة المائدة آية ٣٢).

– إجراءات اقتصادية إذا كان الثأر منتشرًا فى العديد من محافظات الصعيد فهذا القطاع يعانى من الإهمال والفقر وعلى الدولة الاهتمام بتنمية هذا القطاع اقتصاديًا والعمل على رفع مستوى معيشة الأفراد لأن الإنسان إذا ما كان يعول أسرة وأولادًا وله وظيفة يتكسب منها فسوف يفكر كثيرًا قبل أن يقدم على هذا الفعل الشنيع.

– إجراءات قانونية لابد من إنشاء دوائر خاصة للنظر فى قضايا الثأر خصوصًا فى الصعيد - لأنها تنظر أمام محكمة الجنايات - وألا تزيد مدة تداول قضايا الثأر على أكثر من ستة أشهر، فإذا وجد أهل المجنى عليه العدالة السريعة من الممكن ترك الأمر للمحكمة لكن التأخير فى إصدار الحكم وتنفيذه يؤدى إلى قيام أهل المجنى عليه بأخذ حقهم بأيديهم فترتكب جريمة الثأر بأيديهم وهناك جريمة فى أسيوط بدأ مسلسل الثأر فيها منذ عام ١٩٤٢م ولم ينته حتى الآن، ففى عام ١٩٤٢م قام أحد الأشخاص بقتل شخص فقام أقاربه فى نفس العام بالرد عليهم بقتل فرد من عائلة القاتل، وفى عام ١٩٨٧م قامت عائلة القاتل بقتل مستشار فقام أهل المستشار بقتل (٢١ رجلا وامرأة وطفلا) وتم صدور أحكام بالإعدام على بعض منهم.

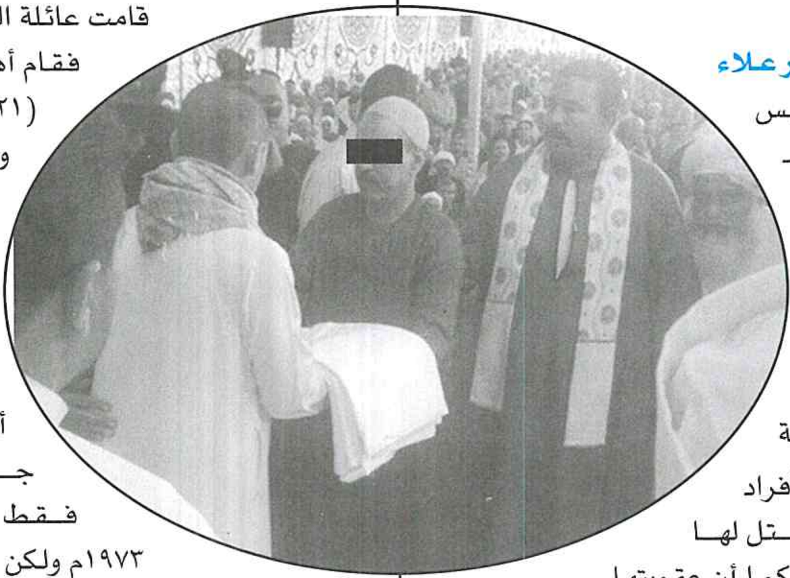

ومن خلال تقرير صدر من الشرطة تضمن أنه لم ترتكب جريمة قتل أخرى فقط فى عامى ١٩٦٧، ١٩٧٣م ولكن إلى وقتنا هذا لا تزال جرائم الثأر متبادلة بين العائلتين.

ويضيف أن القانون أو القضاء ليس له دور فى موضوع الصلح إطلاقًا ولكن التصالح بين العائلات يتم من خلال منظمات المجتمع المدنى أو رجال العرف (العادات والتقاليد المعمول بها فى الأقاليم).

والعقوبة لا تسقط تمامًا فى حال التصالح بين الأطراف المتخاصمة لأن القتل جناية وهى جريمة تهتز لها الأبدان والمشاعر ولكن يمكن للمحكمة استعمال الرأفة مع المتهمين فتنزل بالعقوبة وفقًا للمادة (١٧) من قانون العقوبات درجة من الإعدام إلى المؤبد أو درجتين من الإعدام إلى السجن المشدد، وإذا كانت الجريمة التى تم ارتكابها وأحيلت إلى محكمة الجنايات من الممكن أن يحدث تصالح بحضور أهالى المتهمين وشهود الواقعة فى هذه الحالة المحكمة وشأنها حسب اطمئنانها للواقعة

فإذا اطمأنت فإنها تحكم بالبراءة وإذا لم تطمئن إلى عدالة شهود الإثبات فى أقوالهم فأنها تصدر حكمها.

ويرى أن التشريع المصرى يعتبر جريمة القتل جريمة عادية ولكن القتل ثأرًا بقتل آخر لابد أن تتوافر فيه الظروف المشددة وهى سبق الإصرار والترصد بعقد النية على القتل مع الهدوء والروية وفى هذه الحالة تكون العقوبة الإعدام طبقا للمادة (٢٣٤) من قانون العقوبات أما إذا كانت جريمة عادية تكون العقوبة مؤبدًا أو سجنًا مشددًا.

ويذكر أن العقوبة تختلف باختلاف كل واقعة على حدة فمثلا فى إحدى جرائم القتل بالثأر قاموا بقتل المجنى عليه بإلقائه فى الترعة ووقفوا بجواره لمدة يومين مع اعتراض أى شخص يحاول أخذ الجثة فكانت عقوبتهم الإعدام.

وأما عن جريمة حمل السلاح والاتجار فيه فيوضح أنها جريمة عادية ومنصوص عليها فى المادة (٣٩٤ لسنة ٥٤) ولم يفرد لها المشرع نصّا خاصّا ومن الممكن أن تصل عقوبتها إلى المؤبد.

ويمكن تفعيل القوانين الخاصة بجرائم الثأر من خلال إنشاء دوائر خاصة فى قطاع الصعيد للنظر فى هذه الجرائم، وأن يتم الفصل فى القضية فى خلال ستة أشهر على الأكثر حتى لا يقوم أهالى المجنى عليه - نظرًا لطول إجراءات التقاضى - بارتكاب جريمة الثأر بأنفسهم، ولا مانع من تعديل القوانين (قوانين العقوبات) فى جريمة القتل، لاسيما إذا كانت جريمة القتل ثأرًا فيتم تعديل عقوبتها إلى الإعدام لأنها ليست جريمة عادية.

الوازع الدينى

ويشير المستشار خالد القوشى - الخبير الدستورى والقانونى - إلى أن الإجراءات القانونية التى يمكن إتخاذها لمعالجة ظاهرة الثأر تتمثل فى:

تطبيق القانون بشدة على كل من يخالفه ويتخذ الثأر تسوية حساب وتشديد العقوبة على كل من يرتكب هذه الجريمة لتحقيق نوعين من الردع: الردع الخاص، فلا ترتكب مثل هذه الجرائم عندما تكون العقوبة مشددة، والردع العام يمنع الناس من ارتكابها خوفًا من العقوبة إذا ما ارتكبوا جريمة الثأر.

تشجيع التقارب بين العائلات فى الصعيد، فهناك لا يتم زواج البنات إلا من أبناء العائلة، ولا يجوز زواجها من غير العائلة.

وإذا خالفت البنت ذلك - فى بعض العائلات - يقام عليها حد القتل، والحل يكمن فى زواج البنات من عائلات أخرى فيتم التقارب بين هذه العائلات.

وفى الصعيد تحرم الأنثى من ميراثها الشرعى وعند المطالبة بحقها يتم قتلها ويتمتع الذكور بميراثها، وإذا ما تزوجت من أحد أقاربها فأنه يطمع فى ميراثها ويتشاجر مع أفراد عائلتها وتحدث بعض المنازعات التى قد تؤدى إلى بعض قضايا القتل وإلى الثأر فى نهاية الأمر.

ويؤكد المستشار القوشى على أهمية زيادة الوازع الدينى من خلال المؤسسات الدينية المعنية لبيان السلبيات لجريمة الثأر التى تعد مخالفة لشرع الله وأن عقوبتها فى الآخرة كبيرة كما أنها تؤدى إلى

إشاعة الفوضى وتشتيت العائلة كما أن لوزارة الأوقاف دوًار كبيرًا بأن يتناول خطباء المساجد فى الصعيد الحديث عن الثأر فى خطب الجمعة وتوعية الناس بخطورة هذه الجريمة وعقوبتها فى الدنيا والآخرة.

ويضيف أن عقوبة جريمة الثأر تختلف باختلاف ظروف الحادث فإذا كانت مع سبق الإصرار والترصد فعقوبتها الإعدام، أما إذا ما تقابل القاتل مع المقتول فجأة فى الطريق العام وقام بقتله فإن العقوبة تكون المؤبد، وإذا ما تطرق الموضوع إلى مشاجرة بين العائلتين سواء كان خلافًا على أراضٍ أو أخذًا بالثأر وقتل أفراد من العائلتين تكون العقوبة السجن المشدد، وتصل عقوبة حمل السلاح إلى (١٥ سنة)، وتختلف العقوبة باختلاف الجريمة من خلال استخدام أسلحة صوت أو أسلحة نارية أو رشاش أو خرطوش فإذا قتل بها أى شخص تكون عقوبته الإعدام.

ويبين أن التشريع المصرى تناول ظاهرة الثأر تحت بند إزهاق الروح ولكن لا يوجد لها نص واضح وصريح وعقوبتها مغلظة لتحقيق الردع الخاص والعام.

ولنجاح عمليات التصالح فى قضايا الثأر، يقول سيادته: إنه ينبغى أن يتم ذلك من خلال ما يسمى «مجلس عرب» وينتهى بتقديم المتهم كفنه إلى أقارب المجنى عليه للتنازل عن الأخذ بالثأر منه، وإذا خالف المتهم الشروط فإنه يقوم بدفع مبلغ من خلال توقيعه على شيك على بياض، ويشير إلى أنه لابد أن يسبق التصالح بين عائلتين تهيئة نفوسهم لهذا التصالح ثم وضع الشروط المطلوبة، لنجاح هذا الصلح بين العائلتين.

ويرى أنه لابد من تضافر المؤسسات المعنية لتوعية الناس بخطورة هذه الظاهرة وعواقبها فى الدنيا والآخر مع ضرورة تضمين المناهج التعليمية مخاطر هذه الظاهرة ونتائجها السلبية على الأفراد والمجتمع.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من أشار إلى أخيه بحديدة ، فإن الملائكة تلعنه ، حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه

رواه مسلم

د. نبيل السمالوطي:

دعا الإسلام إلى نبذ عادة الثأر واستبدالها بسيادة القانون وتطبيق القصاص العادل

د. سامية خضر:

تدفع المرأة بأبنائها للثأر من القاتل ولا يقام العزاء إلا بعد أخذ الثأر منه

عادة جاهلية

وعن رأى علماء الاجتماع فى ظاهرة الثأر وكيفية احتوائها يوضح أ. د نبيل السمالوطى - عميد كلية الدراسات الإنسانية الأسبق وأستاذ علم الاجتماع بجامعة الأزهر - أن الثأر عادة أو تقليد جاهلى كان يمارس فى الجاهلية فى الجزيرة العربية وغيرها من الدول غير العربية، وجاء الإسلام ونهى عن ذلك تماماً؛ لأن هذه العادة الجاهلية تؤدى إلى الصراع المجتمعى وبالتالى تمزق المجتمع وتفرق أفراده مما يتعذر معه قيام تنظيم اجتماعى يحقق للناس الأمن والسلامة: لذا دعا الإسلام إلى نبذ هذه العادة واستبدالها بسيادة القانون، وتطبيق القصاص العادل.

والرسول ﷺ عندما أسس الدولة الإسلامية بالمدينة أقامها على السلام ومبدأ سيادة القانون وعدم التمييز بين البشر فقال ﷺ: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» وهذا يمثل قمة سيادة القانون.

ويضيف د. نبيل السمالوطى أن عدداً كبيراً من علماء الاجتماع والإنسان والأنثروبولوجيا فى مصر قاموا بدراسة الثأر ومن أهم هذه الدراسات الدراسة العلمية والمنهجية التى أجراها أ. د أحمد أبو زيد العالم فى مجال الأنثروبولوجيا حيث أظهر أن الثأر فى صعيد مصر نظام اجتماعى سلبى أى أن له تقاليد سلوكية واجبة الاتباع والالتزام تفرض على سلوكيات وأفعال أبناء بعض قرى الصعيد فإذا ما قتل شاب أو طفل رجلا من عائلة أخرى له قيمته الاجتماعية فإن الثأر لا ينفذ فى الطفل وإنما تبحث أسرة القتيل عن شخص من عائلة القاتل له نفس المنزلة والمكانة للمقتول ولا يقام عزاء للقتيل إلا بعد أخذ الثأر من عائلة قاتله دون الرجوع إلى القانون أو القضاء .. كما أن أم القتيل تدفع بأبنائها إلى الأخذ بالثأر للمقتول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها

متفق عليه

وتظل أسرته منكسة الرأس حتى تأخذ حقها - بشكل شخصى - من أسرة القاتل، وتشير دراسة د. أحمد أبو زيد إلى أن هذه الظاهرة لا تقتصر على مجتمعات الصعيد فحسب وإنما نراها فى بعض قرى الوجه البحرى.

وإذا اعترف القاتل بجريمته فإنه يحمل كفنه على يديه ويذهب إلى أسرة المقتول التى إذا أرادت التسامح تقبل هذا الفعل وتعفو عن القاتل.

سيادة القانون

كما يضيف د. السمالوطى أن الإسلام يؤكد على سيادة القانون والعدل الذى لا يتحقق إلا بتطبيق القانون الذى يتطلب نظامًا قضائيّا عادلاً، فإذا اقتص كل شخص لنفسه بيده فسوف يسود المجتمع الصراع والتمزق ويفتقد الأمن والأمان لكل المواطنين، لذا أكد الإسلام على القصاص حيث يقول تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة آية ١٧٩) والقصاص هنا من شأن ولى الأمر وهو القاضى بمساعدة أجهزة الأمن داخل المجتمع من خلال تحقيقات عادلة .. فالقاتل يُقتل ولكن ليس بيد أهل القتيل. وفى سورة النساء نهى تام عن ارتكاب جريمة إزهاق النفس، بل إن الله سبحانه وتعالى توعد القاتل بخمس عقوبات كبيرة فى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء آية ٩٣).

وبذلك يتحقق القصاص العادل دون إثارة أحقاد أو صراعات أو إراقة دماء فقد كان الثأر فى بعض القرى يستمر فيه القتل بين العائلات لأكثر من عشرين سنة مما ينعدم معه الأمن فيحدث انهيار للمجتمع وفساد فى الحياة الاجتماعية بكاملها، ومن هنا كان أمر القصاص بيد الجهات المخول لها التحقيق والوصول للأدلة والبراهين التى أدت إلى حدوث هذه الجريمة وبالتالى إصدار الأحكام النهائية إما بالإدانة أو البراءة أى من خلال تطبيق القصاص العادل على مرتكبى الجريمة.

يقول تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ...﴾ (المائدة آية ٤٥) تطبيق العدل مسئولية الدول بأجهزتها سواء فى جرائم النفس أو المال أو العرض أو الممتلكات وهى وحدها صاحبة توقيع القصاص العادل وليس الأمر متروكًا للأفراد حتى لا تسود الفوضى وتنتفى معها أسس النظام الاجتماعى.

ويؤكد د. نبيل السمالوطى أن العلاج الناجع للقضاء على ظاهرة الثأر هو نشر العدالة الاجتماعية ومفهوم القصاص الذى نادى به الإسلام وسرعة البت فى القضايا المتعلقة بالقتل، وتطبيق القصاص فى القاتل عملا بشريعة الله ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة آية ١٧٩) أى أن تطبيق القصاص يعنى إنهاء إراقة الدماء بين الناس وبالتالى وقف الصراعات بين الأسر، وكذلك وقف نزيف الدم الذى قد يستمر

د. سعيد صادق:

ضرورة تضافر الجهات المعنية لتحقيق تنمية فى هذه المجتمعات لنشر السلام فيها

د. نجوى عبدالحميد:

يعد الثأر من الظواهر الاجتماعية السلبية التى تعارفت عليها بعض المجتمعات وتناقلتها

لسنوات طويلة لو لم يطبق القصاص العادل.

وعلى الجهات المعنية نشر صحيح الإسلام من خلال مناهج التربية الدينية فى المدارس وأجهزة الإعلام والمؤسسات الدينية ووزارة الأوقاف المصرية ووزارة الشباب ووزارة التضامن الاجتماعى ووزارة الثقافة، وعلى هذه الجهات مسئولية توعية أفراد المجتمع بخطورة الثأر وأهمية تطبيق القانون وتحقيق العدل من خلال القضاء وأجهزة الأمن فى الدولة ونشر العدل وأن ذلك دور الجهات المعنية وليس الأفراد، وأهمية الرجوع إلى الدولة بقضائها العادل لتطبيق سيادة القانون الذى أسس له الرسول ﷺ فى أول دولة إسلامية أقامها فى المدينة المنورة.

جذور متعمقة

توضح أ.د سامية خضر - أستاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس - أن الثأر من العادات التى لها جذور متعمقة فى تاريخ بعض المجتمعات القبلية المنغلقة، وهى عادة مرتبطة بالكرامة، والدافع للأخذ بالثأر هى المرأة التى تدفع بأبنائها للقصاص من قاتل أبيهم أو أخيهم بيدهم، ولا يقام العزاء للقتيل إلا بعد الأخذ بالثأر من القاتل، ويمكن الصفح عنه إذا ما قدم كفنه لأهل القتيل لوقف نزيف الدم.

القصاص

وتشير أ.د نجوى عبد الحميد - أستاذ علم الاجتماع بجامعة حلوان - إلى أن القصاص حياة لأولى الألباب، ولكنه يجب أن يكون بيد أولى الأمر.

وتضيف أن الثأر عشوائى أى أنه إذا قُتل فرد فى عائلة تقوم عائلة القتيل بقتل فرد من العائلة التى قتلت دون إبلاغ أحد أو سماع للشهود، والذى يُقتل ليس هو الذى قتل، ولكن الذى يُقتل أفضل واحد من عائلة القاتل وليس بالضرورة القاتل نفسه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم، لا يدري القاتل فيما قتل ولا المقتول فيم قتل

فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال:

الهرج. القاتل والمقتول في النار

متفق عليه

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة: ١٧٩).

والأجيال الجديدة تعي تماما أن القصاص يجب أن يكون بيد الحاكم أى القضاء العادل؛ فيتولد لديه صراع بين العائلة والقانون، ولكى يرضى الطرفين يقبل أن يقدم كفنه لأسرة القتيل وهو ما يعد إهانة فى نظر عائلته، وتضعف مكانته لديهم، ولكنه يقبل القيام بهذا الفعل ليحفظ الأرواح، ويوقف نزيف الدم الذى قد يستمر لعشرات السنين.

ولا يعترف أهل القتيل بأخذ الحق من أى جهة أخرى، وإنما يتم القصاص من القاتل بأنفسهم حتى لا يتعرضوا لتوبيخ من أحد أو إطلاق شائعات مغرضة عليهم.

وتوضح د. نجوى عبد الحميد أن ظاهرة الثأر متوطنة بين القبائل العربية وعندنا فى الصعيد تعد من الظواهر والأعراف الاجتماعية السلبية التى تعارفت عليها بعض المجتمعات هناك وتناقلتها.

أما القصاص فهو قانون عرفى رسمى له جهات مختصة ومشايخ بعينها هى التى تقوم بالقصاص، ومن الممكن تقديم دية بدلا من الثأر.

وللمرأة دور كبير فى تجذير هذه الظاهرة وتربى أولادها على ذلك منذ الصغر وتنشئهم على ذلك، وتدفع بهم لأخذ الثأر من القاتل عندئذ تكون أول من يبارك هذا الفعل والجريمة النكراء فيقام العزاء للقتيل.

ويجب أن تتضافر أجهزة الدولة للقضاء على هذه الظاهرة من خلال برامج لتثقيف المرأة وتوعيتها بأن القصاص يجب أن يتم بيد الحاكم حتى لا تشيع الفوضى فى هذه المجتمعات الإسلامية، بل يعم الأمن والأمان بقوله تعالى:

ضعف الثقافة

يرى أ. د. سعيد صادق - أستاذ علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية - أن من أسباب تنامى ظاهرة الثأر عدم تفعيل القانون، وضعف الثقافة فى المجتمع الصعيدى، والعصبية القبلية، وتجارة السلاح، كما أن للمرأة دورًا فى تأجيج هذه العادة الاجتماعية فتدفع بأبنائها، وتحثهم على الأخذ بثأر أبيهم.

المصالحات

ويوضح أن المصالحات بين العائلات قد يكون لها دور، ولكن لا بد من تطبيق القانون بدلا من القانون القبلى الرافض للتغيير الاجتماعى مع وضع استراتيجية يقوم بها علماء الاجتماع تتضمن تغيير ثقافة هذه المجتمعات مع تحقيق التنمية الاقتصادية للمناطق الفقيرة على أن تتولى الجهات الأمنية سرعة القبض على القاتل ومحاكمته للقضاء على الثأر مع تضافر الجهات المعنية لتحقيق تنمية ثقافية وعلمية وتعليمية فى هذه المجتمعات لنشر السلام فيها.

د. حسن على:

تلعب الدراما دورًا فى تجسيد ظاهرة الثأر حيث تظهر المعاناة التى تعيشها العائلات التى تخشى الثأر

د. إيناس أبو يوسف:

الخطاب الدينى هو القادر على تنوير العقول والسيطرة على القلوب

مشكلة راسخة

أما بالنسبة لدور الإعلام وتأثيره على المجتمع فى الحد من ظاهرة الثأر يوضح أ. د. حسن على - الأستاذ بكلية الإعلام جامعة المنيا - أن الثأر مشكلة راسخة فى القرى وبخاصة بعض قرى الصعيد لبعدها عن المدنية والتعليم. وكادت هذه الظاهرة أن تختفى تمامًا بعد أن حصلت قرى الصعيد على قدر لا بأس به من التنوير والتمدن، ويرى أن هذه الظاهرة أخذت تطفو على السطح مرة أخرى نتيجة للبعد الاقتصادى وضعف مستوى الأخلاق.. فحين ينخفض مستوى المعيشة تظهر العديد من النزاعات على الأراضى والعقارات والمحاصيل، ومع وجود ضعف فى الوازع الخلقى أو الضمير تتطور تلك النزاعات من مجرد شجار عادى إلى جرائم قتل، وجريمة واحدة تكفى لتبدأ سلسلة من الجرائم حفاظًا على الهيبة والكرامة فيما يعرف بالثأر. فاحترام عادات وتقاليد الصعيد له أكبر الأثر على انتشار تلك الظاهرة.. فالعائلة التى قتل منها شخص لا تتمكن من رفع رأسها مرة أخرى أو استرداد كرامتها إلا حينما تأخذ بثأرها مما يعقد الأمر ويزيده صعوبة، وحين تحاول إثناء القاتل بالعدول عن محاولة الأخذ بالثأر كأنك تقنعه بالتنازل عن كرامته والرضا بالخنوع فهو لا يرى رغبتك فى حثه على التعقل وعدم فتح سلسال من الدم وإنما يرى رغبة المجتمع الصعيدى فى إثبات قوته وشجاعته ودفاعه عن كرامته وأسرته. ولذلك يصعب إقناعه بالعدول عن رأيه.

دور تنويرى

وعن دور الإعلام يضيف د. حسن على أن للإعلام دورًا تنويريًا لا يمكن إنكاره فى الحد من هذه الظاهرة ولكن التأثر سلوك وطريقة تفكير ونمط حياة. والثأر يمثل عادات وتقاليد راسخة منذ

د.عبدالرحمن رشاد:

أهمل مثقفو الصعيد معالجة الثأر ولم يبذلوا الجهد المطلوب لحلها

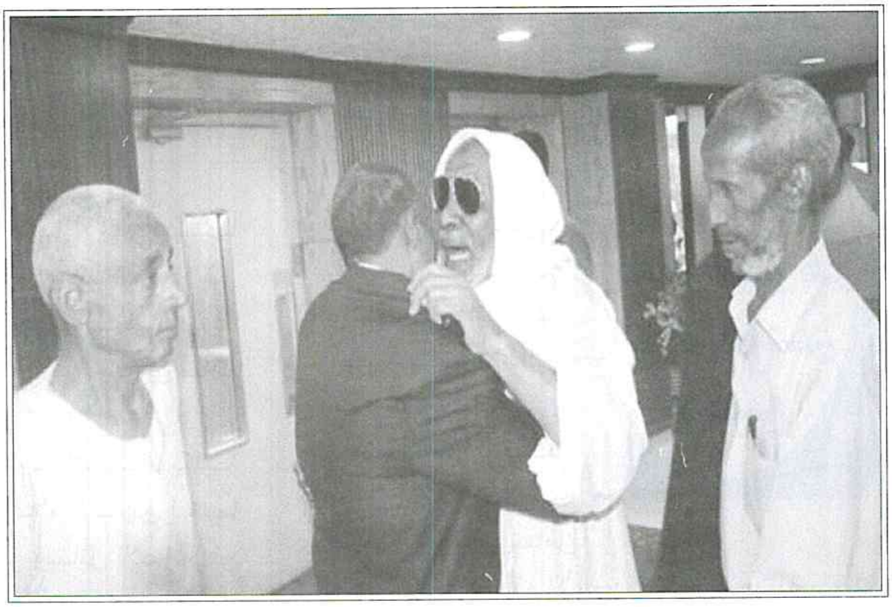

د. ليلى عبدالمجيد:

تغيير الفكر والعقول يحتاج لخطة تتضافر فيها كل الجهود على المدى الطويل

القدم ولذلك فالإعلام لا يستطيع أن يغير السلوك، ولكنه يمكنه أن يغير معلومات الشخص أو اتجاهه ويرى أن المدخل الدينى هو الأقرب لنفوس الناس فى القرى، ومن هنا يأتى دور الإعلام الدينى من خلال المساجد المنتشرة فى كل النجوع والقرى، ولو امتلك خطباء المساجد ناصية اللغة بخطاب دينى رصين يمكن مع الوقت تغيير طريقة التفكير، وينبغى مع ذلك تغيير نمط الحياة وظروف المعيشة الصعبة فى الصعيد التى تنتج تلك العقلية ذات الطابع الغليظ، فينبغى رفع مستوى المعيشة فى قرى الصعيد ومحاربة ضعف مستوى التفكير، ورفع مستوى التعليم والثقافة من خلال بناء مدارس جديدة، ومن المقترحات الناجحة لمزيد من التنوير ورصد تلك الظاهرة وتوضيح أثرها السلبى على المجتمع إرسال قوافل إعلامية ودينية لكل قرى الصعيد، وعمل زيارات منزلية للتحدث مع كل أفراد الأسرة من الشباب إلى الشيوخ وبخاصة النساء فالمرأة هناك لها دور كبير فى تربية الأبناء منذ الصغر على الرغبة المتأججة فى الأخذ بالثأر أو التسامح والرضا بحكم ولى الأمر أو حكم القضاء والقانون.

الصلح

أما عن جلسات الصلح التى تعقدها وزارة الداخلية أو بعض الجهات المدنية للصلح بين العائلات المتخاصمة فى مسألة الثأر فإن لها دورًا لا يمكن إغفاله فى هذه المشكلة ولكن الحل يكمن فى سرعة إجراءات التقاضى لأن البطء فيها قد يشعل المعارك بين المتخاصمين لذا كان الحل فى القصاص العادل والسريع.

المعاناة

أما بالنسبة لدور الدراما فقد لعبت دورًا فى

د. ماجى الحلوانى:

ظاهرة الثأر تمثل أخطر الظواهر السلبية على المجتمع

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ
وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ
وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ
وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

تجسيد تلك الظاهرة وأظهرت المعاناة التى تعيشها العائلات التى تخشى من الثأر أو المنتظرة للأخذ بالثأر، ولكن لا بد من تغيير هذه العقلية دينيّا وثقافيًا مع توفر ظروف المعيشة التى تحد من تفاقم هذه المشكلة التى تؤرق المجتمع.

وتؤكد د. إيناس أبو يوسف ـ الأستاذ بكلية الإعلام جامعة القاهرة ـ أن الإعلام يلعب دورًا مهمًا فى قضية الثأر، وترى أن بعض وسائل الإعلام فى الوقت الحالى لها دور سلبى يزيد الأمور تعقيدًا، ولكن من الممكن أن يكون للإعلام دور مهم وإيجابى فى هذه القضية فى حال تمت إعادة هيكلته من جديد، ووضع رؤية لسياسة إعلامية مختلفة وتتساءل د. إيناس أبو يوسف قائلة: فإذا كنا نريد لأهل الصعيد أن تتغير رؤيتهم وثقافتهم الراسخة لظاهرة الثأر فيجب أن نجعل للإعلام دورًا إيجابيّا فى ذلك.

القنوات المحلية

وتشير إلى دور القنوات المحلية وضرورة وضع خطة لتطويرها وقيامها بعملها التثقيفى والتنويرى على أكمل وجه فى زرعها للقيم والمبادئ إلى جانب توفير التقنية الحديثة لها بدلاً من اعتبارها نفقات زائدة يجب التخلص منها.

الخطاب الدينى

وتطرقت إلى أهمية الخطاب الدينى حيث إنه الأقرب إلى النفوس فهو القادر على تنوير العقول والسيطرة على القلوب من خلال البرامج الدينية مع دعاة لديهم الخبرة والقدرة على التأثير بالأسلوب الذى يجذب المشاهد كما أنه لا بد أن يدرك خطورة القضية ويتعامل معها بجدية فهذه الأمور تحتاج إلى رؤية طويلة المدى فتغيير القيم المرتكزة على العرف والعادات والتقاليد لا يأتى بين يوم وليلة، وإنما يحتاج إلى تعمق لحل المشكلة من الجذور بشكل تراكمى لتغيير طريقة التفكير، أما فكرة الإعلام الموسمى الذى يقوم بحملة حين تحدث أزمة ثم يتوقف، وينسى المشكلة بعد ذلك لا يمكنه حل شىء وإعلام الأزمات لا يعمل بهذه الطريقة وإنما يتنبأ بالأزمات الموشكة على الحدوث، ويدرسها، ويضع لها عددًا من الحلول المقترحة تمثل خطة أساسية، وخططًا بديلة. فبعض وسائل الإعلام عندنا أصبحت طرفًا فى الأزمة وليست جزءًا من الحل.

أما بالنسبة لبعض الأعمال الدرامية التى نجحت فى تجسيد معاناة أهل الصعيد فى مشكلة الثأر فهى نادرة، ودورها هنا تثقيفى تنويرى لا يساهم فى حل المشكلة.

حملات للتوعية

وعن دور الفنانين والمثقفين فى عمل حملات

للتوعية ترى د. إيناس أبو يوسف أنه لا بد من وجود خطة ورؤية بالتعاون مع قصور الثقافة والجامعات، وحتى بالنسبة للجانب الدينى والدعوى لا بد للأزهر من وضع خطة ورؤية بالتعاون مع الجهات المعنية بالأمر مثل وزارة الثقافة والمجلس القومى للمرأة، والجمعيات الأهلية، وعمل دراسات إحصائية لمعرفة المناطق التى يتركز فيها هذا الفكر وتلك المشكلة لكى نكثف الجهود ونضع أيدينا على الأسباب الحقيقية للمشكلة حتى تسير الحلول المقترحة فى الاتجاه الصحيح.. ولا مانع من عقد الجلسات العرفية للصلح بين العائلات المتصارعة حيث يتم ذلك بدافع احترام العادات والتقاليد فى الصعيد ولا بد من تكاتف جميع الهيئات للحد من تلك الظاهرة التى لها آثار سلبية على المجتمع.

ظاهرة جلية

يؤكد **د. عبد الرحمن رشاد** - رئيس الإذاعة - أن مشكلة الثأر تمثل ظاهرة جلية فى المجتمعات التى يتجسد فيها الجهل والفقر والمرض.. فالجهل يؤدى إلى فكر متحجر وعقل منغلق تغلب فيه العصبية والقبلية على العقل والتفكير الهادئ الرزين، كما أن انخفاض مستوى التعليم يؤدى إلى سيادة العرف والعادات والتقاليد على تطبيق القانون، ويصبح الإنسان المنغلق على ذاته صاحب العقل المتعصب لديه قانونه الخاص فى الحصول على حقه.

والبيئات التى دخلها منخفض وتعانى من الفقر تسودها البطالة، ويؤدى انخفاض مستوى المعيشة إلى مزيد من الصراعات.

وانتشار الأمراض يؤثر على طريقة التفكير، ويجعل المحيط البشرى أكثر عصبية وحدة ولا يتقبل مع ما يعانيه من فقر ومرض ما يكدره أكثر مما هو فيه.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر))
متفق عليه

ويضيف د. عبد الرحمن رشاد أن المجتمعات القبلية متماسكة وتسيطر على سلوك الأفراد بداخلها ذلك السلوك البعيد عن مجاراته للعقل أو للعلم.

ويرى أن مثقفى الصعيد أهملوا معالجة تلك المشكلة ولم يبذلوا الجهد المطلوب لحلها، وقد بحث عدد من علماء الاجتماع وقاموا بدراسات مجتمعية لمعرفة أسباب تلك الظاهرة وأهم الحلول المقترحة للحد منها وحماية المجتمع من أضرارها وانتهوا إلى أنه لتغيير الفكر والعقول لا بد للنهوض بالعملية التعليمية ونشر الثقافة فى الصعيد ومحاربة الركن الأساسى فى المشكلة وهو الجهل، كذلك لا بد من تغيير الظروف المعيشية المحيطة بالثأر والتى تتسبب فى حدوث المشاكل والنزاعات من خلال النهوض بالاقتصاد ورفع مستوى المعيشة، وأهم الحلول للقضاء على هذه المشكلة هو القصاص العادل من خلال سرعة إجراءات التقاضى فذلك يخمد النيران من البداية قبل أن تشتعل وتدمر كل شىء، وبعد كل هذا يأتى دور الخطاب الدينى فهو المدخل الأقرب إلى العقول والنفوس والأكثر سيطرة على القلوب وبخاصة فى القرى والنجوع فيوضح دعاة المساجد ممن لديهم القدرة على التأثير فى نفوس العامة أن الإسلام دين العدالة والرحمة والعفو، وليس دين

الثأر والعنف، حتى الآيات التى تتحدث عن القصاص بينت أن العفو والرحمة أفضل، وحددت الموكل بإقامة العدل والقصاص.. فالدين الإسلامى يحض على المحبة وتماسك المجتمع وينبذ الكراهية والانتقام الذى يؤدى إلى انهيار المجتمع.. فالإنسان خلق ليبنى ويعمر الأرض، والثأر والانتقام عوامل هدم.

مشروع قومى

ومن أهم الحلول المقترحة للقضاء على هذه الظاهرة وجود مشروع قومى عملاق ينخرط فيه أهل الصعيد، فوقت بناء السد العالى لوحظ أن ظاهرة الثأر قد انخفضت وانشغل الناس عن الانتقام بالبناء.. فالمشروعات العملاقة تخلق هدفًا يتسابق الناس لتحقيقه وتقلل من البطالة فتختفى عوامل النزاع والصراع لديهم.

وللإعلام دور كبير فى هذه الظاهرة ويأتى دوره بالتوازى مع دور القانون، فلا يكفى أن تقوم بعمل قوافل إعلامية فقط، وإنما ينبغى أيضًا أن تتناول الدراما المشكلة بصورة أعمق، فهناك مسلسلات قامت بمعالجة تلك الظاهرة ولكن بشكل سطحى.. وتلك المعالجة الدرامية الضعيفة ربما تأتى بنتيجة عكسية تساعد على تأجيج هذه الظاهرة.

ويرى د. عبد الرحمن رشاد أنه لا بد أن يكون للجامعات فى الصعيد ومراكز البحوث دور فى هذه الظاهرة وأن تعمل بشكل أفضل فى دراستها وتحديد الأماكن الأكثر معاناة من هذه الظاهرة لمكافحتها، كما أنه لا بد من التعاون بين الجهات المعنية كالإعلام والقضاء والخطاب الدينى والتعليم ومراكز البحث لمحاربة ظاهرة الثأر ليعم السلام المجتمع وتختفى عنه تلك الظاهرة تمامًا.

ظاهرة قديمة

تشير **د. ليلى عبد المجيد** - أستاذ الإعلام جامعة القاهرة - إلى أن الثأر يمثل ظاهرة قديمة جدًا نتيجة ضعف التعليم والثقافة، كما أن للإعلام دورًا فى هذه الظاهرة، وكان هذا الدور إيجابيًا فى تغيير تلك الظاهرة المترسخة فى الصعيد فى بعض الفترات، فدور الإعلام دور مساعد ولكنه ليس الأساس، وتغيير الفكر والعقول يحتاج لخطة تتضافر فيها كل الجهود على المدى الطويل.

وترى د. ليلى عبد المجيد أنه لا بد فى هذه الظاهرة من التركيز على المرأة الصعيدية التى لها دور كبير فى تأجيج هذه الظاهرة فتربى أبناءها

على الثأر وتنمى لديهم فكرة الانتقام لأبيهم أو أخيهم.

هناك أعمال درامية حاولت معالجة تلك الظاهرة، ولكن المشكلة تكمن فى عدم استمرارية تناول الظاهرة فهناك مشاكل عديدة يعانى منها المجتمع حين تظهر إحداها على السطح يتم متابعتها لفترة فإذا ما ظهرت أمور أخرى تنشغل بها.

جهد مستمر

وتضيف أن ظاهرة الثأر تحتاج إلى جهد مستمر وليس الإعلام وحده بل لا بد من عمل دراسات إحصائية والتعاون من كل مؤسسات الدولة وعلى رأسها المؤسسات الدينية مع تغيير مناهج التعليم لنشر الفكر والوعى الدينى الصحيح حول تلك الظاهرة، بمشاركة قصور الثقافة ومراكز الشباب التى يمكن من خلالها توعية الفئات العمرية الشابة بأضرار تلك المشكلة.

مجالس الصلح

وتشير د. ليلى عبد المجيد إلى مجالس الصلح التى تعقد لحل تلك الأزمة والصلح بين العائلات التى لها ثأر فهى تحاول حل المشكلة بعد سنوات من الصراع وقتل عدد كبير من البشر فتتدخل لوقف نزيف الدم.. وهذا حل مؤقت وليس علاجًا للمشكلة على أن يكون من البداية وليس بعد سلسال من الدم للحد من تلك الظاهرة التى تمثل عامل هدم يدمر المجتمعات ويهدر الدماء ونحن فى مرحلة بناء.

الدراما

وتؤكد **د. ماجى الحلوانى** - الأستاذ بكلية الإعلام جامعة القاهرة - أن ظاهرة الثأر تمثل أخطر الظواهر السلبية التى تؤثر على المجتمع ويعد الإعلام ركنًا مهمًا فى معالجة تلك الظاهرة من خلال الدراما التى تتمثل فى الكتابة بشكل جيد، وتمثيل شخصيات محبوبة تعبر عن معاناة أهل الصعيد من تلك الظاهرة.. فالعمل الدرامى يستمر لشهر أو أكثر ومن الممكن أن يؤتى ثماره ويقوم بعمل تنويرى يغير الفكر إلى جانب ذلك لا بد أن تكون هناك برامج تستضيف العلماء والمفكرين والمثقفين والفنانين أى برامج جماهيرية للحديث عن تلك الظاهرة، مع التركيز على دور البرامج الدينية فالدين يلعب أهم دور فى هذا الموضوع كذلك يمكن عمل برامج للشباب لتوعيتهم بخطورة الظاهرة وحثهم على الحد منها، أى أن المطلوب تكاتف كل الجهات المعنية لمساعدة الإعلام فى القيام بدوره لمواجهة تلك الظاهرة.

أحمد سعد جريو:

الموروثات الثقافية عظمت الفرد الذى يقوم بأخذ ثأره بيده

خطورة حقيقية

وعن دور وزارة الثقافة فى احتواء ظاهرة الثأر والقضاء عليها يوضح السيد/ أحمد سعد جريو - مؤسس مشروع «المناهضة الثقافية للممارسات الثأرية» وعضو بالمجلس الأعلى للثقافة - أن هذا المشروع يهدف إلى الحد من الممارسات الثأرية فى محافظات جمهورية مصر العربية، وأولى هذه المحافظات التى سيتم فيها تنفيذ المشروع هى محافظة قنا حيث رحب اللواء عبدالحميد الهجان محافظ قنا بالفكرة، وكان هو أكثر المتحمسين لها، وكانت له جهود سابقة فى المصالحة بين العائلات فى قنا.

فعادة الثأر تمثل خطورة حقيقية سواء على المستوى الأمنى أو الاقتصادى أو الاجتماعى، ومستقبل جيل يعيش فى بيئات محرومة من التنمية، والمشروع يسعى إلى الوقوف أمام الثقافة الثأرية التى انتقلت من جيل إلى جيل حيث حرصت هذه الأجيال على التمسك بأخذ الفرد حقه بيده بعيداً عن القانون والشريعة التى جعلت هذا الحق وهو القصاص من القاتل بيد الحاكم فى حين أن الموروثات الثقافية عظمت الفرد الذى يقوم بأخذ هذا الحق بيده، ورسخ الفن الشعبى لذلك حيث تغنى صاحب الربابة ببطولة الفرد الذى أخذ ثأره بيده، وكذلك صورت السينما المصرية عادة الثأر بالشكل البطولى. ويضيف أن المشروع ثقافى فنى مناهض للممارسات الثأرية مع الاستعانة بالفنون والثقافات التى تدعو إلى السلام والحفاظ عليه، وأن يكون الحصول على الحق بيد القانون المتمثل فى الحاكم والمؤسسات التنفيذية.

ويشير إلى أن المشروع يتضمن ثلاثة برامج فهناك البرنامج الثقافى والفنى وكذلك لقاءات تشتمل على أنشطة شعرية وقصصية ونقدية بالإضافة إلى مجموعة من الفنون الموسيقية والمسرحية والغنائية وكلها تدعو شباب البيئات الثأرية إلى نبذ العنف وترك الحق للقانون والحاكم، على أن تعقد لقاءات مع نجوم السينما والشعر والأدب والسياسة لإظهار الوجه المشرق الباسم للحياة بعيداً عن الكآبة والحزن التى تتسم بها هذه البيئات الثأرية، ويشارك فى الأنشطة المؤسسات التعليمية والثقافية والشبابية والأمنية ولجان المصالحات الثأرية واتحاد القبائل العربية.

فكرة المشروع

ويبين السيد/ أحمد سعد جريو أن فكرة المشروع ظهرت بعد صراع بين عائلات فى صعيد مصر أسفر عن أكثر من عشرين قتيلا وأربعين مصابا وحكم فيه على خمسة عشر فرداً بالإعدام خلال الفترة من ٢٠١١م - ٢٠١٥م، والمحزن فى الأمر أن معظم القتلى

كانوا من الشباب منهم من حصل على أعلى المؤهلات الدراسية ومنهم من كان فى مناصب عالية.

وفى هذه الصراعات الثأرية يبرز دور المرأة فهى الأم التى فقدت ابنها، والزوجة التى فقدت زوجها وهى الأكثر ألمًا وحزنا على الفراق لذا فهى الدافع والمحرض للأخذ بالثأر فتدفع بابن أو أخ المقتول لقتل القاتل لتشفى غليلها حتى يأخذ أى منهما بالثأر للمقتول ويشير إلى أن المشروع يدعو إلى ثقافة التسامح والسلام وتقبل الآخر والتعايش معه، وأن يسود القانون العادل بين أفراد المجتمع بمشاركة مؤسسات الدولة بمختلف أنواعها للمساهمة فى غرس هذه الروح فى القرى ذات الطابع الثأرى من خلال وضع برامج تنموية تهدف إلى رفع معيشة هذه القرى فالممارسات الثأرية لها تأثيرها الاقتصادى على صاحب الثأر الذى يهجر عمله وأرضه، كما أن هذه الممارسات الثأرية تعد مناخًا خصبًا لتجار السلاح، وتصبح البيئة مهيأة لتنامى الإرهاب وشراء وبيع السلاح وكذلك تجارة المخدرات، ويتم الاستعانة بشباب هذه البيئات لتنفيذ العمليات الإرهابية ... هؤلاء الشباب الذين افتقدوا الغد المشرق فهم ما بين جناة هاربين من تنفيذ الأحكام أو معرضين للقتل.

نتائج سلبية

ويشير المهندس/ أحمد بهاء الدين شعبان - مقرر لجنة ثقافة الشباب بالمجلس الأعلى للثقافة - إلى أنه نظرًا للنتائج السلبية الكبيرة المترتبة على عادة الثأر وتأثيرها العنيف على الحياة الاجتماعية وإهدارها للطاقات البشرية والمادية وتهديدها للسلم الاجتماعى استجابت لجنة الشباب بالمجلس الأعلى للثقافة لاقتراح أحد أعضائها وهو السيد/ أحمد سعد جريو بإيلاء هذه القضية الاهتمام الواجب وذلك بالتفاعل مع اللجان الشعبية فى حل المشكلات الثأرية بين القبائل والعائلات فى صعيد مصر، والتفاعل مع جهودها وجهود المؤسسات الرسمية التى تستهدف وضع حد لهذه الظاهرة المتوارثة التى أدت إلى تدمير آلاف من البشر على مدى العقود الماضية، وبما يعكسه ذلك من مآسى وكوارث على الحياة الإنسانية فى جزء مهم من مصر وهو منطقة الصعيد، فتكونت فى محافظات الصعيد لجان شعبية تطوعية تشترك معًا فى مواجهة هذه الظاهرة ونزع فتيل الانفجار الناتج عنها، والسعى لإيجاد حلول لتهدئة الأمور وحل المشكلات وديًا دون اللجوء للعنف، واستهدفت هذه اللجان شباب محافظات الصعيد وهى الفئة العمرية التى يقع على كاهلها أغلب عمليات الثأر، وتشكل الأغلبية العظمى من ضحاياها، ولذا كان التركيز على هذا القطاع من خلال عقد برامج تثقيفية وتوعية للوصول بهم إلى قناعة تامة إلى خطورة هذا الفعل الشنيع واللجوء إلى الدولة لتنفيذ القانون فى عقاب المخطئ بهدف الحفاظ على أرواح مئات الشباب الذين يسقطون كل عام ضحايا لهذه الأفكار السلبية العنيفة المتوارثة.

> م: أحمد بهاء الدين
>
> **استهدفت اللجان الشعبية شباب الصعيد حيث يقع على كاهلهم أغلب عمليات الثأر**

وعرض لجنة الشباب فى هذا السبيل محل ترحيب من جميع الهيئات المعنية المحافظ وممثلين عن المحافظة وقيادات شعبية ورؤساء العائلات والقبائل والتجمعات الشبابية والشعبية حيث استجابت للمشاركة فى برنامج الحوارات لمعالجة الممارسات الثأرية وسوف تعمم هذه اللقاءات خلال الفترة القادمة لتنفيذ خطة هذا التوجه، وتضافر جهود المجتمع فى صعيد مصر لحصار هذه الظاهرة، وإيجاد حلول لهذه الدوافع التى جعلتها تستشرى بهذا الشكل من خلال الحوار والتوعية مع أسر الضحايا واستخدام التأثير الروحى والدينى لهذه الظاهرة وزيادة الوعى بخطورتها على أبناء الصعيد والبيئة المحيطة.

الصلح تجارة مع الله

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، بفضل الله تغلبنا على الشيطان بل دحرناه تماما عندما قضينا على منابع جريمة الثأر التى كانت متغلغلة فى محافظات الصعيد عندما فعلنا لجان المصالحات وكان آخر صلح فى محافظة قنا صلح كبير بين آل أبو سحلى وآل مخلوف وتم الصلح تحت رعاية محافظ قنا والقيادات الأمنية والشعبية فى استاد قنا الرياضى.

وفى العام الماضى أجرينا بفضل الله فى محافظة أسوان بين الدابودية والهلالية التى وصل فيها عدد القتلى أكثر من ٢٧ قتيلا. فالصعيد الآن يشهد تقدما ملحوظا فى فقه الصلح والمصالحة. الصلح خلق عظيم، به تنتشر المودة والمحبة، وتحفظ الوحدة والألفة بين الناس، وتزول الأحقاد والضغائن من النفوس، وتصفو القلوب من كل كراهية وبغضاء. وتزول كل أسباب العداوة والخصومة والنزاع... إنه الصلح، والإصلاح بين الناس.

د. أحمد عبد اللطيف الكلحى*

وما أحوج الأمة اليوم إلى هذه الخصلة الحميدة، وإلى هذا الخلق العظيم، فى زمن كثرت فيه الصراعات والنزاعات، والهجر والقطيعة، فلم يسلم منها الأقارب فيما بينهم، ولا الجار مع جاره، ولا الأصدقاء، ولا الشركاء.

والصلح: تصالح القوم بينهم. والإصلاح: نقيض الإفساد. وإصلاح ذات البين: إزالة أسباب الخصام والنزاع، بالتّسامح والعفو، أو بالتّراضى. فمن أخلاق الإسلام، وصنائع المعروف: الصلحُ بين الناس إذا تقاطعوا، والصلح بين الناس إذا تهاجروا، وقطع أسباب الضغائن والشحناء، وقطع أسباب الفتن والبغضاء، فإنها من أعظم الأمور المقربة إلى الله جل وعلا.

و الاختلاف من سجايا البشر، والتنازع من عاداتهم: وذلك لاختلاف أخلاقهم وطباعهم؛ ولتنافسهم فى حظوظ الدنيا من المال والشرف وغيرهما ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ● إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ (هود: ١١٨، ١١٩)، وأكثر الناس يغضبون لأجل الدنيا ولا يغضبون للدّين، تنتهك حرمات الله تعالى فلا يتحرك قلب أحدهم، ولكنه يغضب أشد الغضب إذا انْتُقِصَ شىء من دنياه، أو اعتُدِى على كرامته،

* إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

ولأجل ذلك تكثر الخصومة فيما بينهم، بل قد تكون الخصومة على أمور حقيرة، وأسباب تافهة، ولكن الشيطان ينفخ فيها حتى تعظم فى نفوس المتخاصمين. وقديما اشتعلت حرب (البسوس بين بكر وتغلب) فدامت أربعين سنة أكلت القبيلتين من أجل ناقة عُقِرت!! واشتعلت حرب داحسَ والغبراء فى خيل سُبِقَت!! وليس ثمن الناقة أو الخيل أغلى من ثمن الرجال والقبائل حتى تُسَعَّر الحروب فى سبيلها، ولكنه الشيطان الذى يُشعل الفتن الكبيرة من مستصْغَر شررَها، فإن قضى على أسبابها فى بادئها وإلا نفخ الشيطان فى نارها حتى تُفنى قبائل فيها، وكم من قتيل ذهبت روحه فى خصومة بدأت صغيرة فكبرت حتى فقدته أسرته؟! وكم من رحم قُطعت سنوات طويلة بسبب كلام قيل فى فلان أو نقلَ عنه؟! وكم من أحباب تهاجروا فى وشاية سرت بينهم؟! والخصومة قد تقع بين زعماء الدول حتى تصل إلى حروب يكتوى بنارها شعوب لا ذنب لها، وقد تقع الخصومة بين طائفتين من المسلمين: قبيلتين أو أسرتين أو جماعتين أو حزبين، فَتُفَرِّق أفرادَهما الخصومةُ وقد جمعهم الإسلام، إن التنازع مفسد للبيوت والأسر، مهلك للشعوب والأمم، سافك للدماء، مبدّد للثروات: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ (الأنفال: ٤٦) الخصومة والنزاع من سعى الشيطان وكيده؛ فهمّه أن يزرع الأحقاد والضغائن فى النفوس، وأن ينشر الخلافات والنزاعات بين الناس، ففى صحيح مسلم عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِى التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ». أى أنه يسعَى فى التَّحْرِيش والتحريض بَيْن المؤمنين بِالخُصُومَات وَالشَّحْنَاء وَالحُرُوب وَالْفِتَن، بعد أن أيس أن يعبدوه ويطيعوه.

فأين المتهاجرون الذين يرفضون كل مبادرة للصلح من أهل الخير والصلاح، ويردّون كل الأطراف؛ حتى من أصحاب العلم والفضل وكبار السن. يُسوّل الشيطان لبعض المتهاجرين أن الصلح هزيمة ومذلة، وهو للآخَر انتصار وعزة، ونسيَ قول رسول الله ﷺ: «ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزّاً». وقول ربه سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ (الشورى: ٤٠)، فاحرص على الأجر يرحمك الله. وفى الصحيحين عَنْ أَبِى أَيُّوبَ الأَنْصَارِىِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِى يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ».

وأخرج الطبرانى فى معجمه عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ

جاء الإسلام بإصلاح ذات البين وأوصد الطرق المؤدية إلى فسادها

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ هجر أخاه فوق ثلاث، فهو في النار، إلا أن يتداركه الله منه بكرامته».

وفى صحيح مسلم عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أبوابُ الجَنَّة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغْفَرُ لكل عبد لا يُشْرِكُ بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بَيْنَهُ وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا، أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا، أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا» أى أخروا وأمهلوا هذين عن نيل المغفرة حتى يصطلحا. قال الحافظ ابن عبد البر (رحمه الله): يدل هذا الحديث على أن الذنوب إذا كانت بين العباد، فسامح بعضهم بعضاً، سقطت المطالبة بها من قِبَل الله عزَّ وجلَّ.

فهل يُعقل أن نرى أبًا وابنه، أو أخًا وأخاه، متهاجرين عشرات السنين؟ لولا أن الأعين تراه والواقع يحكيه لما صدّقناه وقبلناه، يتحاكمون إلى القضاء الشهور والسنين، على أمور تافهة وحقيرة من متاع الدنيا الزائل، فتذهَب أُخوّة الدّين ولحُمة الرّحم والنسب، فتصغى الآذان لكلام نساء وأطفال وأهل وشاية، ثم يُشعلها الشيطان فتكون حطاماً وناراً. ومَن المستفيد؟ إنه الشيطان وحزب الشيطان. فأين العقول وطهارة القلوب وسلامة الصدور؟ أين الإيمان، وأين القرآن؟..

إن الإسلام جاء بإصلاح ذات البين، وأوصَدَ الطرقَ المؤدية إلى فسادها، وأمر المسلمين بالإصلاح بين المتخاصمين، كما حث المتخاصمين على قبول أيِّ مبادرة للصلح وفض النزاع والشقاق، وإنهاء القطيعة.

أمر الله تعالى بالإصلاح بين الناس فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (الحجرات: ١٠)، وقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١). وإن الأمة فى كثير من مواقعها تحتاج إلى إصلاح يُدْخِل الرّضا على المتخاصمين، ويُعيد الوئام إلى المتنازعين، إصلاح تسكن به النفوس، وتتآلف به القلوب، إصلاح يقوم به أناس خيرون، شرفت أقدارهم، وكرمت أخلاقهم، وطابت منابتهم، وإنهم بمثل هذه المساعى الخيرة يبرهنون على نُبل الطباع وكرم السجايا. فئات من ذوى الشهامة من الرجال أو النساء، أصحاب مقامات علية من القوم، مصلحون ذوو خبرة وعقل، وإيمان وصبر، يحضرون الناس فى أحوالهم ومعاملاتهم، حُذّاق فى معالجة أدوائهم، وهمهم جمع الشمل والسعى فيما يرضى الطرفين.

إن سبيل الإصلاح عزيمة راشدة، ونية خيرة، وإرادة مصلحة، وإن بَريدَ الإصلاح حكمةُ المنهج، وجميلُ الصبر، وطيبُ الثناء. إنه عمل جليل يقوم به لبيب تقى، يَسرّه أن يَسود الوئام بين الناس: ﴿وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (النساء: ١٢٩).

الإصلاح بين الناس رأبٌ للصدع، ولمّ للشعث، وإصلاح للمجتمع كله. ثوابه عظيم لمن ابتغى به وجه الله عز وجل. وإن الموفق إذا رأى بين اثنين عداوة وتباعدا سعى بينهما فى إزالة العداوة والتباعد حتى يكونا صديقين متقاربين.

إن الكريم لا يحقد ولا يحسد، ولا يبغى ولا يفجر، إن بلغه عن أخيه ما يكره التمس له عذرًا، لعلمه أن الاعتذار يذهب الهموم، ويجلى الأحزان، ويدفع الأحقاد، ويزيل الصدود.

ومرة أخرى مع الصّلح والإصلاح بين الناس؛ فتعالوا بنا لنتعرف أكثر على فضل الصلح والإصلاح بين الناس، لعل أناسا ممن أراد الله بهم الخير يسعون فى الصلح والإصلاح بين الناس.

إنه: خُلق عظيم: فضله عظيم، وأجره كبير، وخيره كثير. إنه عنوان الإيمان والأخوّة، ومصدر الطمأنينة والهدوء، ومبعث الاستقرار والأمن، ويَنبوع الألفة والمحبة. وصدق ربى إذ يقول: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء: ١٢٨).

الصلح خير، خير من النزاع والخصام، خير من

الهجر والفراق، خير من القصاص والانتقام.

فهنيئا لمن أجرى الله الخير على يديه، فجعله سببا للمّ شمل قد تفرق، وإنهاء فُرْقة دامت لسنوات:

أخرج ابن ماجة في سننه عَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ» (حديث حسن).

وأخرج أحمد والترمذى عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ» فَقِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ»: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

ويقول ربنا سبحانه: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤). ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ (النساء: ١١٤) أى: لا خير فى كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير، فإما أنه لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما أنه شر ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه.

﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾أى إلا أن تكون هذه النجوى وهذا الكلام أمرا بصدقة من مال أو علم أو أى نفع كان. أَوْ مَعْرُوفٍ وهو الإحسان والطاعة وكل ما عرف فى الشرع والعقل حسنه.

﴿أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وهو عقد الصلح بين متنازعين متخاصمين متهاجرين؛ سواء بين الأفراد أو الجماعات. ولكن كمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص، ولهذا قال عز وجل: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيمًا﴾.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

إن الله ـ تعالى ـ إذا أراد بعبد خيرا استعمله ، فقيل : فكيف يستعمله يا رسول الله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل الموت

الاشتغال بالصلح بين المتخاصمين أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات؛ لما فى الإصلاح بين الناس من النفع العام الذى يكون سببا فى وصل أرحام قطعت، وزيارة إخوان هُجِروا، ونظافة القلوب مما علق بها من أدران الحقد والكراهية، وذلك ما يؤدى إلى متانة المجتمع وقوته بتآلف أفراده وتماسكهم، فقد أخرج الإمام أحمد والترمذى وأبو داود وابن حبان عَنْ أَبِى الدَّرْدَاء رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ، لاَ أَقُولُ إِنَّهَا تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ».نعم؛ إن فسادَ ذات البين تحلق الدين؛ تقضى عليه وتذهب بأجره وثوابه؛ لأن النزاع والعناد قد يؤديان إلى الفجور والعدوان.

فساد ذات البين تحلق الدين، لأن صاحبه قد يأتى يوم القيامة مُفلسا أما المؤمن الحق فهو على العكس من ذلك؛ لا يحمل الغلّ ولا الحقد ولا البغضاء، لسلامة صدره من ذلك، قلبُه أبيض ناصع، لا يبيت وفى قلبه على مسلم شىء، ولا يخرج عن العدل وقول الحق قدر أنملة، منصفٌ فيما يقول

حرص النبى ﷺ على السعى بالصلح بين الناس وباشر الصلح بنفسه

ويُدْلى به، سواء كان الخصم غائبًا أو حاضرًا، يخشى الله فى سِرّه وعَلنه، لا يَهمه أمر البشر: لأن إيمانه وخوفه من الله يَردَعه عن الوقوع فيما حرّم الله، فهو ينتصب للدفاع عن نفسه ودفع الظلم عنه بالكلمة الصادقة والقول الحق العدل السديد.

الإصلاح بين الناس تجارة مع الله (عز وجل):

ومَن ذا الذى يأبى التجارة مع الله، إلا محروم غافل. فقد قال - عليه الصلاة والسلام - لأبى أيوب رضي الله عنه: «ألا أدلك على تجارة؟» قال: بلى يا رسول الله. قال: «تسعى فى الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا» (أخرجه البزّار فى مسنده. وهو فى صحيح الترغيب والترهيب).

الإصلاح بين الناس من هدى المصطفى ﷺ:

فلقد كان من هدى النبى ﷺ السعىُ فى الإصلاح بين الناس، وكان يَعرض الصلح على المتخاصمين، كما أنه باشر الصلح بنفسه فى مواطن عديدة. وحث صحابته على ذلك. فقد أخرج البخارى فى صحيحه عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه: أَنَّ أَهْلَ قُبَاءٍ اقْتَتَلُوا حَتَّى تَرَامَوْا بِالْحِجَارَةِ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَالَ: «اذْهَبُوا بِنَا نُصْلِحُ بَيْنَهُمْ» فأمر النبى ﷺ أصحابه أن يذهبوا معه للإصلاح بينهم.

بل إن النبى ﷺ كان يذهب فى الإصلاح ولو بعدت المسافة وفاته شىءٌ من الجماعة لأجل الإصلاح بين الناس، ففى صحيح البخارى عَنْ سَهْلِ ابْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ بَنِى عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَىْءٌ، فَخَرَجَ يُصْلِحُ بَيْنَهُمْ فِى أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَحُبِسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتِ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ بِلَالٌ إِلَى أَبِى بَكْرٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ حُبِسَ، وَقَدْ حَانَتِ الصَّلَاةُ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَؤُمَّ النَّاسَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِنْ شِئْتَ... الحديث. وكذلك كان السلف (رحمهم الله) حريصين على هذا الخير ساعين فيه. فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصى من يُوليه ويقول: (ردُّوا الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يُحْدث بين القوم الضغائن).

وأخرج ابن أبى شيبة عَنْ أَبِى حَصِينٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ: أَنَّهُ رُبَّمَا أَتَاهُ الْقَوْمُ يَخْتَصِمُونَ إِلَيْهِ فِى الشَّىْءِ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَاصْطَلِحُوا. ويقول الأوزاعى رحمه الله: (ما خُطوة أحبّ إلى الله عز وجل من خُطوة فى إصلاح ذات البين). ذلكم شىءٌ من فضل الصلح، وتلكم جوانبُ مما ورد فى الحث عليه، واهتمام الإسلام به، وتكريم أهله. فأى نفس بعد ذلك تأباه وتعرض عنه؟ أى نفس ترفضه ولا تسعى فيه؟... ولو أننا راجعنا الوقائع وتصفحنا الحوادث لوجدنا أن كثيرا من المشاكل الاجتماعية ترجع فى جملتها إلى إهمال الصلح بين الناس، فما اشتدّت الفتن ولا اشتعلت الحروب، ولا أريقت الدماء، ولا أزهقت النفوس، ولا بُدِّدت الأموال، ولا قطعت الأرحام، ولا خُرّبت البيوت، ولا قوّضت الأسر، ولا شُرّد الأطفال، ولا مُزقت الجماعات إلا لأن الناس قد أهملوا الصلح بين المتخاصمين والتوفيق بينهم، وتركوا الشرّ ينتشر حتى عمّ القريب والغريب، وقضى على الأخضر واليابس، وأهلك النفوس والأموال.

فأين نحن من أخلاق الإسلام السامية، ومبادئه الغالية. فلقد أقضّت مضاجعَ القضاة القضايا، وامتلأت كثيرٌ من السجون بالبلايا، ناهيك بما فى مراكز الشرطة وأسرّة المشافى من المآسى نتيجة كثرة النزاعات والخصومات...

ألا ينبرى خيّرون بمساعى حميدة هنا وهناك، ليطفئوا نار الفتن، وينزعوا فتيل اللهب؟!

إن ميدان الصلح واسع عريض، وصُوَرُه كثيرة ومتعدّدة. تحتاجه الأمة أفرادا وجماعات، فى البيوت والأسر. فى الإدارات والمؤسسات، بين الأزواج، وبين الأقارب والجيران، وبين الأصدقاء والشركاء، فى الأموال والدماء، والنزاع والخصومات..

من صور الصلح بين الناس

من أعظم الصلح: الصلح بين المسلمين المتقاتلين

المتصارعين، حقنا للدماء، وصيانة للأنفس والأموال والأعراض. فإن إراقة الدماء بين المسلمين من أعظم الكبائر، ومما يفرق الصفوف أشد تفريق، ولذلك قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩).

قال الله تعالى :

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾

سورة الحجرات

فلكى يثمر الصلحُ نتيجته المرجوّة لا بدّ من معرفة فقهه ومسالكه؛ فللإصلاح فقه ومسالك، دلت عليها نصوص الشرع، وسار عليها المصلحون المخلصون الناجحون، ومن ذلك:

الإخلاص فى الإصلاح بين الناس

فمن فقه الإصلاح صلاح النية، وسلامة القصد، وابتغاء مرضاة الله، وتجنب الأهواء الشخصية، والمنافع الذاتية. فإذا تحقق الإخلاص حلّ التوفيق بإذن الله، وجرى التوافق، وأنزل الله الثبات فى الأمر والعزيمة على الرشد.

أما مَن قصد بإصلاحه الترؤس والرياء، وارتفاع الذكر والاستعلاء، فبعيد أن ينال ثواب الآخرة، وحرى ألاَّ يحالف التوفيق مسعاه: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ (النساء:١١٤).

فالإصلاح بين الناس مَهمة عظيمة، وواجب دينى مقدس، لا يقوم به إلا أولئك الذين شرفت نفوسهم، وصفت أرواحهم، وتضاعف إيمانهم، وكمل يقينهم، أذواقهم سليمة، وطباعهم مستقيمة، وضمائرهم حية، وشعورهم نبيل، يكرهون الشر، ويمقتون الخلاف عند غيرهم من الطوائف، ويسعون لإبطال عمل الشيطان، ويجدّون فى إحباط كيد الخائنين، ويعملون على إطفاء الفتن، وإزالة الشرور، وحقن الدماء، وصيانة الأنفس، وحفظ الأموال، وتأليف القلوب، فهم كالماء الذى يُطفئ النار قبل أن يَستفحِل شرّها، أو كالنور الذى يُبدّد الظلام قبل أن يَعُمّ.

ولْيتسلح المصلح فى إصلاحه بالعلم والحكمة، حتى لا يفسد من حيث يريد الإصلاح، وحتى لا يشتت الشمل من حيث يريد جمعه. ولْيسألْ أهل العلم فيما يحتاج إلى سؤال؛ ليتبين الظالم من المظلوم، والمخطئ من المصيب، فينبه الظالم على ظلمه، ويدل المخطئ على خطئه.

على المصلح أن يبذل وسعه فى تقارب وجهات النظر بين الخصمين، وليقترحْ من الحلول أنفعَها وأحسنَها مما فيه مصلحة للطرفين.

على المصلح أن يختار من الكلام أحسنه وأليقه، فقد أذن الشرع للمصلح أن يختار من الكلمات ما يُطَيِّبُ به خاطر الخصمين، ويُزيلُ الأحقاد والضغائن من النفوس.

على الساعى بالإصلاح أن يتحرى العدل فى صلحه؛ فلا يميل لأحد الخصمين لقوته ونفوذه، أو لإلحاحه وعناده، فيظلم الآخر لحسابه، فيتحول من مصلح إلى ظالم، ولا سيما إذا ارتضاه الخصمان حكما بينهما فمالَ إلى أحدهما، وقد أمر الله تعالى بالعدل فى الإصلاح بين الخصوم فى قوله سبحانه: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩).

حرمة إراقة الدماء فى الشريعة الإسلامية

لقد شدد الإسلام على حرمة قتل النفس لما لها من مكانة عالية لديه، ووضع الأحكام والقواعد التى تحافظ عليها، وتمنع العدوان عليها. فنجده مثلا ينفى عن المؤمن مجرد إرادة قتل أخيه؛ لأن هذا لا يتوافق مع دينه الإسلام. وإن حدث ذلك فإنه لا بد أن يكون نتيجة خطأ لا عمدا. قال تعالى فى سورة النساء: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَأً﴾ (الآية ٩٢).

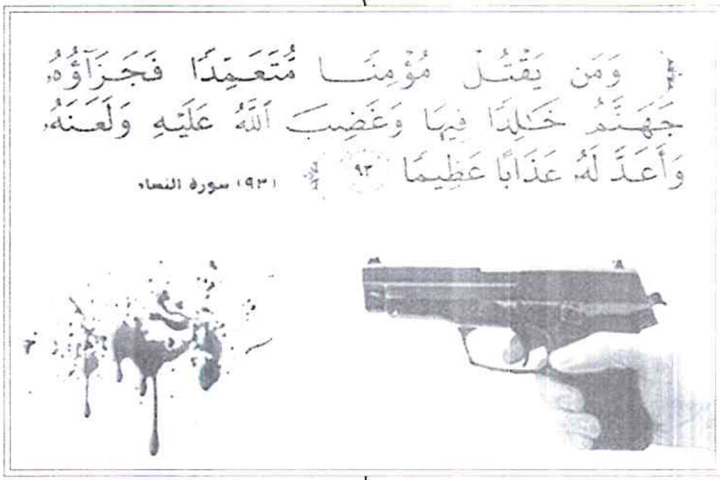

د. محمد مبارك البندارى*

يقول القرطبى ـ رحمه الله ـ: «هذه آيةٌ من أمهات الأحكام، والمعنى: ما ينبغى لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ، فقوله تعالى: «وما كان» ليس على التحريم والنهى كقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ﴾ (الأحزاب: الآية ٥٣). ولو كانت على النفى لما وجد مؤمن قتل مؤمنًا قطّ؛ لأنَّ ما نفاه الله فلا يجوز وجوده... والتقدير ما كان له أن يقتله البتة لكن إن قتله خطأ فعليه كذا».

إنَّ الإيمان الصحيح يمنع المؤمن من قتل أخيه الذى قد عقد الله بينه وبينه الأخوة الإيمانية التى من مقتضاها محبته وموالاته، مهما كانت الأسباب واختلافات وجهات النظر، بل يجب عليه إزالة ما يعرض لأخيه من الأذى، وأىُّ أذى أشدُّ من القتل؟! وهذا يصدق قوله ﷺ: «**لا ترجعوا بعدى كفارًا يَضربُ بعضكُم رقاب بَعض**»، فعُلم من ذلك أنَّ القتلَ من الكفر العملىّ وأكبر الكبائر بعد الشرك بالله.

لذَا فإنَّ القتل العمد له الحكم الشديد فى الدنيا والآخرة، وأخبرَ سبحانه بأنَّ جزاءه جهنَّم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء: الآية ٩٣)، أى فهذا الذَّنب العظيم قد انتهض وحده أن يُجَازى صاحبه بجهنم بما فيها من العذاب العظيم والخزى المهين وسخط الجبَّار وفوات الفوز والفلاح وحصول الخيبة والخسارة.

ولعظم قتل النَّفس بغير حقٍّ نجدُ أنَّ القرآن قرنه بالشرك بالله تعالى، وكل ذلك حرصًا من الإسلام على سلامة النفوس المعصومة من الاعتداء، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الأنعام: الآية ١٥١)، وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ (الإسراء: الآية ٣٣).

* أستاذ مساعد فى جامعتى أم القرى والأزهر

يقول القرطبى ـ رحمه الله ـ : «وهذه الآية نهى عن قتلِ النفس المحرمة مؤمنة كانت أو معاهدة إلا بالحق الذى يوجب قتلها».

وأكد النبى ﷺ حرمة دماء المسلمين، وأنها معصومة من الاعتداء، فقال ﷺ كما فى الصحيحين: **«لا يحلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنّى رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزانى، والمفارق لدينه التارك للجماعة»**. وقال ﷺ فى حجة الوداع: **«إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا»**، وفى هذا بيان توكيد غلظ تحريم الأموال والأعراض والتحذير من ذلك ـ كما يقول النووى ـ رحمه الله ـ، ثم قال ﷺ: **«ألا هل بلّغت؟»**، فقال الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ: نشهدُ أنك قد بلغتَ وأدّيتَ ونصحتَ، فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إلى الأرضِ ويقول: **«اللهمَّ اشهد.. اللهمَّ اشهد»**.

ومنعَ ﷺ الاعتداء على المسلم من الناحية المعنوية أو الجسديَّة، فقال ﷺ: **«لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابرُوا ولا يبع بعضُكم على بيعِ بعض وكُونُوا عباد الله إخوانًا، المسلمُ أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا، ويُشير إلى صدره ثلاث مرات، بِحسْب امرئٍ من الشرِّ أن يحقر أخَاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»** (رواه مسلم)

وحرمة هذه الثلاثة مشهورة معروفة ومعلومة من الدين بالضرورة، وجعلها لكل مسلم لشدةِ اضطراره إليها، فالدَّم فيه حياته، ومادته المال فهو مال الحياة الدنيا، والعِرْض به قيام صورته المعنوية، كما قال المناوى ـ رحمه الله ـ.

بل أكثر من ذلك فقد ورد المنع عن الحبيب المصطفى أن يُشار إلى المسلم بحديدة ونحوها، خشية أن تزلّ يد أو يحدث خطأ ما فيصاب المسلم بأذى ، فقال ﷺ: **«إن الملائكة لتلعن أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديدة وإن كان أخاه لأبيه وأمه»** (رواه ابن حبان).

إذًا استحقَّ من يشيرُ اللعن فكيف الذى يُصيب بها ؟، ونهى ﷺ أنْ يتعاطى السيف مسلولاً؛ لأنه ربَما غَفَل عنه فيسقط ويُؤذى حينئذ، ما أعظم هذا الدين الذى يعدُّ ترويع المسلم حرامًا بكل حال سواء

حرمة المسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شهر ذي الحجة في مكة المكرمة في يوم النحر

فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، وستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا ، يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه

متفق عليه

كان هزلاً ولعبًا أم لا، فسدَّ الباب من مدخله تأكيدًا على حُرمة دمِ المسلم، وقال ﷺ: «**لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى لعلَّ الشيطان ينزغ فى يده، فيقع فى حفرةٍ من النَّار**» (رواه البخارى)، وقال ﷺ: «**لا يزال المرء فى فسحة من دينه ما لم يصبْ دمًا حرامًا**».

فالإسلام يَنهى عن قتلِ النفس ـ أيّ نفس كانت ـ: ﴿**... أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ...**﴾ (المائدة: الآية ٣٢) : لأن النفس لها مكانة تعادل كل النفوس فى حرمة الاعتداء، وضرورة الحفاظ عليها حتى ولو لم تكن مسلمة، فمن استحلَّ قتلها بلا سببٍ أو جناية فكأنما قتل الناس جميعا لأنَّه لا فرق عنده بين هذا المقتول وغيره، أى لا فرق بين نفسٍ ونفسٍ، ومن أحياها وحرَّم قتلها واعتقد ذلك، فقد سَلِم الناس كلهم منه بهذا الاعتبار. وهنا نؤكِّد أن الإسلام عَصَم أيضًا أنفس المعاهدين والمستأمنين ومن فى حكمهم، وأنَّ من أعطاهم الأمان من المسلمين ـ أى مسلم كان ـ وجب عدم نقض هذا العهد والأمان، قال ﷺ: «**ذمة المسلمين واحدة فمن أخْفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل**» (أخفر: أى نقض العهد).

لذا فالحكم على المفسدين والقتلة يتناسب وجرمهم، فكما أن الفساد ضرره شديد وآثاره خطيرة كان الحكم على صاحبه شديدًا ردعًا لمن تسوِّل له نفسه ترويع الآمنين والاعتداء عليهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاَفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ**﴾ (المائدة: الآية ٣٣).

وقتل النفس ـ مسلمة أو غير مسلمة ـ بغير حق إفساد عظيم فى الأرض لا يتوافق ودينَنا الحنيف، دين الإصلاح والإعمار والنهى عن كل فساد قل أو كثر. قال تعالى: ﴿**وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا...**﴾ (الأعراف: الآية ٥٦)، وهذه دعوة الأنبياء جميعا قال تعالى عن قوم مدين: ﴿**وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا...**﴾ (الأعراف: ٨٥) .

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: «كانت الأرض قبل أن يبعث الله شعيبا رسولا يعمل فيها بالمعاصى وتستحل فيها المحارم، وتسفك فيها الدماء، قال: فذلك فسادها، فلما بعث الله شعيبا ودعاهم إلى الله صلحت الأرض وكل نبىّ بعث إلى قومه فهو صلاحهم .

دعا الإسلام إلى الرفق واللين وعدم قتل الأبرياء وحذر من الفساد

> عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم : ((لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يُصِبْ دماً حراماً))
>
> صحيح البخاري

وحَمَل «قابيل» إثم قَتْل «هابيل» وكل نفس تُقتل إلى يومِ الدِّين، لأن قتل النفس عظيم، تغير بعده وجه الأرض فعرف آدم أن شيئًا عظيمًا وقع، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (فصلت: الآية ٢٩) قالوا من الإنس «قابيل» فهو صاحب أول معصية عُصِيَ الله بها فى الأرض، وأول جريمة نكراء بسبب الحسد فكان قتله لأخيه، وفى حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال النبى ﷺ: «ليس من نَفْسٍ تُقتل ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ منها؛ لأنه أوَّل من سنَّ القتل أولاً» (رواه الشيخان).

وحذَّر قرآننا الخالد من تلبيس المجرمين المفسدين على الناس أفعالهم بما يقولونه لهم من أنهم يريدون الخير وخدمة الأمة، قال تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ • وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ • وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة: الآيات ٢٠٤ ـ ٢٠٦).

قال ابن جريج: «سعى فى الأرض ليفسد فيها» أى قطع الرحم، وسفك الدماء دماء المسلمين، فإذا قيل لم تفعل كذا وكذا؟ قال: أتقرَّب به إلى الله عز وجل.

إنَّ الإسلامَ مبناهُ على الرفقِ واللينِ، وعدم العنف ؛ لذا فليس فيه ما يدعو إلى قتل الأبرياء والاعتداء على الأنفس المعصومة، فقد قال النبى ﷺ لعائشة ـ رضوان الله عليها ـ وعن أبيها الصديق ـ: «يا عائشة! إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف وما لا يعطى على ما سواه» وقال ﷺ: «إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه ولا ينزع من شىء إلا شانه» (رواهما مسلم فى صحيحه).

وحذَّر النبى ﷺ من المشاركة فى الإفساد أو المعاونة على قتل الأنفس ففى حديث أبى ذر (جندب بن جنادة) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم؟» قلت: ما خار الله لى ورسوله، قال: «عليك بمن أنت منه»، قلت: يا رسول الله! أفلا آخذ سيفى وأضعه على عاتقى؟ قال: «شاركتَ القوم إذن»، قلت: فما تأمرنى؟ قال: «تلزم بيتك»، قلت: فإن دخل علىّ بيتى؟ قال: «فإن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق ثوبك على وجهك يبوء بإثمك وإثمه» (رواه أبو داود) .

هذه هى دعوة الإسلام لمن أراد الحقيقة باعتدال وسمو ويسر ووسطية لا تطرف ولا غلو، فالإسلام بنصوصه قد سبق غيره من الأنظمة والقوانين فى تأكيده حرمة الاعتداء على الإنسان، بل قل كل الموجودات إلا إن وجد السبب الملجئ لذلك، وعلماء المسلمين قديمًا وحديثًا قرروا أنَّ الإرهاب الذى يتمثل فى التفجير العشوائى، وسفك الدماء البريئة، وتخريب المنشآت، وإتلاف الأموال المعصومة، وإخافة الناس، والسعى فى الأرض بالفساد أمرٌ لا يقرُّه شرع ولا عقل سليم .

وزير الأوقاف خلال لقائه بوزيرة الدولة للهجرة يؤكد:

نشـــر الفكر الوسطى بين جـــميع المصـــريين في الداخل والخـــارج أمـــانة في أعناقنا

أخبار ولقاءات

محمد سيد أحمد على الدين

استقبل معالى أ.د/ محمد مختار جمعة - وزير الأوقاف - سعادة السفيرة/ نبيلة مكرم - وزيرة الدولة للهجرة وشئون المصريين بالخارج - بديوان عام وزارة الأوقاف.

وفى بداية اللقـــاء ثمَّن معالى وزير الأوقاف دور سعادة السفيرة نبيلة مكرم وجهودها لخدمة المصريين بالخارج، وأكد على أهمية التعاون المشترك بين وزارة الأوقـــاف ووزارة الهجرة وشئون المصريين بالخارج فى خدمة المصريين بالخارج وربطهم بوطنهم اقتصاديًا وسياسيًا وحضاريًا وفكريًا وثقافيًا من خلال إيفاد الدعاة للخارج للإسهام فى تصحيح المفاهيم الخاطئة، وبخاصة أن الجانب الدينى والفكرى أصبح هاجسًا كبيرًا فى الداخل والخارج، فكل الدول تتخوف من الفكر المتشدد.

كما أوضح معالى وزير الأوقاف أن مهمتنا الآن إظهار سماحة الإسلام ووسطيته، مؤكدًا أن جميع المصريين فى الداخل والخارج أمانة فى أعناقنا، فكما نحمى أبناءنا بالداخل من الفكر المتطرف فمن واجبنا الوطنى والدينى حماية أبنائنا بالخارج.

كما أطلع معالى وزير الأوقاف سعادة السفيرة/ نبيلة مكرم على بعض إصدارات وزارة الأوقاف المترجمة، وما تقوم به الوزارة فى أكاديمية الأوقاف من تدريب الأئمة باللغات الأجنبية المختلفة، مشيرًا إلى أن وزارة الأوقاف ستضع إصداراتها فى التعايش السلمى والمشتركات الإنسانية تحت يد وزارتى الخارجية والهجرة.

وأهدى معالى الوزير نسخًا من مطبوعات الأوقاف المترجمة لمعالى الوزيرة وهو ما أشادت به معاليها، مؤكدة أنها ستعمل بالتنسيق مع وزارة الأوقاف على ربط المصريين بالخارج بوطنهم الأخر فى جميع المجالات، ونشر صحيح الدين بينهم من خلال التنسيق مع وزارة الخارجية وسفاراتنا بالخارج.

التعاون بين وزارة الأوقاف ووزارة الشباب والرياضة مستمر لخدمة الشباب والنشء

فى إطار التعاون المثمر والمستمر بين وزارة الأوقاف ووزارة الشباب والرياضة لخدمة النشء وشباب العالمين العربى والإسلامى، تلقى معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة خطاباً من معالى وزير الشباب المهندس/ خالد عبد العزيز أكد فيه موافقته على استضافة المسابقة العالمية الثالثة والعشرين فى حفظ القرآن الكريم للشباب تحت سن الخامسة والعشرين والتى تنظمها وزارة الأوقاف فى الفترة من ٦/ ٤/ ٢٠١٦ حتى ٢٠١٦/٤/١٦م بمدينة شرم الشيخ بمحافظة جنوب سيناء، وذلك لما تمثله هذه المسابقة من تشجيع للشباب على حفظ القرآن الكريم وفهم بعض أحكامه وأخلاقه وآدابه، كما تمثل فرصة للتلاقى بين العديد من الشباب من مختلف دول العالم.

هذا وقد وجه معالى وزير الأوقاف رسالة شكر لمعالى وزير الشباب على هذا التعاون من وزارة الشباب وإسهامها للمشاركة فى المسابقة.

وزير الأوقاف خلال اجتماعه بقيادات القاهرة الكبرى يؤكد على :

أهمية تفعيل القوافل والأمسيات الدينية والمتابعة المستمرة

اجتمع معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة بقيادات القاهرة الكبرى (القاهرة، الجيزة، القليوبية) وبحضور فضيلة الشيخ / محمد عبد الرازق - رئيس القطاع الدينى - والمهندس/ سمير الشال - رئيس قطاع المديريات - وفضيلة الشيخ/ جابر طايع - وكيل الوزارة لشئون مديريات الوجه القبلى - وتم التنبيه على تفعيل دور القوافل الدينية بالمساجد، وكذلك الأمسيات الدينية أسبوعيًا، والمتابعة المستمرة لسير العمل بالمساجد من أجل النهوض بالدعوة، وبذل مزيد من الجهد فى نشر الفكر الإسلامى الصحيح فى ضوء سماحة الإسلام .

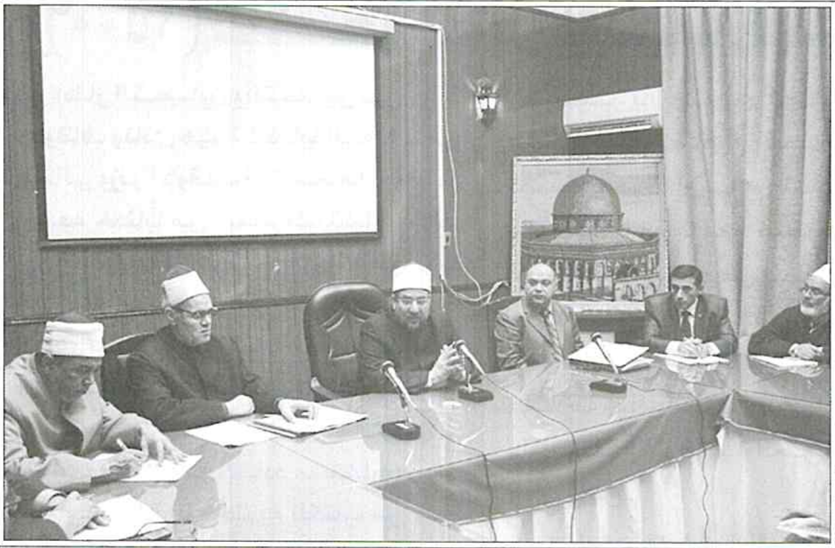

الأوقاف: نصف مليون نسخة من «مفاهيم يجب أن تصحح» لوزارة التعليم العالى

أكد معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة أنه تلقى خطابًا من معالى أ.د/ أشرف الشيحى - وزير التعليم العالى - بشأن تزويد وزارة التعليم العالى بنصف مليون نسخة من كتاب «مفاهيم يجب أن تصحح» الذى ينشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف، لما يحتويه الكتاب من مفاهيم وقضايا تصحح صورة الإسلام وتُشكل وعيًا ثقافيًا ومجتمعيًا لدى الشباب والطلاب وجميع أبناء المجتمع، مما ينعكس إيجابيًا على مستقبل الوطن.

وقد أكد معالى وزير التعليم العالى أن هذا التعاون بين الأوقاف والتعليم العالى يأتى فى إطار حرصنا جميعًا على تفعيل دور الشباب والطلاب وتدعيم مشاركتهم فى القضايا التى تمس المجتمع.

جدير بالذكر أن الكتاب يفند بالحجج العلمية كثيرًا من أوجه الانحراف الفكرى التى يتخذ منها المتطرفون وسيلة لتبرير جرائمهم والتأثير على عقول الشباب، حيث تناول الكتاب قضايا: التكفير، ونظام الحكم والمتاجرة بقضية الخلافة، والحاكمية، والجهاد والمواطنة، والإرهاب، والجزية، ودار الحرب.

..و(١٥٠٠) نسخة لنادى هيئة قضايا الدولة

فى إطار التعاون والتنسيق بين وزارة الأوقاف ونادى هيئة قضايا الدولة تلقى معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة خطابًا من السيد المستشار/ خالد زين الدين - نائب رئيس هيئة قضايا الدولة - أعرب فيه عن رغبته فى شراء (١٥٠٠) نسخة من كتاب «مفاهيم يجب أن تصحح» الذى ينشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف، لتوزيعها على أسر السادة مستشارى هيئة قضايا الدولة، لما يحتويه الكتاب من مادة علمية متميزة تعمل على إزالة اللبس وكشف الغموض عن بعض القضايا التى يكثر تداولها بمفاهيم خاطئة.

جدير بالذكر أن الكتاب يحتوى على مفاهيم وقضايا تصحح صورة الإسلام وتُشكل وعيًا ثقافيًا ومجتمعيًا صحيحًا لدى أبناء المجتمع فى قضايا هامة، مثل قضايا: التكفير، ونظام الحكم والمتاجرة بقضية الخلافة، والحاكمية، والجهاد، والمواطنة، والإرهاب، والجزية، ودار الحرب.

وقد وجه معالى الوزير بسرعة الاستجابة لطلب سيادة المستشار، مع تثمين وتقدير هذا التوجه من جانب سيادة المستشار/ خالد زين الدين ونادى هيئة قضايا الدولة.

وزير الأوقاف:

تكثيف القوافل الدعوية في جميع محافظات مصر

وجه معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة بتكثيف القوافل الدعوية بجميع محافظات مصر ابتداء من ٢٠١٦/٢/٢٦م بحيث يترأس وكيل وزارة الأوقاف بكل محافظة قافلتين أسبوعيًا، تكون إحداهما يوم الجمعة بأحد مراكز المحافظة وبرئاسته شخصيًا لأداء خطبة الجمعة، وتكون الثانية يوم الثلاثاء من كل أسبوع بمركز آخر برئاسته شخصيًا أيضًا لأداء درس الثلاثاء، على أن يتم تقديم تقرير شهري مكتوب ومصور ما أمكن لرئيس القطاع الديني بالوزارة، وعلى أن تشمل هذه القوافل القرى والعزب والنجوع، ليأخذ الناس صحيح الإسلام من العلماء المتخصصين، ونتمكن من نشر الفكر الوسطى فى ربوع مصر كلها، مع الوفاء برسالتنا فى الإيفاد والبعثات، حتى نجتث التطرف من جذوره بإذن الله تعالى.

والتقى معالى أ.د/ محمد مختار جمعة - وزير الأوقاف - بقيادات الأوقاف بالإسماعيلية والسويس وبورسعيد، وعدد من أئمة الإسماعيلية، بمقر ديوان عام المحافظة، بحضور السيد اللواء/ يس طاهر - محافظ الإسماعيلية - ولفيف من القيادات التنفيذية بالمحافظة، وبحضور كل من فضيلة الشيخ/ محمد عبدالرازق - رئيس القطاع الدينى بالوزارة - وفضيلة الشيخ/ زكريا الخطيب - مدير أوقاف الإسماعيلية - والدكتور/ نوح عبد الحليم العيسوى - مدير عام بحوث الدعوة.

وفى بداية اللقاء رحب سيادة اللواء/ يس طاهر - محافظ الإسماعيلية - بمعالى وزير الأوقاف والسادة الضيوف، مشيداً بدور وزارة الأوقاف فى نشر مفاهيم الدين الصحيحة والسمحة ودعم الأنشطة المجتمعية فى كافة المجالات، مشيراً إلى أن للعلماء دوراً كبيراً فى بناء الوطن ورقيه، فهُم القدوة والحصن الحصين للمجتمع المصرى.

ومن جانبه أكد معالى وزير الأوقاف على تفعيل دور القوافل الدينية بالمساجد، وكذلك الأمسيات الدينية أسبوعيًا، والمتابعة المستمرة لسير العمل بالمساجد من أجل النهوض بالدعوة، وبذل مزيد من الجهد فى نشر الفكر الإسلامى الصحيح، والحرص على المنهج الوسطى المعتدل، وعدم السماح لأى فكر متشدد باستغلال المساجد.

ثم قام السيد اللواء المحافظ بتسليم درع المحافظة لمعالى أ.د/ محمد مختار جمعة - وزير الأوقاف - لجهوده المبذولة فى نشر الفكر الوسطى وإظهار سماحة الإسلام.

هذا وقد كرم معالى الوزير عشرة من الإداريين المتميزين بمديرية أوقاف الإسماعيلية، مع إهداء شهادة تقدير وصرف مكافأة تميز قدرها (٥٠٠) جنيه لكل منهم، نظراً لجهودهم وإخلاصهم فى خدمة الدعوة الإسلامية، وتشجيعاً لهم على مزيد من التميز والتفانى فى خدمة الوطن.

وزير الأوقاف يرأس اجتماع لجنة «الإسلام والآخر» بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ويقرر :

إنشاء مركز الأوقاف الدولى للتواصل الحضارى

ترأس معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة اجتماع لجنة «الإسلام والآخر» بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وقرر إنشاء مركز الأوقاف الدولى للتواصل الحضارى، ويهدف المركز إلى:

١ ـ التعريف بصحيح الإسلام وقدرته على التعايش مع الآخر.

٢ ـ بناء جسور الثقة من خلال التواصل الفكرى والثقافى مع احترام خصوصيات الأمم والشعوب.

٣ ـ مواجهة كل ألوان التطرف والتعصب والعنصرية.

٤- إنشاء قاعدة بيانات شاملة للجهات والمؤسسات الساعية إلى هذا التواصل الحضارى والإنسانى .

وسيتم عقد عدة اجتماعات وورش عمل لوضع التصور الكامل لعمل المركز وشروط العضوية به .

تنبيه وتحذير بشأن المبيت بالمساجد أو ملحقاتها

حفاظًا على حرمة المساجد، وخوفًا من أن تستغل فى غير ما خصصت له من العبادة أو مجالس العلم، كأن تستغل لإيواء من لا يحفظ لها حرمتها، يحظر حظراً باتًا فتح المسجد لإيواء أى شخص أو المبيت به، واعتبار ذلك مخالفة صريحة تستوجب المساءلة مع بيان الآتى :

أى سكن إدارى للإمام أو العامل لا بد أن يكون مخصصاً بخطاب رسمى من المديرية التابع لها المسجد ومعتمداً من رئيس اللجنة العليا للخدمات بديوان عام الوزارة، مع التأكيد على أنه سكن شخصى لحق العمل لا يسوغ لصاحبه إيواء أى شخص آخر، أو السماح له باستخدام هذا السكن أو المبيت بالمسجد.

يجب أن يكون استخدام ملحقات المساجد فى إطار القانون والترخيص بالنشاط من الجهة المختصة، فلا يتم فتح أى مركز طبى أو مستوصف إلا بترخيص من وزارة الصحة، ولا أى نشاط تعليمى كالحضانات أو فصول تقوية إلا بموافقة وزارة التربية والتعليم، ولا مكاتب تحفيظ إلا بترخيص من وزارة الأوقاف، وعلى أن يكون ذلك كله بموافقة وزارة الأوقاف فى جميع الملحقات التابعة لها، وأن تكون الموافقة صادرة من رئيس اللجنة العليا للخدمات بديوان عام الوزارة، وسيتم اتخاذ الإجراءات القانونية تجاه أى مخالف بالتنسيق مع الوزارات والجهات المعنية، إذ لا ينبغى أن تستغل دور العبادة لأى أغراض شخصية أو أنشطة خارج إطار القانون .

يحظر حظراً باتًا استخدام ملحقات المساجد كمخازن للكتب أو الأثاث أو أى أشياء أخرى.

فيما يتصل بموائد الرحمن أو أماكن تجهيز الطعام يجب أن تكون بعيدة تمامًا عن مبنى المسجد، وألا يستغل المسجد أو إحدى غرفه أو صحنه أو ملحقاته كمكان للطهى ونحوه، حيث إن ذلك يؤذى المصلين ولا يناسب حرمة المسجد.

وعلى جميع قيادات الوزارة والمديريات والمفتشين سرعة موافاة رئيس القطاع الدينى بأى مخالفات.

خدمة لأهل القرآن وزارة الأوقاف تضاعف دعمها لنقابة القراء وترفع بدل شيوخ المقارئ

خدمة للقرآن الكريم ولأهله وقرائه ضاعفت وزارة الأوقاف دعمها لنقابة القراء من خمسين ألف جنيه إلى مائة ألف جنيه وتم صرف ذلك كاملاً عن عام ٢٠١٥م .

كما قررت وزارة الأوقاف رفع بدل شيوخ المقارئ إلى مائة جنيه ابتداء من ١ / ٣ / ٢٠١٦م، مع الإفادة من جهود القراء المتميزين داخل مصر وخارجها.

وفى اجتماعه بمجلس نقابة قراء القرآن الكريم قرر معالى وزير الأوقاف أ.د/ محمد مختار جمعة إقامة أمسية دينية أسبوعية كل يوم خميس بمسجد من المساجد الكبرى بالجمهورية، بحيث يشارك فيها نخبة من العلماء المستنيرين، إضافة إلى قارئ ومبتهل، وستعنى هذه الأمسيات بالتركيز على إحياء القيم الأخلاقية، والإنسانية، وتقوية الجانب الإيمانى والحس الوطنى، وتقوية أواصر الترابط الاجتماعى.

صدور الجزء الثالث من موسوعة الخطب العصرية

صدر بحمد الله تعالى وتوفيقه الجزء الثالث من موسوعة «الخطب العصرية»، وبهذا تكون موسوعة «الخطب العصرية» لوزارة الأوقاف المصرية قد اكتملت بأجزائها الثلاثة، سائلين الله (عز وجل) أن ينفع بها، وأن يجزى كل من أسهم فى إعدادها وإخراجها خير الجزاء .

وستعرض الموسوعة بجميع أجزائها بمعارض المجلس الأعلى للشئون الإسلامية قبل نهاية هذا الشهر بإذن الله تعالى .

فى ندوة وزير الأوقاف بجامعة القاهرة

«مفاهيم يجب أن تصحح»

بدعوة كريمة من أ. د. جابر نصار - رئيس جامعة القاهرة - لمعالى أ. د. محمد مختار جمعة - وزير الأوقاف - انطلقت يوم الثلاثاء ٢٠١٦/٣/١م فعاليات اللقاء المفتوح مع طلاب جامعة القاهرة بقاعة الاحتفالات الكبرى حول «مفاهيم يجب أن تصحح» بحضور أ. د. أحمد على عجيبة - الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ولفيف من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة وعدد من المثقفين والإعلاميين وبحضور كوكبة من علماء وقيادات وزارة الأوقاف وأساتذة الجامعة وجمع غفير من طلابها.

وفى بداية اللقاء رحب أ. د. جابر نصار - رئيس الجامعة - بمعالى وزير الأوقاف أ. د. محمد مختار جمعة والسادة الضيوف مشيداً بدور الأوقاف فى ضبط المنابر وتصحيح المفاهيم الخاطئة مؤكدا أن معالى الوزير منذ أن تولى الوزارة ليس وزيراً عادياً حيث قام باسترجاع منابر الأمة من مغتصبيها إلى مَن له الحق فيها، مشيرا إلى أن موضوع الندوة بالغ الأهمية من حيث إنه يتعلق بالمفاهيم التى ليست فقط مغلوطة، بل تعمد البعض أن تلتبس ويحتار فيها الناس.

وفى بداية كلمته ثمَّن معالى وزير الأوقاف دعوته إلى هذه الجامعة العريقة بين القامات الفكرية والثقافية وكبار الأساتذة وطلبة الجامعات مؤكدا أن مصر بخير مادام شبابها بخير وعلى هذا المستوى من النضج والثقافة قائلا: لنا تجربة واسعة فيما استعنا بهم من أبناء جامعة القاهرة، ودفعنا بهم فى العمل القيادى فقد أثبتوا تفوقًا كبيراً، مشيدا بدور جامعة القاهرة فى إقامة مسجدين للطلبة والطالبات، فتجربة الجامعة على مدار تاريخها ينبغى أن تكون نموذجا يحتذى بها.

كما أوضح معالى وزير الأوقاف أن أهل الباطل لا يعملون إلا فى غياب أهل الحق، وإذا فرط أهل الحق فى حقهم تمسك أصحاب الباطل بباطلهم، مشيرا إلى أن الدين الإسلامى لم يحدد قالبا جامدا لقواعد الحكم، بل وضع الإسلام قواعد عامة تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال، وأن من علامات

تابع الندوة: د. حسن أحمد خليل

الدين الإسلامى لم يحدد قالبًا جامداً لقواعد الحكم بل وضع قواعد عامة تتغير بتغير الزمان والمكان

الحكم الرشيد أن يحقق العدل بمفهومه الكامل، ويعمل على قضاء حوائج الناس قدر الطاقة، ويوفر لهم حرية المعتقد ولا يحول بينهم وبين إقامة شعائرهم.

كما بين معاليه أن الإسلام دين رحمة وسلام للعالم كله، ولا يوجد فى الإسلام قتل على المعتقد قط، فعندما رأى النبى ﷺ امرأة كافرة مقتولة فى ساحة القتال قال ﷺ: «من قتلها؟ ما كانت هذه لتقاتل»، بما يؤكد أن القتل ليس مقابلا للكفر إنما يكون القتال لدفع العدوان، فلا إكراه فى الدين، ولا فظاظة فى القول، مشيرا إلى أن القيم الأخلاقية أجمعت عليها الشرائع السماوية كلها: العدل والتسامح والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة والصدق فى الأقوال والأفعال، وبر الوالدين وحرمة مال اليتيم، ومراعاة حق الجوار والكلمة الطيبة، وذلك لأن مصدر التشريع السماوى واحد، ولهذا قال نبينا ﷺ: «الأنبياء إخوة لعلات أممهم شتى ودينهم واحد».

متسائلا: أرونى أى شريعة من الشرائع أباحت قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، أو أباحت عقوق الوالدين أو أكل السحت أو أكل مال اليتيم أو أكل حق العامل أو الأجير، وأرونى أى شريعة أباحت الكذب أو الغدر أو الخيانة؟ أو إخلاف العهد، أو

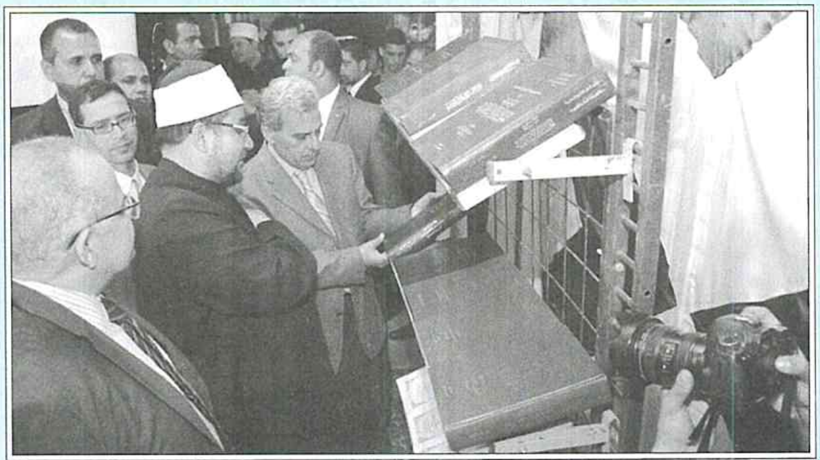

مقابلة الحسنة بالسيئة؟ بل على العكس فإن جميع الشرائع السماوية اتفقت وأجمعت على هذه القيم الإنسانية السامية من خرج عليها فإنه لا يخرج على مقتضى الأديان فحسب، وإنما يخرج على مقتضى الإنسانية، وينسلخ من آدميته، ومن الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها.

وأشار إلى أنه لا يمكن لإنسان عاقل على وجه الأرض يُعرض عليه الدين الوسطى عرضا صحيحا ثم يختار شيئا آخر، مؤكدا أن الإنسان بفطرته يميل للوسطية قائلا: «إن جنح عن الوسطية ففى الغالب أنها لم تعرض عليه، وتُرك الإنسان للمتطرفين أو أنها عرضت عليه عرضا مشدداً، والشيطان يجذب الإنسان للتشدد، والجماعات المتطرفة تشده إليها».

وفى ختام اللقاء أهدى أ. د. جابر نصار - رئيس جامعة القاهرة - درع الجامعة لمعالى وزير الأوقاف وأشاد المشاركون بهذا اللقاء المفتوح الذى نظمته جامعة القاهرة مطالبين بتكرار هذا اللقاء من علماء وزارة الأوقاف لتصحيح المفاهيم المغلوطة والفكر المتطرف داخل الجامعات المصرية كلها.

لجنة المرأة والأسرة والطفل فى زيارة ميدانية لإحدى دور رعاية الأيتام

قامت أ. د. مهجة غالب - عضو لجنة المرأة والأسرة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وعضوة مجلس النواب - وأ. د. مها عقل - عضوة لجنة المرأة والأسرة وعميدة طب الأزهر السابقة - بزيارة لإحدى دور رعاية الأيتام وأديا ندوة مشتركة تحدثتا فيها عن الجانب التوعوى والدينى والانتماء الوطنى وقيمة التعليم والانخراط فى المجتمع.

وقد حققت هذه الزيارة نتيجة طيبة لما بدا من فرح وسرور لدى الأولاد ولدى المسئولين، مما كان له الأثر الطيب وإعلاء الجانب النفسى لدى الأولاد والمسئولين على السواء مما يبرهن على قيمة هذه الزيارات، والحرص على تواصل الأدباء والمثقفين والمفكرين ورجال الدين معهم وعلى زيارة مثل هذه الدور حيث إن هؤلاء وإن كانوا قد فقدوا الأهل فيكون المجتمع خير تعويض لهم عما فقدوه، وهذا جزء من قيام المجتمع بدوره تجاه هؤلاء.

مصر كنانة الله فى أرضه

لأهل مصر أن يفخروا بأن الله ذكر بلدهم فى القرآن الكريم مرات عدة، فى حين لم يذكر بلداً آخر لا فى الشرق ولا فى الغرب، بل إن مكة مسقط رأس رسول الله ﷺ والتى شهدت نزول الوحى وبدء البعثة، لم تظفر من آيات القرآن بغير آية واحدة، وجاء ذكرها مرة باسم بكة، أما المدينة مقر الدعوة بعد الهجرة وعاصمة المجتمع الإسلامى أشار إليها الذكر الحكيم مرتين مرة فى (سورة التوبة الآية ١٠١) ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾، (والآية ١٢٠) من ذات السورة: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

د. عبد الفتاح مصطفى غنيمة*

ولم تحظ أرض من القرآن بوصف ولا تكريم بمثل ما حظيت مصر من وصف وتكريم، إذ أنزل الله على نبيه من محكم آياته صورة رائعة مشرقة عما حباها به من فضل الله وما أوتيت من حظ عظيم.

ويصور مع ذلك وصفها وما أخرج فيها من نبات شتى، وما وطن فى أرضها من كنوز، وقد جاء هذا التصوير صريحًا مباشرًا من كلام الله عز وجل أو جاريًا على لسان يوسف أو لسان فرعون: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف: ٥١)، وقد دل القرآن بتلك الآية وما تشابه منها على ما أضل فرعون وأغواه فلم ير فيما وعده موسى عليه السلام من فردوس الآخرة مزيدًا على ما لديه من ملك، فأرسل تساؤله متعجبًا مستنكرًا عما يبشر به من جنات تجرى من تحتها الأنهار، وعنده مصر جنات تجرى من تحتها الأنهار، ومن روائع الإعجاز

* أستاذ بجامعة المنوفية.

فى تلك الآية ما تنطوى عليه من إيمان فرعون والمصريين معه بأن وطنهم صورة مثلى للفردوس لا يفوقه فردوس سواه، وهو ما تمثل فى آثارهم وما تركوه من متون ونصوص ورسوم.

وكأنما نظر فرعون وهو فى قصره فرأى النيل ينطلق من منابعه البعيدة حتى إذا شارف البحر إذا به يتفرع سبعة أفرع - لم يبق منها اليوم إلا فرعان - تجرى من تحته حيث يقيم، ثم هو يتأمل فيشهد أينما حل جنات وخيرات تجرى من تحتها الأنهار.

وهى كذلك كما وصفها الله فى محكم آياته وكريم قرآنه، بل حسبها من وصف الله أن يكون المقام فيها نعمة للمقيمين، والخروج منها نقمة على الخارجين، ألم يعاقب الله فرعون وملأه أن أخرجهم منها فى قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء: ٥٧-٥٨)، وفى قوله عز وجل مؤكدًا: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ • وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ (الدخان: ٢٥:٢٧).

وقد ذكر السيوطى - فى كتابه حسن المحاضرة - عن الكندى قوله فى هاتين الآيتين: لا يعلم بلد فى أقطار الأرض أثنى عليه الله فى القرآن بمثل هذا الثناء، ولا وصفه بمثل هذا الوصف، ولا شهد له بالكرم غير مصر، ولا غرو تكون بما وصفها الخالق العليم مثابة للناس وأمنًا، وتكون الحاضرة وما سواها بدوًا، ألم يعلن ذلك فى قرآنه على لسان يوسف فيما روى عن يعقوب وبنيه: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ • وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (يوسف: ٩٩:١٠٠) حيث أووا كما أوى عيسى ابن مريم وأمه إلى ربوة ذات قرار ومعين، وذلك وصف لما كانت عليه مصر، قبل إنشاء السدود إذ كان النيل إذا أقبل بفيضه فى الصيف امتد فغمر الأرض بمائه فظلت تحت الغمر لشهور، ولذلك فقد عمد المصريون إلى إقامة بيوتهم من فوق رواب تعلو على الماء، ولقد شهدها عمرو بن العاص حين فتحها فوصفها فأحسن وصفها قال: «مصر تربة غبراء، وشجرة خضراء، يكتنفها جبل أغبر ورمل أعفر، يخط وسطها نيل عظيم الغدوات ميمون الروحات، يجرى بالزيادة والنقصان كجرى الشمس والقمر».

اهتمام المصريين بزراعة الحدائق

كانت حياة المصرى منذ مطلع الصبح من تاريخه

لم تحظ أرض أو بلد من القرآن الكريم بمثل ما حظيت به مصر من وصف وتكريم كبير

صراعًا وكفاحًا متصلاً بين الرى والجفاف وبين الخصب والجدب وبين الأرض المثمرة والأرض القاحلة، كان الفلاح يبذل الضنى والعرق فى سبيل استخلاص الأرض من الصحراء، فيعزق أراضى الغمر حيث يترسب الطمى الدسم لينقله إلى حيث يستنبت ما يشاء، وكان الحزن يبلغ أقصاه من نفسه أن يرى عدوان الصحراء على أرضه وزحف الرمال عليها، وكانت الحدائق والجنان محببة إليه، اختلطت بحسه وفكره وشعوره منذ نشأ على ضفاف النيل، وكان عامرًا يومئذ من آثار فيضه كل عام بالمنافع حيث تنبت الأشجار والأحراش من البردى والسوسن والبوص، وحيث تعيش ألوان من الأسماك وطوائف من الحيوان، وأمم من الطير، وكان المصريون يتجهون إلى الصحارى طلبًا للصيد والقنص، كان بالنسبة للفقراء من الناس رزقًا يطلبونه ويسعون إليه، وكان لأهل الترف رياضة وتسلية يؤثرونها ويقبلون عليها، فكان الرجل يخرج مع أسرته ـ زوجه وبنيه ـ يطلبون النزهة والمتعة فى زورق خفيف من البردى يسرى بهم على صفحة الماء الرقراق، بين سيقان البردى وأوراق البشنين وزهور السوسن، ولقد بلغت هذه الطبيعة الحلوة الجميلة من نفسه أن تخيل الفردوس فى الآخرة صورة من تلك البيئة التى عاش فيها وأحبها ونعم بها، كما حرص على تصويرها فى بيته وقبره، كذلك وقر فى

نفس المصرى حب الزهر والإحساس بجماله وفتنته، فكان لهم زينة فى الموائد والأعياد ويتخذون منه هدية يقدمها بعضهم إلى بعض وقربانًا يقربون منه إلى الأرباب والأعزة من الأموات.

ولذلك فقد حرص المصرى قديمًا على غرس الأشجار ورعاية الحدائق أينما يولى وحيثما يقيم، فقد تعهدها فى المعابد حيث يتجه إلى ربه مصليًا متعبدًا وتعهدها فى سكنه مستروحًا متمتعًا وتعهدها فى المقابر مهيئًا لروحه السعادة والنعيم، ولقد انتهى إلينا أن حتشبسوت حرصت على إقامة بستان للإله فى معبدها فى الدير البحرى بالأقصر، ولكنها لم تشأ أن تغرس فى ساحته من أشجار مصر التى عهد الناس، وإنما بعثت إلى بلاد بونت أو بلاد الآلهة كما سمتها فى بعض حديثها، تنقل أشجار المر العبق إليه، وذلك حتى تقيم فى معبده أرضًا كأرض بونت.

ولم يكن حرص المصرى على إقامة الحدائق فى داره بأقل من حرصه على إقامتها فى دار الآلهة، فلا تكاد تخلو لشريف أو أمير دار من حديقة فسيحة تتوسطها بحيرة صغيرة يقيم من حولها الشجر الوارف والحديقة فى المنزل عنصر اعتاده المصريون فى حياتهم بحيث أصبحت الحدائق فى أدبهم وقصصهم من المألوف ذكرها.

نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية «٨٤»

بسم الله الرحمن الرحيم

يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

صدق الله العظيم

نتابع الحديث مع موضع من مواضع النظرات البيانية فى الكلمة القرآنية وهو الموضع الذى جاءت فيه صفة (الخبير) لله عز وجل لداع دعا إلى هذا المجىء فى السياق القرآنى السابق أو اللاحق لآية الشاهد الذى جاءت فيه هذه الصفة. وقد عرفنا أن هذه الصفة قد تأتى مستقلة دون أن تصاحبها صفة أخرى من صفات الله تعالى. وقد تأتى ومعها ما يصاحبها من الصفات الأخرى. فمن شواهد الاستقلال ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٨٠) ومن شواهد المصاحبة ما جاء فى قول الله عز وجل ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤).

د. طه مصطفى أبو كريشة*

وقد ذكرنا أن الهدف من وراء هذا الوقوف هو بيان السر البيانى الذى دعا إلى مجىء هذه الصفة مستقلة أو مصاحبة، وقد عرفنا من خلال الشواهد التى وقفنا عندها أن هذا السر يدور بين أمرين: الترغيب والترهيب، إما منفردين وإما مجتمعين، كلّ حسب ما دعا إليه السياق السابق أو اللاحق لآية الشاهد. ومع هذا المقال نتابع الوقوف مع شواهد استقلال صفة (الخبير) لله تعالى، سائلين الله عز وجل أن يلهمنا الصواب فيما نريد الوصول إليه، مع التأكيد والتسليم بأن الله تعالى أعلم بمراده.

(٣٦٩) فمن الشواهد القرآنية التى جاءت فيها صفة (الخبير) لله عز وجل لداع دعا إلى هذا المجىء فى السياق القرآنى السابق أو اللاحق ماجاء فى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١).

إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث عن بعض آداب المجالس التى يجب أن يلتزم بها

* عضو هيئة كبار العلماء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١)

المؤمنون الصادقون، من خلال لغة الحديث ومن خلال الموضوع الذى يتحدثون فيه، ومن خلال طريقة الجلوس فى هذه المجالس التى لابد منها فى حياتهم، فعن لغة الحديث وموضوعه فإن عليهم أن يلتزموا بهذا التوجيه الربانى الذى جاء فى قول الله تعالى فى السياق السابق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ● إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المجادلة: ٩-١٠).

إن على الجلساء الذين يلتقون ويجتمعون ويتحدثون فى المجالس أن يلتزموا بالقول الطيب الحميد من حيث اختيار الألفاظ، ومن حيث اختيار الموضوعات، فالألفاظ والموضوعات يجب أن تكون بعيدة عن كل ما يؤدى إلى الوقوع فى الإثم والمعصية والعدوان على الآخرين، وأن تكون فقط مما ينتسب إلى دائرة البر والتقوى مما فيه موعظة حسنة، أو وصية طيبة، أو توجيه إلى سلوك حياتى محمود، أو نصيحة إيمانية فى أى أمر من الأمور التى تدعو إلى طلب المشورة. هذا مع التذكير بأن الشيطان يكون من وراء كل حديث فيه إثم ومعصية، فهو الذى يزينه لأصحابه ويغريهم به حتى يوقع العداوة فيما بينهم، ويبعدهم عن طاعة الله تعالى وعن كل أمر فيه بر وتقوى لله رب العالمين ومن هنا فإن عليهم أن يكونوا على حذر من همزات الشياطين.

أما عن طريق الجلوس فى هذه المجالس فإن على الجلساء أن يتخلقوا بخلق التسامح والإيثار، وأن يبتعدوا عن أى مظهر من مظاهر الكبر والاستعلاء وحب النفس، وأن يبادر كل واحد من الجالسين إلى فعل كل سلوك فيه إسعاد لغيره، وإلى معاونته على أن يكون له مكان فى هذه المجالس التى أعدت للالتقاء والاجتماع. هذا مع الوعد بالأجر من الله عز وجل لمن يستجيب لهذا التوجيه الربانى، ويسارع إلى الالتزام بهذا الخلق إذا دعا الداعى إلى ذلك. إن هذا الأدب الخاص بطريقة الجلوس فى المجالس هو الذى جاء التوجيه إليه فى قول الله تعالى مع الوعد بالثواب العظيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.

إن النظرة البيانية ترى أن المقام هو مقام توجيهات لها صلة بالمشاعر والآداب النفسية والطباع الخلقية والعلاقات الإنسانية وهو أمر يقتضى جانبا كبيرا من المجاهدة النفسية للميول السلبية التى لا تتوافق مع المطلوب فى هذه التوجيهات، ومن هنا جاء الإخبار فى ختام هذه التوجيهات بقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ حيث جاءت فيه صفة (خبير) لله عز وجل متضمنة الحث على اتباع هذه التوجيهات مع التحذير من الخروج عنها استجابة لأمور نفسية لا تخفى على الله تعالى الذى يعلم السر وأخفى، وحتى يتجنبوا الوقوع فى سلوك يؤدى إلى إيجاد الشحناء والبغضاء فى العلاقات الإنسانية.

(٣٧٠) ومن هذه الشواهد القرآنية التى جاءت فيها صفة (الخبير) لله عز وجل لداع دعا إلى هذا المجىء فى السياق القرآنى السابق أو اللاحق لآية الشاهد ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المجادلة: ١٣).

إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث

عن أدب خاص بأدب المفاجأة والحديث مع النبى ﷺ، حيث جاء الأمر الربانى للمؤمنين بأن يتصدقوا بصدقة من الصدقات إذا أرادوا أن يتحدثوا مع النبى ﷺ فى أى وقت من الأوقات، لأن هذه الصدقة سوف يثابون عليها خيرا كثيرا، وسوف يكون من ورائها تزكية وتطهير النفوس، وذلك لمن قدر على تقديم هذه الصدقة، أما من عجز عنها فإنه لن يؤاخذ على ذلك، وسوف يكون ممن يحظى بمغفرة الله تعالى ورحمته. إن هذا التوجيه الربانى هو الذى جاء فى قول الله تعالى قبل آية الشاهد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المجادلة: ١٢).

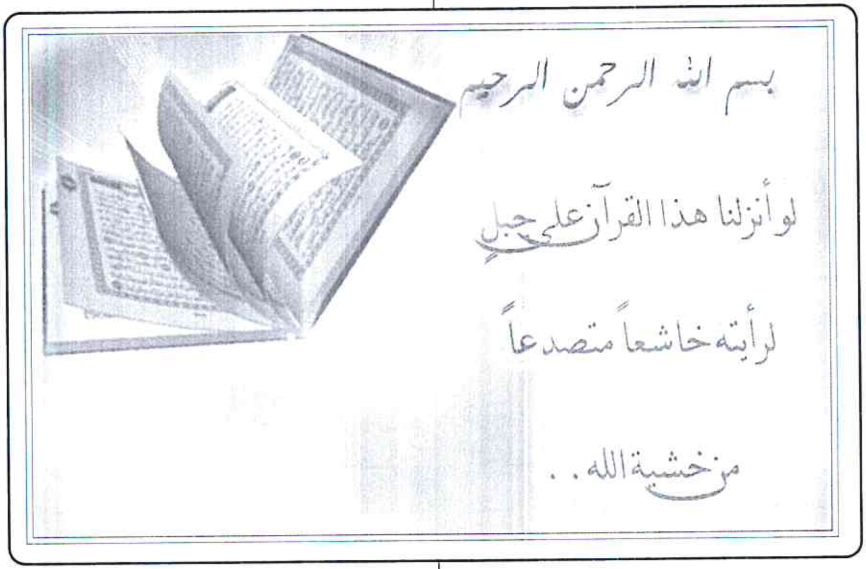

ثم جاءت آية الشاهد وفيها إخبار عن موقف المؤمنين من هذا التوجيه الخاص بتقديم الصدقة قبل مفاجأة النبى ﷺ حيث تصور الآية مشاعر الإشفاق والخوف التى أصبح فيها المؤمنون من عدم القدرة المادية فى كل الأوقات التى تجعلهم قادرين على تقديم الصدقة مع كل حديث. ومع تسجيل هذا الإشفاق فإن الله عز وجل أحاطهم برحمته، وأعفاهم من هذا الالتزام ونسخ هذا الأمر. ورضى منهم المداومة على ما هم عليه من وجوه الطاعة من حيث إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ومن حيث الثبات على طاعة الله تعالى وعلى طاعة رسوله ﷺ، وذلك على النحو الذى جاء فى قول الله عز وجل فى آية الشاهد: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

ودفعًا لما قد يعترى نفوس هؤلاء المؤمنين من شعور التقصير فى القيام بهذه الصدقات التى أمروا أن يقدموها قبل كل حديث مع النبى ﷺ فإن الله سبحانه وتعالى مع رفع الحرج عنهم فإنه برحمته أودع فى قلوبهم الطمأنينة على أنهم مثابون على الطاعات التى يقومون بها أعظم الثواب، إن هذه الطمأنينة الإيمانية هى التى يودعها فى قلوبهم هذا الختام بما جاء فيه من صفة (الخبير) فى قول الله عز وجل ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

(٢٧١) ومن هذه الشواهد القرآنية التى جاءت فيها صفة (الخبير) لله عز وجل لداع دعا إلى ذلك المجىء فى السياق القرآنى السابق أو اللاحق لآية الشاهد ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨).

إن هذه الآية الكريمة جاءت فى سياق الحديث عن المنافقين وما كان منهم من معاص كثيرة صدرت منهم وهم يعيشون مع المؤمنين فى المدينة المنورة، وكان من هذه المعاصى ما كان منهم من تحالف وتآمر مع اليهود ضد المسلمين. إن الحديث عن هؤلاء المنافقين وعن مؤامراتهم كان من أجل تحذير المسلمين منهم، ومن أجل تجنب السلوك الذى أدى إلى اتصافهم بصفة النفاق حتى يكون إيمانهم إيمانا صادقا لا شائبة فيه من الشوائب التى كان عليها المنافقون، وهذه الغاية الإيمانية من وراء هذا الحديث هى التى جاء الإخبار عنها فى السياق اللاحق» بعد آية الشاهد فى قول

الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر: ١٩).

أما الحديث عن هؤلاء المنافقين فى السياق السابق على آية الشاهد فمنه ما جاء إخبارا عن محاجرهم مع اليهود حتى يكون المؤمنون على حذر من هذا التآمر وفى الوقت نفسه فإن فى الحديث توجيها ربانيا إلى المؤمنين بعدم الوقوع فى الخوف من هذا التآمر لأنه لن ينفذ فى الواقع ولن يفى المنافقون بوعدهم مع اليهود وذلك على النحو الذى جاء الإخبار عنه فى بداية الحديث عن المنافقين فى قول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ● لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ (الحشر: ١١، ١٢).

هذا عن حقيقة تآمر المنافقين مع اليهود ضد المسلمين، وأنه تعاهد كاذب، الأمر الذى يدعو إلى عدم تسرب الخوف إلى قلوب المسلمين وزيادة فى إيداع مشاعر القوة فى قلوبهم فقد جاء فى هذا السياق الإخبار عن أن المنافقين واليهود إذا أرادوا أن يحاربوا المسلمين فإنهم لن يستطيعوا أن ينفذوا ذلك فى عالم الواقع لأنهم فى الحقيقة يشعرون بكثير من الرهبة والخوف من المسلمين، وفوق ذلك فإن ظاهرهم غير باطنهم، فهم فى الظاهر متعاونون ضد المسلمين، لكنهم فى الباطن متفرقون متباعدون وذلك على النحو الذى أخبر عنه قول الله عز وجل خطابًا لجماعة المسلمين: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ● لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الحشر: ١٣:١٤).

إن هؤلاء سوف يكون مصيرهم مصير أمثالهم من الأمم السابقة الذين هلكوا فى دنياهم وكان لهم سوء المصير فى أخراهم، كما قال سبحانه: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الحشر: ١٥).

إن النظرة البيانية ترى أن المجيء بآية الشاهد فى سياق الحديث عن المنافقين ومصيرهم مع من يتآمرون معهم ضد المسلمين هو من أجل دعوة المسلمين إلى العمل من أجل الغاية الكبرى التى تؤهلهم لنيل رضوان الله عز وجل فى اليوم الآخر، وأن يكون هذا الهدف ماثلا أمام أعينهم فى كل لحظة من لحظات حياتهم وكأنهم سوف ينتقلون إلى هذا اليوم فى غدهم الذى يأتى بعد يومهم الذى يعيشون فيه مع اليقين بأن الله عز وجل حفظ لهم أعمالهم التى يريدون من ورائها المثوبة من رب العالمين الخبير بما يعملون، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ إن الختام بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيه شهادة من رب العالمين بما هو خبير به من حسن استجابتهم لما جاء الأمر به فى هذه الآية، وهذه شهادة من شأنها أن تزيدهم إيمانا فوق إيمانهم.

ومع إثبات هذه الشهادة التى سوف يكون لها أثرها العظيم فى تجاوز العوائق العارضة على النحو الذى كان مع عارض التآمر الذى جمع بين المنافقين واليهود فإن الله عز وجل نقل إليهم المشهد الذى سوف يكونون عليه فى الآخرة، وعجل لهم البشرى بالمكانة التى سوف يكونون عليها فى جنات النعيم، وذلك على النحو الذى جاء الإخبار عنه فى السياق اللاحق فى قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (الحشر: ٢٠).

إنها البشرى التى من شأنها أن تزود المؤمنين بالطاقة الإيمانية الصادقة فى قلوبهم حتى تكون كلمة الله تعالى هى العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى وهى الطاقة التى سوف يستمدون بواعثها من هذا القرآن العظيم الذى تتنزل عليهم آياته كل يوم، وهو القرآن الذى سوف يكون له هذا التأثير القلبى الذى لن يقل أثرا عن هذا التأثير الذى جاء الإخبار عنه فى ختام السياق اللاحق فى قول الله عز وجل: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر: ٢١).

وبهذا الموقف الإيمانى الثابت والمتجدد المتزود بالزاد القرآنى يتم القضاء على تآمر المنافقين مع اليهود ضد المسلمين وتسير الدعوة فى طريقها وهى آمنة قوية إلى أن تبلغ غايتها.

التفسير اللغوى للقرآن الكريم (٥٢)

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ • إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾

(البقرة: الآيات ١٦٨: ١٦٩)

يتحدث الحق سبحانه ـ فى هذه الآية الكريمة ـ عن تحليل ما أحله الله سبحانه مما تخرج هذه الأرض وما عليها مخاطبا الناس أن يأكلوا هذه الطيبات التى أحلها لهم فلا يجوز أن يرجعوا إلى غيره فى التحليل والتحريم، إن قضية العقيدة ترتكز على الإيمان بالله الواحد الذى هو مصدر التحليل والتحريم فلا يجوز تحريم ما أحل الله كما كان يفعل المشركون فى تحريم ما أحل الله كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، حرموها من عند أنفسهم وتبعا لعقيدتهم الفاسدة التى ترتبط بمعبوداتهم وكذلك ما عرف عن أهل الكتاب من تحريم أشياء أحلها الله تعالى وقد كان فى عقيدة اليهود وكتابهم ما حرم الله عليهم كالشحوم وغيرها مما قال الله تعالى عنه: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ (الأنعام: ١٤٦).

د. عبد الغفار حامد هلال*

* الأستاذ بجامعة الأزهر.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾

(الأنعام: ١٤٦)

إن الله تعالى أمر الناس أن يأخذوا بأحكام شرعه فى تحليل الأشياء ـ اللهم إلا القليل الذى نص على حرمته ـ وألا يحللوا من تلقاء أنفسهم أو اتباعا لتزيين الشيطان وغوايته فاتباع الهوى والشيطان مضر، وعداوة الشيطان واضحة أظهرها منذ آدم عليه السلام، إن الشيطان هو الذى يزين للناس ما يخالف شرع الله ويؤدى إلى الوقوع فى السوء والفواحش والافتراء على الله فيما يحل أو يحرم أو يعتقد.

وفى هذه الآية الكريمة دقائق لغوية نبينها لك أيها القارئ الكريم: (حلالا) يقال: حل يحل ـ بكسر الحاء فى المضارع على قياس الفعل المضارع اللازم ـ تقول: حل الشىء يحل: إذا كان حلالا.

والحلال يقابل الحرام، يقال: شىء حلال: أى يصح الانتفاع به، وشىء حرام: يمتنع الانتفاع به.

وسمى الحلال حلالا لانحلال عقدة الحظر عنه، ومن ذلك يقال ـ فى نهاية محظورات الحج ـ: رجل حلال: ليس بمحرم أو انتهى وقت الحظر عنه بانتهاء المناسك المطلوبة للحل.

والمحرم هو الذى دخل فى الإحرام فيمتنع من ممارسة بعض الأشياء المحظورة على المحرم بالإحرام.

ويقال: حل عليه الدين يحل: جاء وقت السداد ويقال: حل بالمكان يحل ـ بضم الحاء وكسرها فى المضارع ـ : نزل به، والحلال: ما نص الشارع على حله، فالله تعالى أحل الطيبات من الرزق وحرم ما عداها، والفعل (أحل) متعد، و(كلوا): أمر للإباحة، و(حلالا): حال والمراد بالأكل: سائر أوجه الانتفاع من أكل وشرب وغيرهما وإن كان المتبادر منه الطعام لأنه يقوم به بناء الإنسان.

و(الطيب): هو ما يستلذ فى نظر الشرع فلا يعاف ولا يكره ولا دنس فيه والمراد أنه يشتهيه الطبع السليم وليس قيدا للاحتراز أو تقسيم الحلال إلى ما يستلذ وما لا يستلذ قال بذلك الإمام مالك وغيره وهو يعنى الرد على من حرموا ما أحل الله وهم المشركون فقد حرموا الطيب المستلذ (الحام ـ والوصيلة ـ والسائبة ـ والبحيرة) وهى من الإبل الصالحة للطعام كيف يحرمونها وهى سائغة بحكم الشرع .

ولذلك قيل: إن (حلالا) و(طيبا) يصبان فى معين واحد فهى صفة مؤكدة.

وجعلها بعضهم صفة مخصصة لمغايرة معنى الحلال بالمستلذ وغير الطاهر وعلى ذلك قول الشافعى وغيره بتحريم أكل الحيوان القذر وكل ما هو خبيث.

﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ الخطوة: المسافة من الأرض بين القدمين حال المشى، يقال: خطا يخطو خطوا: مشى، ويقال: رجل واسع الخطو، والخطوات جمع الخطوة - بضم الخاء وفتحها - كما قال الفراء وهو جمع مؤنث سالم وهو من جموع القلة، وأما جمع الكثرة فهو جمع التكسير وهو قياس مطرد فى (فعلة) الاسم تقول: خطوة و خطى.

و(الخطوة) - بالفتح - المرة الواحدة من الخطو.

وفى الجمع السالم لغات ثلاث: إسكان الطاء كما فى المفرد وهى لهجة بنى تميم وبعض قيس، وضم الطاء اتباعا لضمة الخاء، وفتح الطاء.

وكنى بعدم اتباع الخطوات عن ترك متابعة الشيطان فيما يزين من المعاصى يقال: اتبع زيد خطوات عمرو: إذا سلك مسلكه، وقد سلك الشيطان طريق المعاصى ولا يجوز تقليده فى عمل المعاصى أو متابعته فيما يغوى الناس به وهو ينقلهم من معصية إلى أخرى حتى يقعوا فى كثير من المعاصى كما يخطو الإنسان بقدمه من مكان إلى آخر وهذا على سبيل التمثيل.

والمقصود ألا يحرموا الحلال ويحلوا الحرام كما يفعل المشركون متابعة لشياطينهم .

﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: هذا تعليل للنهى عن اتباع الشيطان، و(العدو) للمفرد والجمع يقال: رجل عدو وقوم عدو.

و(مبين) من أبان على أنه مظهر لعداوته للإنسان منذ آدم عليه السلام ولا يزال على إظهارها وقد حكى رب العزة عنه أنه قال: ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص: ٨٢)، وقال له الحق سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر: ٤٢).

وفسر بعضهم المبين على أن عدواة الشيطان لبنى آدم ظاهرة لا خفاء فيها والمعنيان يلتقيان.

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
(الأعراف: ٣٣)

وفصلت الجملة عما قبلها لكونها جوابا عن سؤال: لماذا لا نتبع خطواته؟

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾: السوء - فى الأصل - مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة بمعنى: أحزنه أو فعل به ما يكره ثم أطلق على جميع المعاصى من الأقوال أو الأفعال أو العقائد فإن عاقبتها وخيمة تؤذى صاحبها قال الشاعر:

إن يك هذا الدهر قد ساءنى
فطالما قد سرنى الدهر
الأمر عندى فيهما واحد
لذاك شكر ولذا صبر(١)

و(الفحشاء) مصدر كالبأساء وهو بوزن فعلاء من الفحش: وهو القبح.

ويستعمل فيما يقبح من الأقوال والأفعال والعقائد فكل ما تنهى عنه الشريعة فهو من الفحشاء، وكل ما أنكره وحكم فيه بعدم المصلحة وعدم العاقبة الحميدة فهو فحشاء.

ثم استعمل فيما يقبح من الأقوال والأفعال والعقائد فكل ما تنهى عنه الشريعة فهو من الفحشاء، وكل ما أنكره العقل وحكم فيه بعدم المصلحة فيه وعدم العاقبة الحميدة فهو فحشاء .

فلكل من السوء والفحش سياقه الخاص والله سبحانه وتعالى سمى المعاصى سيئة كما قال سبحانه: ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ (البقرة: ٨١)، ﴿إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: ١١٤). وسمى المعاصى بالفواحش: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (الأعراف: ٣٣).

وقد فرق بينهما بحسب اختلاف المعنى فالسيئة تسوء صاحبها بعاقبتها والفاحشة: ما فيه قبح فلذلك قيل: إن الفاحشة تتفق مع السيئة فى سوء صاحبها وتزيد القبح فهى أقبح السيئات وأعظمها وقيل: السوء ما لا حد فيه والفاحشة: ما فيه حد، وكل ذلك يؤدى إلى فظاعة الفواحش وعظم جرمها.

إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ
(هود: ١١٤)

والشيطان يأمر بهذه وتلك وأمره ليس أمرا على الحقيقة وإنما المراد به تزيين الشيطان للإنسان وحثه على المعصية بطرق الترغيب فيها فاستخدام الأمر بمعنى التزيين والحث على الشىء استعارة جرت فى المصدر ثم اشتق منه الفعل (يأمر) بمعنى يزين ويحث ويبعث على ارتكاب السيئ والقبيح على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

ولسائل أن يسأل: إذا كان (يأمر) بمعنى (يزين) فلماذا لم يتعد تعديته بأن يقال: يأمر لكم؟ وإذا كان بمعنى يحث ويبعث فلماذا لم يتعد بالحرف (على) تعديته؟

فالجواب: لأن التعدية هنا على حسب المشبه به المستعار لا على حسب المشبه المستعار له.

ولذلك فقد فصلت هذه الجملة أيضا على سبيل الاستئناف على أنها سبب آخر للنهى عن اتباع خطوات الشيطان، أو أنها بيان لسبب عداوة الشيطان الظاهرة كأنه قيل: لماذا كان عدوا مبينا؟ فقيل: لأنه يأمركم بالسوء والفحشاء.

والخطاب فى (يأمركم) لجميع الناس، كما أن المقصود بـ (العباد) فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ (الحجر: ٤٢، الإسراء: ٦٥) جميع الناس بدليل الاستثناء منه.

والذى قيل افتراء على الله بغير علم هو تحريم الحلال وتحليل الحرام من الذى اعتقده المشركون فى بعض الأنعام من حرمة الأكل منها أو اتخاذ الأنداد.

ولسائل أن يسأل: وإذا قيل: إن قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٦٩). داخل فيما يأمر به الشيطان من السوء والفحشاء فلم أفرده بالذكر وعطفه على سابقه؟

فالجواب: فعل ذلك سبحانه اهتماما بأمر هذا الذى اقترفوه مما يخل بالحل والحرمة أو صحة العقيدة فتدعون أن الله حرم كذا وأحل كذا وأمر بعبادة كذا من عند أنفسكم.

ومفعول (لا تعلمون) محذوف أى حكمه من الله تعالى فلا تقولوا: دون أن تعلموا حكم الله فيما تفعلون.

ويمتنع عليهم من باب أولى أن يتقولوا فيما يعلمون عدم الحكم فيه بالتحريم أو بالتحليل.

وعلى الإنسان أن لا يتبع الظن، بل عليه أن يأخذ بالعلم وأن يظهره، وللأحكام الشرعية - عند المجتهد - طرق للإثبات نجعلها فى حكم المعلوم الذى ينبغى اتباعه ويجوز تقليده.

الهامش:

١ - فى القرطبى ٥٨٩/١ ولذاك صبر، وعليه ينكسر الوزن لأن البيتين من بحر السريع .

براعة الاستهلال وروعة الأساليب فى فواتح سور القرآن الكريم

(سورة الرحمن نموذجًا)*

أ. د/ عبدالغنى الراجحى (رحمه الله تعالى)

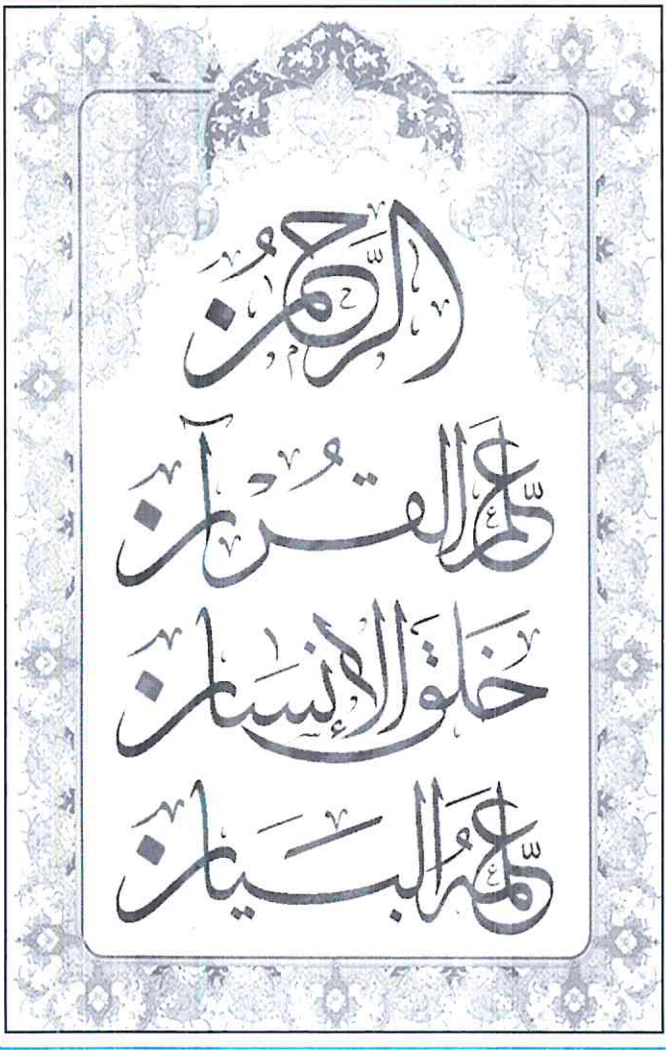

نقدم فى هذا المقال نموذجا من براعة الاستهلال، وروعة الأساليب، وجمال التصوير، ودقة التعبير، ولطائف المناسبات فى سورة كريمة هى سورة الرحمن، وذلك على النحو التالى:

أولا: فى جمال التناسب والارتباط بينها وبين سورة القمر السابقة عليها فى ترتيب المصحف نجد أن سورة القمر قد ختمت فى آخر آية فيها بالحديث عن المليك المقتدر فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ • فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ (القمر: الآيتان ٥٤، ٥٥) فما أروع أن يكون افتتاح السورة التالية سورة الرحمن بالحديث عن نفس هذا المليك المقتدر فتقول: بسم الرحمن الرحيم ﴿الرَّحْمَٰنُ • عَلَّمَ الْقُرْآنَ • خَلَقَ الْإِنسَانَ • عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن: الآيات ١:٤). وفى خواتيم سورة القمر الحديث عن المجرمين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ (القمر: الآية ٤٧). وفى السورة التالية سورة الرحمن نفس الحديث عن هؤلاء المجرمين فى قوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (الرحمن: الآية ٤١).

* نشرت هذه المقالة فى عدد منبر الإسلام شهر ربيع الآخر سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

ولما بينت سورة القمر كثيرا من أحوال المجرمين من أهل مكة، ومن أهل القرى الظالمة التى كذبت أنبياء ربها ورسله من قوم نوح وعاد وثمود، وقوم لوط، وآل فرعون، وبينت ما نزل بهم من عذاب الله وانتقامه، وردت السورة التالية سورة الرحمن مبينة عظمة هذا الذى كفروا به، ورحمته وأنعمه وآلائه، وما خلق فى الوجود من آيات كونية علوية وسفلية لو اعتبروا بما فيها من آثار عظمة الله وقدرته لكان لهم عن إجرامهم وكفرهم معدى، وكانوا فى عداد المتقين لا فى عداد المجرمين.

ثانيًا: فى جمال التناسب بينها وبين نفسها - أعنى بين بعض آياتها وبعض - بين أولها وما تحتها ككل، وبين نهايتها وخواتيمها ككل بين ما ابتدأت به، وبين ما انتهت إليه نجد أنها فى أولها وفاتحتها تتحدث عن البدء والنشأة، وخلق الإنسان والكائنات، ومظاهر الوجود والحياة من آيات الله الكونية فى الأنفس والآفاق ثم تتحدث بعد ذلك إلى خواتيمها عن النهاية وحتمية القيامة وإفضاء الخلائق إلى التقائهم بخالقهم للحساب والجزاء بالحسنى إن فعلوا فى الأولى والدنيا الحسنى من الاعتبار والاتعاظ، وبالسوأى إن فعلوا فى الأولى، وفى الدنيا السوأى من الكفر والجحود والعصيان، وعدم الانتفاع بما خلق الله من آيات بينات فالخاتمة بنت الفاتحة، والنتيجة بنت المقدمة والآخرة من الأولى والدنيا مزرعة الآخرة، وفى الحديث الشريف **«يموت الإنسان على ما عاش عليه ويحشر الإنسان على ما مات عليه»**، ومن حسنت أولاه حسنت عاقبته ومن ساءت فاتحته ساءت نهايته.

من يزرع الشر يحصد فى عواقبه
ندامة ولحصد الزرع إبان

إن الصورة اللفظية فى آيات السورة الكريمة ونظام وأوضاع وترتيب عباراتها وتراكيبها، وتقديم المقدم منها وتأخير المؤخر جاءت محاذية ومماثلة للصورة الذهنية المعنوية المراد تحقيقها، ووقوعها فى الخارج الصورة اللفظية الحسية منبهة ومرشدة ومشيرة إلى الصورة الذهنية المعنوية، وتدل عليها بأوضاع العبارات وهيئة تركيبها وترتيبها فوق الدلالة على ذلك بالمعانى الوضعية للألفاظ فيكون ذلك بيانا فوق بيان وإعجازا فوق إعجاز. فالحديث عن البدء والخلق والإيجاد، والكائنات علويها وسفليها إلى الآية ٢٥. ثم الحديث عن الفناء والقيامة والسؤال والحساب، وتعذيب المجرمين إلى الآية ٤٥ ثم الحديث عن نعيم الذين خافوا مقام ربهم، وما أعد لهم من الجنات إلى نهاية السورة الكريمة الأول فى الأول، والأخير فى الأخير، والأخير من الأول كالنتيجة من المقدمة.

ثالثًا: فى السورة الكريمة ظاهرة واضحة وسمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ
إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا
مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ۝

صدق الله العظيم (الرحمن: ٣٣)

غالبة تتغلغل فى تراكيبها وعباراتها وتتوزع فيها بانتظام تشد الأنظار إليها وتسترعى الانتباه، وتثير السؤال والعجب والدهشة لهذا الاقتدار العجيب على إبراز هذه المعانى الدينية والاجتماعية الفحلة العريقة فى هذه الأساليب البيانية الرائعة المتأنقة الزاهية الألوان تبدو عليها مسحة البساطة وعدم التكلف بينما هى لا تتأتى لبليغ أو أديب إلا بنوع تكلف وتعمل واصطناع يجعلها ضربا من سجع الكهان، أو مقامة من مقامات بديع الزمان نعنى بهذه الظاهرة الغالبة فى السورة الكريمة ظاهرة الإثنينية والتثنية بالجمع بين شيئين بواسطة حرف الواو، أو بواسطة التثنية الصرفية. هذان الشيئان غالبا ما تجمع بينهما المناسبة والارتباط فى الذهن والوجود بالقرب بينهما أو بالتضاد والمقابلة التى هى نوع من التناسب والارتباط الذهنى، لأن الضد أقرب خطورا بالبال إلى ضده يكون ذلك كله فى آيات قصيرة قليلة الحجم تلتزم فاصلتها الألف والنون اللتين هما علامة التثنية فى حالة الرفع فى المثنى الاسمى الصرفى كقوله «جنتان» «مدهامتان»، وفى المثنى الفعلى كقوله تعالى «تكذبان» «تبغيان» حتى ما جاء بغير هاتين الصورتين للتثنية جاء أيضا فاصلة مختومة بالألف والنون فى الاسم المفرد «كالرحمن» و«البيان» و«الإحسان»، وفى جمع التكسير مثل «أفنان» و«حسان».

أما ظاهرة قصر الآيات وصغر حجمها فإنه رأى عين بالمشاهدة والمعاينة لا تكاد تزيد آية فيها عن خمس كلمات إلا فى النادر القليل، ويندر أن تكون فى غيرها من السور آية تكون لفظة واحدة كما جاء فيها الآية رقم ١ «الرحمن» والآية رقم ٦٤ «مدهامتان» والآية رقم ٤٨ «ذواتا أفنان» والمضاف والمضاف إليه كالشىء الواحد.

وأما الإثنينية بعطف الشىء على نظيره أو تثنيتهما تثنية صرفية فى الاسم والفعل مع الاسترسال والإيغال فى ذلك، وإيراد صيغة الطباق والمقابلة أحيانا فإننا نرى ذلك ماثلا فى مثل قوله تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ● وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ (سورة الرحمن: الآيتان ٥ ، ٦) فمع

التناسب بين الشمس والقمر فى العلوية والفلكية، والتناسب فى البائية بين الشجر والنجم وهو ما لا ساق له من النبات توجد علاقة المقابلة والتضاد بين الأولين العلويين والأخيرين الأرضيين.

ثم الإثنينية والتناسب والتقابل فى خلق الإنسان من صلصال كالفخار، وخلق الجان من مارج من نار الآيتان ١٤ ، ١٥ ثم الإثنينية والتناسب والتقابل فى ذكر المشرقين والمغربين الآية ١٧، والبحران يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان واللؤلؤ والمرجان يخرجان منهما الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ والثقلان الإنس والجن ملفوفان فى لفظ واحد مثنى فى قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ (الآية ٣١) الأمر الذى انبنت عليه التثنية فى إحدى وثلاثين آية مكررة تقول ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الأمر الذى انبنى عليه رد الجن على رسول الله ﷺ لما قرأ هذه الآيات فإنه ﷺ قرأ السورة الكريمة على أصحابه صامتين فقال لهم: «مالى أراكم سكوتا، الجن كانوا أفضل ردا، ما قلت: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشىء من نعمك يا ربنا نكذب».

ثم التثنية بطريقة عطف الشيئين بينهما التناسب والتقابل الجن والإنس مرة أخرى وبعنوان هذين اللفظين فى مقام تعجيزهما وتحديهما ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (الآية ٣٣). ثم مرة أخرى فى مقام سؤالهما يوم القيامة بتقديم الإنس على الجن عكس الترتيب السابق، والتعبير بلفظ الجان فى التعبير الأول ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ (الآية ٣٩) ثم تتكرر إثنينية الإنس والجان مرتين أخريين فى نفس السورة الكريمة فى مقام مدح الحور العين فى الجنتين بأنهن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (الآيتان ٥٦ ، ٧٤).

ثم يكون التمادى والإمعان فى ترسيخ هذه الظاهرة فى السورة الكريمة كأنه توكيد وبرهان لما ادعيناه من أنه صار سمة بارزة وظاهرة غالبة فيها، وذلك بمجىء التثنية فيما ظاهره والأصل فيه أن يفرد، وذلك فى ذكر الجنتين فى قوله تعالى فى الآية ٤٦: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ والآية ٦٢ ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ فإن المعروف المألوف المذكور فى نفوس الدارسين والقارئين والباحثين أن للمؤمنين الصالحين فى الآخرة جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وأن للكافرين العاصين نارا ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى • الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (سورة الليل: الآيتان ١٥ ، ١٦)، وفى هذا المقام نفسه مقام الخوف من الله ورد التعبير عنها بالمفرد فى سورة النازعات فى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى • فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (الآيتان ٤٠ ، ٤١) ثم إن النار لم ترد فى القرآن إلا مفردة لا مثناة ولا مجموعة، والجنة وإن وردت فى القرآن على

الأصل من الإفراد كثيرًا إلا أنها عادت فجاءت فى مواضع كثيرة بلفظ الجمع (جنات النعيم) (جنات تجرى من تحتها الأنهار) (جنات الفردوس) ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (سورة القمر: الآية ٥٤) الأمر الذى حدى بالمفسرين أن يقولوا: إنها جنة واحدة، ولكنها عدة جنان. وجنان عدة باعتبار تعدد منازلها ومراتبها، ودرجاتها وترامى أطرافها واتساع مدى ومجال النعيم فيها. أما ورودها فى القرآن مثناة فلم يوجد ذلك إلا فى آيتى سورة الرحمن التى نمارس الحديث عنها الآن. ولعل الذى استخرجته وذكرته وتتبعته فى السورة الكريمة، وبرهنت عليه من شيوع ظاهرة الإثنينية فيها يكون كافيا ومقنعا فى بيان السر فى هذه التثنية بالذات تثنية الجنة والتعبير عنها بالمثنى مرتين فى مقام عدة الله لمن خاف مقامه. ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ وبعد قليل من الآيات ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ تتغلغل طريقة التثنية فى وصفها ووصف ما فيهما من النعيم حتى نهاية السورة الكريمة فهما ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (الآية ٤٨) صاحبتا أفنان جمع فنن مفرد أغصان الأشجار، وهما ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (الآية ٥٠) هكذا بالتثنية وهما ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (الآية ٥٢) هكذا بالتثنية، والمشبه به للحور فيها اثنان الياقوت والمرجان ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الآية ٥٨)، والجنتان الأخريان ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ (الآية ٦٤) ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ (الآية ٦٦) هكذا بالتثنية. ثم الإثنينية بطريقة العطف فى الخاص بعد العام فى قولها ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (الآية ٦٨) فالفاكهة هى العام وما بعدها من النخل والرمان هو الخاص اثنان فقط.

والسؤال الآن، هل يجوز أن تكون لبعض سور القرآن سمات بارزة وخواص مميزة، وظواهر تشيع فيها فى العبارات والمعانى، وطريقة الأداء ونوع الفاصلة والجرس الصوتى للألفاظ يستدعى ذلك كله العدول عن لفظ إلى لفظ، وعن طريقة إلى طريقة ويرجح تعبيرا على آخر؟ اللهم نعم وهو موضوع دقيق بعيد الغور، لنا إليه عودة فى مقالات خاصة به نكثر فيها من ذكر الأمثلة من واقع السور القرآنية.

مهما يكن من شىء فإن محصل هذه التثنية

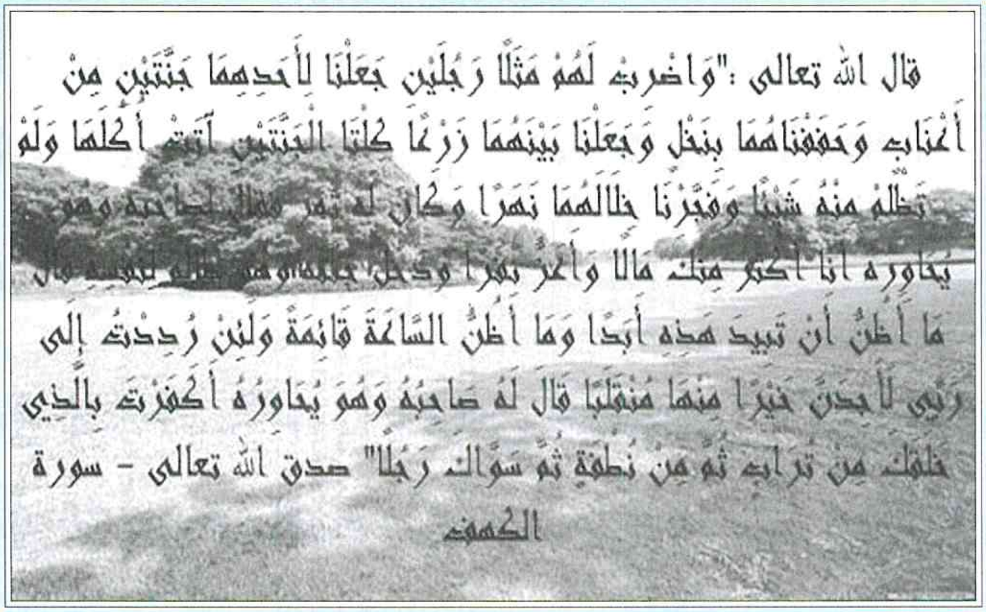

للجنة مرتين فى سورة الرحمن مراعاة لما قلناه وقررناه هو أنه قد صار لمن خاف مقام ربه أربع جنات؛ جنتان ومن دونهما جنتان، والظاهر أن الغرض من ذلك فى النهاية هو المبالغة والتكثير فى النعيم بدليل أن ما ذكره الله فى وصف كل من نعيم الجنتين متقارب كأنه هو الزرع الأخضر والشجر الجميل، والعيون الجارية النضاحة بالماء، والوجوه الحسان من الحور المقصورات فى الخيام القاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان. الثلاثة اللاتى يذهبن الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن ثم الفرش الوثيرة من استبرق ورفرف خضر وعبقرى حسان، وينقل المفسرون عن شيخ الإسلام أن المراد بالجنتين جنة واحدة وإنما ثنى مراعاة للفواصل، وعن مقاتل أنهما جنة عدن وجنة النعيم، وعن الفراء إنما هى جنة واحدة، ولكنه ثنى لرؤوس الآيات، وعن غيره إنما كانتا اثنتين ليضاعف له السرور بالتنقل من جنة إلى أخرى.

هذا كله فيما يتعلق بجنة الآخرة أما جنة الدنيا بمعنى الحديقة والبستان فقد جاءت مجموعة كما فى سورة الأنعام الآية ١٤١، وجاءت مفردة كما فى سورة البقرة الآية ٢٦٦، وجاءت مثناة كما فى سورة سبأ الآيتان ١٥ ، ١٦، وذلك كله فى مقامات تستدعى ما جاء فيها من الجمع والإفراد والتثنية لكن ما يستشكل به ويتصل بما نحن فيه اتصالا وثيقا مجىء المثناة فى سورة الكهف فى قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ● كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَرًا﴾ (الآيتان ٣٢ ، ٣٣) ثم جاءت عقب ذلك وفى نفس القصة ونفس الواقعة مفردة فى قوله تعالى عن هذا الرجل صاحب هاتين الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (الآية ٣٥)، ويقول المفسرون: إنه ثناها أول القصة فى مقام مدحها وبيان عظمها وجلالها وجمالها ثم عاد فأفردها فى مقام ذم صاحبها وتحقيرها، لأنه خدع واغتر بها وكفر.

والسؤال الآن: هل يكون الشىء واحدا فى ذاته، ولكنه يثنى أحيانا، أو يجمع لاعتبار أو لآخر؟؟.

هذا الحديث - إذا أعان الله - موصول لتقديم وجبات أشهى، وعرض نماذج أخرى من روعة الأساليب وعظمة البيان فى آيات سورة الرحمن، والله المستعان.

بمشاركة ٣٤ دولة و ٨٥٠ ناشرًا

فى عرس مصر الثقافى..

مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تحقق أعلى معدلات البيع فى تاريخ المجلس

فى تظاهرة ثقافية سنوية كبرى، ووسط حشد أدبى وفنى ودبلوماسى افتتح المهندس شريف إسماعيل ـ رئيس مجلس الوزراء ـ يرافقه حلمى النمنم ـ وزير الثقافة ـ الدورة (٤٧) لمعرض القاهرة الدولى للكتاب التى تحمل شعار «الثقافة فى المواجهة» بأرض المعارض بمدينة نصر، وقد تم اختيار الأديب الكبير الراحل جمال الغيطانى شخصية المعرض هذا العام، وتسليط الضوء على مشروعه الثقافى، بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من الفعاليات والندوات بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاة الأديب نجيب محفوظ، ولعل من أهم ما يستلفت الانتباه فى دورة المعرض هذا العام تخصيص قاعة لذاكرة المعرض تم من خلالها عرض أمسيات شعرية لنزار قبانى ومحمود درويش وعبدالرحمن الأبنودى وغيرهم من كبار الشعراء الذين شاركوا فى فعاليات المعرض قبل عدة سنوات.

ولصقل المعرض وأهميته على المستوى الدولى استضاف العديد من دول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية وقام بدعوة الروائى الصينى «ليوجين يون» الذى تمت ترجمة روايته «الموبايل» للغة العربية لتقدم للقارئ العربى نموذجًا لأدب ينتمى لحضارة عريقة يتناول قضية أخلاقية فى ضوء متغيرات العصر بأسلوب ساخر ولغة سهلة، والصين شاركت لأول مرة هذا العام بجناحين يضمان إصدارات مختلفة عن تاريخ وحضارة هذا البلد العريق من بينها كتاب «٦٠ عامًا من العلاقات المصرية ـ الصينية» المترجم للغتين العربية والصينية، ويرصد محطات تاريخية منذ بدء تلك العلاقة فى الخمسينيات، ومسيرة توثيقها عبر العصور المختلفة.

د. هيثم الحاج ـ رئيس الهيئة العامة للكتاب لـ«منبر الإسلام»:

حظيت مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية باهتمام وإقبال رواد المعرض

يقول المولى ـ عز وجل ـ فى كتابه الحكيم ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ (فاطر: ١٤)، لذا فقد حرصنا فى مجلة «منبر الإسلام» على أن نلتقى بأحد فرسان المعرض الأستاذ الدكتور هيثم الحاج ـ رئيس هيئة الكتاب ـ الذى بذل جهداً كبيراً فى إنجاح هذا العرس الثقافى الذى أشاد بحضور المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمطبوعاته التى امتازت بالفكر الوسطى المعتدل علاوة على رخص ثمنها، وكان لنا هذا اللقاء مع سيادته:

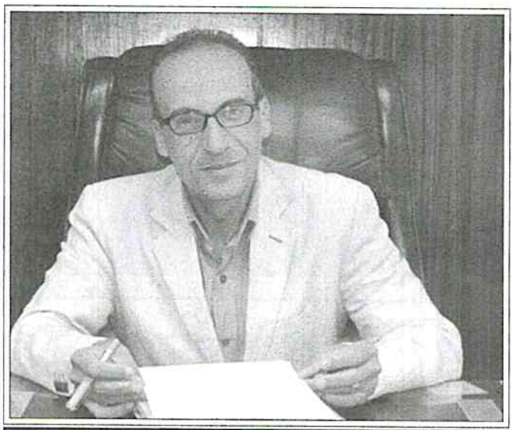

د. هيثم الحاج

حاوره: محمد كامل شاهين

■■ ما الجديد الذى قدمه معرض الكتاب هذا العام؟

ـ جاء معرض القاهرة الدولى للكتاب هذا العام مختلفًا تمامًا عن السنوات السابقة فى هذه المرحلة الجديدة التى أكملت فيها مصر خارطة الطريق ببرلمان جديد يحمل طموحات المصريين، كما حلت دولة البحرين على المعرض ضيف شرف، وكان عنوان المعرض هذا العام هو «الثقافة فى المواجهة»، وقد شهد المعرض نشاطًا ثقافيّا وفنيًا متميزًا ضم جميع التيارات والتوجهات الفكرية. ولأول مرة بدأ نشاط ما يعرف بـ «ذاكرة المعرض» يقوم على إعادة عرض لندوات شهيرة قدمتها قامات الفكر المصرى والعربى على مدار العقود الثلاثة الماضية، ولم يرهم إلا الجمهور الذى حضر تلك الندوات حيث تم عرض ٣٠ ندوة طوال أيام المعرض بواقع ندوتين يوميّا لشخصيات بارزة مثل المفكر الكبير د/زكى نجيب محمود وعبد الرحمن الأبنودى، وأنيس منصور، ونزار قبانى وغيرهم.

وقد عرضت هذه الندوات فى قاعة السينما التى شهدت عرض فيلم وثائقى يوميّا من الشئون المعنوية للقوات المسلحة عن بطولات الجيش المصرى، بجانب فيلم متخصص لزوار المعرض من الأطفال.

والجديد أيضًا مشاركة كل قطاعات وزارة الثقافة فى فعاليات المعرض هذا العام، حيث شارك قطاع الفنون التشكيلية بأربعة معارض ومهرجان للرسم الجرافيتى على الأسفلت، كما شاركت الأوبرا بعروض موسيقية قدمت فى مخيمات الأنشطة وشوارع المعرض، ومن الأنشطة أيضًا اللقاء الفكرى «كاتب وكتاب»، المقهى الثقافى، الموائد المستديرة، ملتقى الشباب، ونشاط الطفل.

■■ «الثقافة فى المواجهة» هى محور فعاليات المعرض.. ما مغزى هذا العنوان؟

ـ معناه أن الثقافة هى الحل الأول والأمثل لكل المشكلات لمواجهة كل القيم السلبية فى المجتمع، ومعناه أيضًا أنها خط الدفاع الأول عن الهوية وضد الإرهاب والتطرف.

ما أهم العناوين التى عرضها جناح الهيئة هذا العام؟ وماذا عن التخفيضات التى قدمتها الهيئة لزوارها؟

- تقدم الهيئة مجموعة كبيرة من الإصدارات بمختلف السلاسل والمجالات تصل إلى حوالى مائتى عنوان، ومن هذه العناوين «الشخصية العربية ومفهوم الذات» للمفكر السيد ياسين، «وكليوباترا بين الحقيقة والأسطورة» تأليف بسام الشماع، «وفلسطين من التأييد السياسى إلى التعاطف الإنسانى»، وشاركت الهيئة بعدد من الأجنحة منها جناح مكتبة الأسرة، وجناح للبيع وآخر للكتب المخفضة بالإضافة إلى سور الأزبكية لقطاعات وزارة الثقافة حيث وصلت التخفيضات إلى ٢٠٪.

ماذا عن أبرز الشخصيات التى شاركت هذا العام؟

- وُجهت الدعوة لمجموعة كبيرة من الشخصيات من مختلف الدول العربية والعالمية للمشاركة فى الفعاليات، منهم كتاب ومفكرون من إيطاليا وروسيا والصين وألمانيا وتونس والمغرب ولبنان وغيرها من الدول، ومن هذه الشخصيات على سبيل المثال الروائى الصينى ليوجين يون، والروائى شكرى المبخوت من تونس، أحمد المدينى وحسن أوريد من المغرب، كارلو روفايللى من فرنسا وغيرهم كثيرون، وهناك لقاء فكرى متميز جمع بين حبيب الصايغ - رئيس اتحاد الأدباء والكتاب العرب الجدد - والكاتب الكبير محمد سلماوى الرئيس السابق للاتحاد.

وعن تقييمه لإصدارات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التى شاركت فى معرض هذا العام أفاد سيادته بأن مشاركة المجلس بمطبوعاته التى تمتاز بالوسطية والاعتدال كانت مبهرة ومحط أنظار واهتمام رواد المعرض.

لماذا تم اختيار البحرين لتكون ضيف شرف هذا العام؟

- للبحرين تجربة ثقافية متميزة ولديها أقدم تجربة تعليمية وبرلمانية فى الخليج وبالتالى وجودها كضيف شرف سيكون ممثلاً قويّا للثقافة العربية والخليجية معًا بالإضافة إلى أن كثيرًا من الكتاب والمبدعين البحرينيين معروفون على مستوى الوطن العربى، حيث قدمت البحرين نشاطًا ثقافيّا وفنيّا متنوعا، وعرضت أفلامًا وثائقيّة وتاريخية عن تاريخ البحرين وتراثها، فمشاركة البحرين بفعالياتها المميزة أضافت طابعًا خاصّا تماشى مع تميز به المعرض فى دورته هذا العام.

وماذا عن شخصية المعرض هذا العام؟

- تم اختيار الكاتب الراحل جمال الغيطانى ليكون شخصية المعرض وتم استكمال طباعة أعماله الكاملة، وتم تخصيص محور ومجموعة من الفعاليات عبارة عن ندوات يومية لمناقشة كل الجوانب الثقافية التى أثر فيها الغيطانى وليس أعماله الإبداعية فقط، بل فى مجال الصحافة والتليفزيون أيضًا، وعلاقته بتلاميذه وتأثيره فى الخارج، وشارك فى هذه الندوات التى عقدت بالقاعة الرئيسية عدد من المبدعين الأجانب من روسيا وفرنسا، كما عقدت ست ندوات عن نجيب محفوظ بمناسبة مرور عشر سنوات على وفاته.

تجليات الرحمة فى أسمى مظاهرها

د. طه عبدالسلام خضير*

الرحمة خلق من مكارم الأخلاق فى القمة، وفضيلة هى من فضائل الإسلام فى الذروة. إنها ملاك الخير وجماع الفضل كله.

والرحمة كمال فى الطبيعة، ورقة فى القلب، تثمر الرفق والرأفة ولين الجانب. ثم هى خلق رفيع يحرك فى الإنسان عاطفة البر والخير. والرحمة متعددة الجوانب متفاوتة الدرجات أعلاها وأعظمها رحمة الله عز وجل بخلقه. ثم رحمة رسوله صلى الله عليه وسلم بأمته. ثم رحمة الناس بعضهم بعضاً وسنلمح هنا إلى أسمى هذه الدرجات.

إن الرحمة فى أفقها الأعلى وامتدادها المطلق صفة من صفات الذات الأقدس تباركت أسماؤه وصفاته، الذى شملت رحمته الوجود وعمت الملكوت فحيثما أشرق شعاع من علمه المحيط بكل شىء تجلى عطاؤه بوابل من فيض رحمته. ولقد وصف - عز وجل - نفسه بالرحمة والرأفة فى كثير من آيات كتابه الكريم يقول عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة : ١٤٣)، ويقول: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١١٧).

ولقد بدأ كتابه الكريم وافتتح سوره المباركة بصفتين من صفات رحمته «بسم الله الرحمن الرحيم» فهو تعالى الرحمن وهو الرحيم. وهو أرحم الراحمين ثم هو خير الراحمين. ولقد أفاض المفسرون فى توضيح مدلول كل من الاسمين الجليلين الرحمن، الرحيم. كان من أفضل ما قيل: إن الرحمن هو المفيض للنعم بسعة وتجدد وبلا حدود ودلالة على استمرار هذا العطاء والجود بهذه الرحمة وصف نفسه بوصف يدل على الثبوت والدوام فهو تعالى الرحيم ذو الرحمة الثابتة الدائمة التى لا تنفك عنه لا أزلاً ولا أبداً. وإذا ما نعمت أرواحنا فى رحاب أسمائه الحسنى وصفاته المقدسة، وتأملنا أسرار مدلولاتها وجدنا أن الكثير من هذه الأسماء لله - عز وجل -

* أستاذ بجامعة الأزهر.

ينبع من الرحمة ويرجع إليها. فهو تعالى غفار برحمته وهاب برحمته، رزاق برحمته. وهو باسط وواسع برحمته. كريم لطيف برحمته.

إن الرحمة الشاملة هى رحمة الله العزيز الرحيم الذى عمَّتْ رحمته الوجود وشملت الكائنات، فما من موجود إلا وبرحمة الله يحيا وفى ظلالها يعيش. يقول تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، ويقول: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر: ٧).

وما أعظم فضل الله علينا نحن البشر لقد خلقنا ولم نكن شيئًا مذكورًا، ويسر لنا أسباب الحياة على أرضه وتحت سمائه، وربانا على موائد كرمه وفضله. أجرى لنا البحار والأنهار، وأنبت لنا الزروع والثمار، وسخر لنا الشمس والقمر، والليل والنهار ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ • وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ • وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم: ٣٢: ٣٤).

لقد أنزل تبارك وتعالى قرآنه العظيم وهو آياته الكبرى، ومعجزة الإسلام الخالدة. أنزله هدى ورحمة، وغذاء للأرواح، وشفاءً لما فى الصدور ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِى الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٥٧).

لقد بلغ من سعة رحمة الله تبارك وتعالى ما أحاط به المخلوقات منها حتى تحنو الدابة على ولدها وتعطف الطيور على ذراريها كل ذلك إنما هو جزء من مائة جزء ادخرها لعباده المؤمنين فى الآخرة، ففى الصحيحين عن أبى هريرة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله ـ عز وجل ـ الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزءًا واحدًا فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه». وصدق الله العظيم: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾.

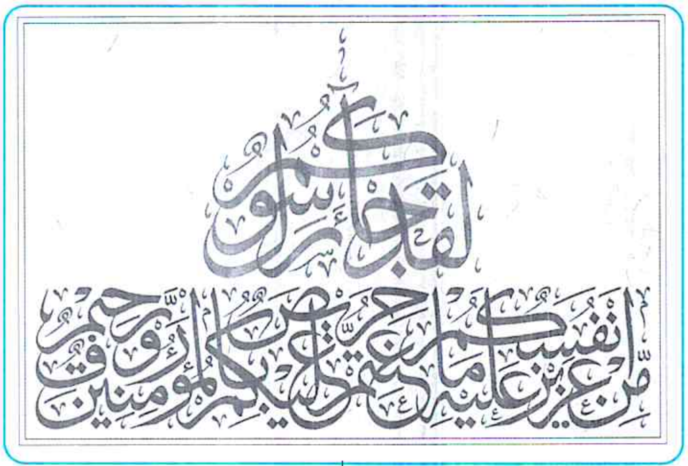

ولكن من هم المستحقون لهذه الرحمة؟ على هؤلاء المفرطين فى طاعته والمستهينين بمعصيته أن يتدبروا قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿الأعراف: ١٥٦)، إن الآية صريحة فى أن المستحقين للرحمة هم المؤمنون الذين يخافون الله فيمتثلون أوامره ويجتنبون كبائر الإثم والفواحش هؤلاء الذين يذنبون فيتوبون إلى رشدهم ويلجأون إلى ربهم، يستغفرونه ويتوبون إليه. فما أقل حياء عبد يطمع فى رحمة الله بغير طاعة وعمل وفى الحديث القدسى: «كيف أجود بجنتى على من بخل بطاعتى».

ومن عظيم فضل الله على عباده أنه تعالى أطمعهم فى رحمته. ورغبهم فى كريم عفوه يذنبون فيغفر لهم ويسيئون فيتجاوز عن سيئاتهم، ويخطئون فيعفو عنهم ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (فاطر: ٤٥).

إنه تعالى يمهلهم ليتوبوا فيقبل توبتهم، ويعفو عنهم بل ويبدل سيئاتهم حسنات. فى الحديث القدسى: «يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وإنا أغفر الذنوب جميعًا فاستغفرونى أغفر لكم»، ويقول تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزمر: ٥٣).

وفى صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار

أخرج الله كتابًا من تحت العرش وفيه أن رحمتى تغلب غضبى وإنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلا أهل الجنة».

من مظاهر رحمة الله بعباده إرساله الرسل إليهم

لقد كرم الله الإنسان وفضله على كثير من خلقه بنعمة العقل الذى به يميز النفع من الضر والخير من الشر والحسن من القبيح، لكنه أودعه بجانب العقل كثيرًا من الغرائز والقوى التى لا بد منها لتمام حياته وكمال وجوده كإنسان مستخلف عن الله فى الأرض، ففيه غريزة حب النفس والأنانية والأثرة والاستئثار بالمنافع، وفيه قوة الشهوة وحب التملك، وآلام الإنسان ولذائذه لا تقف عند غاية، ومطالبه غير متناهية، ومع هذا فهو أسير شهواته، وعبد أطماعه ومنقاد إلى غرائزه وقواه المادية الداعية للظلم والنزاع والتنافر والتشاحن بل إلى الفساد والدمار. هذه القوى والغرائز تستطيع أن تقاوم العقل وأن تتغلب عليه، بل وتؤثر فيه. من هنا لا تستقيم حياة الإنسان وهو يكل أمره إلى تدبير عقله فقط. وإذا كان الإنسأن كائنًا اجتماعيًّا فإنه ليس فى وسع البشر الذى طبيعته هذه أن يضع قواعد العدل التى بها ينظم العيش فى هذه الحياة، بل ولا أن يحدد العلائق والصلات بين الأفراد والجماعات فى حدود العدل.

ثم كيف تشرع العقول وهى قاصرة وإدراكها متفاوت؛ فإن الشىء الواحد يستحسن فعله جماعة ويستقبحه آخرون، بل أن الشخص الواحد قد يستحسن الشىء فى وقت ويستقبحه نفسه فى وقت آخر. هذا العقل الذى عجز عن تنظيم شؤون حياته المشاهدة هو أشد عجزًا عن إدراك أحوال الآخرة المغيبة كالبعث والحساب والجنة ونعيمها والنار وعذابها، وفوق ذلك ليس فى مقدور العقل أن يعرف ضالته معرفة تطمئن إليها النفس إذ ليس فى وسعه معرفة جميع ما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حق الله تعالى. لهذا كله ولغيره كان الناس فى حاجة إلى قيادة رشيدة حكيمة مأمونة الجانب من الخطأ، يخضع لها العامة والخاصة. وكانوا محتاجين إلى من يرشد عقولهم إلى الخالق (جل وعلا) ويبين جلاله وسلطانه وأمره ونهيه. كانوا فى أمس الحاجة إلى من يخبرهم عن الحياة الآخرة وما فيها من ثواب يرغب فى الخير وعقاب يرهب من الشر، ويضع قواعد العلاقات بين الناس على أساس من الحق والعدل، بل إن الناس محتاجون إلى من يبين لهم عن الله ـ عز وجل ـ ما كلفهم به من العقائد والعبادات والآداب والمعاملات تطهيرًا لنفوسهم وتهذيبًا لأخلاقهم من دنس الشرك وعبادة الوثنية، ونشرًا للعدل والسلام بين كافة الناس. من هنا كانت ضرورة إرسال الرسل إلى الخلق تفوق كل الضرورات، بل هى أعظم ضرورةً من حاجة البدن إلى الروح، والعينين إلى النور، والروح إلى الحياة.

ولقد تفضل الله الرحيم بخلقه فأرسل إليهم رسلاً من جنسهم يرشدون الخلق إلى خالقهم ويرشدون العقل كذلك إلى معرفة من أوجده. يجمعون كلمة الناس على إله واحد. ويذكرونهم بعظمته بما يفرضون من ضروب العبادات التى تهذب الطباع وتصقل النفوس بما يشرعون من قوانين العدالة التى يخضع لها الرئيس والمرؤوس والمالك والمملوك على السواء. ويرسخون فى النفوس المبادئ والملكات الفاضلة والقيم السامية، والأمانة والعدل، والصفح والعفو، والوفاء بالعهد، آخذين فى ذلك كله بطرف من الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والإنذار والتبشير.

وإذا كانت سعادتنا منوطة باتباع نبيٍّ كان جديرًا بالإنسان أن يعرف الكثير من سيرة نبيه، وأن يقتدى به، وأن يكون من حزبه. فإن حزب هذا الرسول هو الحزب الذى أخبر الله ـ عز وجل ـ عنه بأنه هو المفلح. والناس فى هذا المقام بين مستكثر ومقل. مستكثر أعطاه الله الكثير، ومقل لم يحصل إلا على القليل، ومحروم لم يحصل على شىء ألبتة. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

التيسير فى الدين من مظاهر رحمة الله بعباده

الإسلام هو دين الله تعالى الجامع لأصول شرائع الأنبياء والمرسلين أقدر النظم التشريعية على تقديم العلاج الإصلاحى لأمراض العالم وأسقام الإنسانية وشفائها من سرطان الحضارات المخبولة. ودعاته مُطالَبون أشد المطالبة بالقيام بعمل جاد قوى لخدمة الإسلام، وذلك بالتعريف به، ونشر مبادئه، وإتاحة الفرصة من جديد أمام العقل الإنسانى الحائر لفهم الإسلام، فهما صحيحًا يعم مشارق الأرض ومغاربها بروح سمحة حنيفية تقدر الواقع، ويقف معه وجهًا لوجه، ويعالجه، ولا يتهرب منه وراء جدل أجوف وأسلوب عيى كسيح، لا يأتى بشىء. ولقد شاء الله الرحيم بعباده أن تمتاز شريعة الإسلام عما سبقها من الشرائع بطابع اللين واليسر والسهولة. قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة : ١٨٥). يقول صاحب تفسير المنار فى معنى هذه الآية ما ملخصه: إن دينكم يسر تام لا عسر فيه. وفى هذا التعبير القرآنى ضرب من الترغيب فى إتيان الرخصة. ولاغرو فإن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يجب أن تؤتى عزائمه. ذلك أن الله لا يريد العنت فى أحكامه بعباده، وإنما يريد اليسر بهم ومنفعتهم.

وهذا أصل الدين الذى يرجع إليه فى فهم النصوص وتفسير التشريعات والأحكام.

ولقد ورد فى هذا المعنى أحاديث كثيرة من أشهرها قول رسول الله ﷺ: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» (متفق عليه من حديث أنس). كما صح عنه ﷺ أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما. وفى الصحيح أن الرسول ﷺ قال لمعاذ وأبى موسى لما بعثهما إلى اليمن: «بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تختلفا». ويروى أصحاب السنن والمسانيد أنه ﷺ قال: «بعثت بالحنيفية السمحة» كما صح عنه ﷺ: «إن الله أراد بهذه الأمة اليسر ولم يرد بهم العسر» وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (الحج : ٧٨).

رسول الله محمد رحمة الله للعالمين

لما أراد الله أن يختم رسالاته إلى الناس، وأن يكمل دينه لهم، ويتم عليهم نعمته، بعث خاتم النبيين، وإمام المرسلين، هاديًا ومبشرًا ونذيرًا،

وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا. فكان رحمة لأمته بل كان رحمة للعالمين. وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء : ١٠٧)، وصدق رسوله الكريم: «إنما إنا رحمة مهداة». ولقد ميزه ربه بصفتى الرحمة والرأفة فقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أنفسكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة : ١٢٨).

لقد امتاز ﷺ بقلب يفيض بالرحمة، وينبض بالحنان وحب الخير للعالمين. فقد كان يعامل بالرحمة الكبير والصغير، والمؤمن والمشرك، بل الإنسان والحيوان. وإن سيرته العطرة لتحمل من حسن خلقه وطيب معاملته، ورقة عاطفته، وكريم نبله الشىء الكثير. ولقد كان ﷺ يرحم الصغار ويحنو عليهم، ويجلسهم فى حجره ويداعبهم ـ كما أخبر بذلك يوسف بن عبد الله بن سلام ـ وكان ﷺ يصلى بالناس وهو قرير العين بالصلاة، يحب أن يطيل فيها فإذا سمع بكاء طفل تجوَّز فى صلاته رحمة به وبأمه. لقد كان رحيمًا بالناس حتى فى وعظه وتوجيهاته. يقول ابن مسعود رضي الله عنه: كان ﷺ يتخولنا بالموعظة خشية السآمة.

لقد كان ﷺ رحيمًا بأمته عامة وبالمؤمنين خاصة. يروى عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ ذكر قول إبراهيم: ﴿ فَمَن تَبِعَنِى فإنه مِنِّى وَمَنْ عَصَانى فإنك غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (إبراهيم: ٣٦)، وقول عيسى ابن مريم: ﴿إن تُعَذِّبْهُمْ فإنهمْ عِبَادُكَ وَإن تَغْفِرْ لَهُمْ فإنك أنت الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨)، ثم رفع يديه وقال: «اللهم أمتى أمتى»، وبكى فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد فاسأله ـ وربك أعلم ـ ما يبكيه؟ فجاء جبريل يسأل رسول الله ﷺ. فذكر له خوفه على أمته وعلى مستقبلها ـ لا سيما إذا ما ارتكبت ما هلكت به الأمم السابقة ـ فقال الله عز وجل: يا جبريل. قل لمحمد: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك».

رحمته ﷺ بالحيوان

لقد بلغ من رحمته ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنها جاوزت الإنسان إلى الحيوان. ففى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ دخل حائطًا ـ يعنى بستانا ـ لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل، فلما رآه الجمل حنّ وذرفت عيناه. فمسح ﷺ على ظهره ورقبته فسكن الجمل. ثم قال: «أيكم صاحب هذا الجمل؟» فقال فتى من الأنصار: هو لى يا رسول الله. فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها؟ أن هذا الجمل يشكو لى أنك تجيعه وتدئبه» فتعهد الأنصارى ألا يتعبه بعد ذلك أبدًا.

وفى الحق: أن محمدًا ﷺ رحيم بالمؤمنين فى الدنيا والآخرة، بل هو أرحم بالمؤمن من نفسه التى بين جنبيه. أما فى الدنيا فمن ذلك ما رواه البخارى عنه ﷺ أنه قال: «ما من مؤمن إلا وإنا أولى به فى الدنيا والآخرة. اقرأوا إن شئتم ﴿النَّبِىُّ أولى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أنفسهِمْ﴾ (الأحزاب : ٦) فأيما مؤمن مات وله مال فلعصبته من كانوا، ومن ترك دينًا أو ضياعًا فليأتنى فأنا مولاه».

أما رحمته بالمؤمنين فى الآخرة فقد احتفظ لأمته بالرحمة العظمى فى وقت هم أشد ما يكونون محتاجين إليها. وهى شفاعته العظمى لأمته يوم القيامة. يقول صلوات الله وسلامه عليه فيما صح عنه: «لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجل كل نبى دعوته، وإنى خبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئًا»

ولله در القائل:

خلق أرق من النسيم ورحمة
عمت يشيد بذكرها الرحماء
وعليك من شرف الأمانة حلة
ومن السكينة والوقار رداء

عن أنس رضي الله عنه ،
عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ :
(يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا ، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا) .
متفقٌ عَلَيْهِ

مكانة الرسول ﷺ فى نظر المنصفين من المستشرقين

إن مكانة الرسول ﷺ لا تحتاج إلى بيان ولا إلى شهادة من أحد، بعد أن شهد له الواحد الأحد فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم: الآية ٤).

وامتن الله على المؤمنين ببعثته التى فاقت سائر النعم حيث قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة آل عمران: الآية ١٦٤).

د. أحمد عمر هاشم*

وأمر الله تعالى أن يأخذ الناس ما آتاهم به الرسول ﷺ وأن ينتهوا عما نهاهم عنه حيث قال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (سورة الحشر: الآية ٧)، وتكفل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (سورة الحجر: الآية ٩)، وتكفل سبحانه بحفظ كل صحيح من السنة النبوية المطهرة ليكون بيانًا للقرآن الكريم فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ● فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ● ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (سورة القيامة: الآيات ١٧-١٩)، وأعلن رب العزة سبحانه أنه تكفل بحفظ هذا الدين وإتمامه وإظهاره على الدين كله مهما حاربه أعداؤه، ومهما حاولوا إطفاء نوره، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة الصف: الآية ٨).

شهادة هرقل عظيم الروم

ولقد شهد بعظمة أشرف خلق الله هرقل عظيم الروم، بعد أن كون المعلومات عن رسول الله ﷺ وعن أتباعه ودينه، واستنتج من خلال الأسئلة والأجوبة التى أجراها مع أبى سفيان ومن معه عن

* عضو هيئة كبار العلماء.

الناظر إلى شهادة وآراء المستشرقين المنصفين يرى أن العالم كان فى حاجة إلى هذا النبى العظيم الذى نشر النور والهدى

طريق الترجمان، وتيقن هرقل بأنه رسول حقا، قال: **«فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمى هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه ﷺ لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه»** (رواه البخارى). ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذى بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل، فقرأه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم .. سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾** (سورة آل عمران: الآية ٦٤).

وهكذا نرى شهادة هرقل وكيف وصل إلى الحق وإلى هذه النتيجة وإلى الحقيقة من أقرب الطرق، وهى طريق يمكن أن يسلكها كل باحث عن الحق، وها هو أبو عبيد أخرج فى كتابه «الأموال» من مرسل عمير بن إسحاق قال: كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر، فأما كسرى فلما قرأ الكتاب مزقه، وأما قيصر فلما قرأ الكتاب طواه ثم رفعه فقال رسول الله ﷺ: **«أما هؤلاء فممزقون وأما هؤلاء فستكون لهم بقية»**، وتلك نهاية كل من يسئ إلى رسول الله ﷺ.

شهادة عظماء أوروبا

وكم فى التاريخ القديم والمعاصر من نماذج عديدة لشخصيات كبرى لهم قدرهم الفكرى والاجتماعى، اعتنقوا الإسلام وعرفوا أن الرسول ﷺ هو الحق ودينه هو الحق، فلم يسيئوا إليه، بل إنهم شهدوا له واعترفوا بفضله وعظمته. وإليك أيها القارئ العزيز بعض نماذج من غير المسلمين ومن المستشرقين المنصفين:

ها هو ذا «ليونارد» قال: «إن محمداً ﷺ أعظم البشرية قاطبة، وأصدق إنسان وجد على وجه الأرض منذ بدء الخليقة». نعم إنه أعظم البشرية، فى رسالته العالمية التى حملت الرحمة للعالمين، وفيما جاء به من تعاليم أخرجت الناس من الظلمات إلى النور، ومن العسف والظلم إلى نور العدالة والحق».

وها هو ذا «جورج برناردشو» يقول: «كنت على الدوام أنزل ديانة محمد ﷺ منزلة كبيرة من الإعزاز والإكبار لعظمته التى لا تنكر، إننى أعتقد أن دين محمد ﷺ هو الدين الوحيد الذى يناسب كل إنسان

ويصلح لكل زمان، ويتمشى مع كل بيئة فى هذا العالم، فى كل مرحلة من الحياة. وإنى أتنبأ بأن دين محمد سيلقى القبول فى أوروبا غدا، كما يلقاه فيها الآن».

وها هو «لامارتين» الكاتب الفرنسى والمؤرخ المنصف قال: «وإذا أردنا أن نبحث عن إنسان عظيم تتحقق فيه جميع صفات العظمة الإنسانية، فلن نجد أمامنا سوى محمد الكامل». وفى هذا القول ما يوضح وصول هذا الكاتب إلى الحق والإنصاف بأن رسول الله ﷺ جمع كل صفات العظمة الإنسانية.

وها هو «ألفرد مارتين» فى كتابه «أكبر زعماء الدين فى الشرق» يقول: «والحق أن محمداً بما قام به من الإصلاحات والتشريعات، وما نشره من المدنية الإسلامية والحضارة الرائعة والنظم الاجتماعية، قد أدى أكبر خدمة إنسانية للعالم كله لا لجزيرة العرب وحدها».

حاجة العالم إلى رسالة محمد ﷺ:

والناظر إلى هذه الشهادة وإلى آراء المستشرقين المنصفين يرى أن العالم كان فى حاجة إلى هذا النبى العظيم الذى نشر النور والهدى، وأسس أعظم حضارة بناءة نفعت الإنسانية وقامت على العدل والإنصاف وعلى الحق، وحماية حقوق الإنسان وصيانتها. أيليق بأحد ممن جهل قدر هذا النبى العظيم أن يتطاول عليه أو أن يسئ إلى مقامه العظيم الذى رفعه الله سبحانه وتعالى إليه؟!

إن الذين أساءوا بالرسوم الآثمة ارتكبوا أكبر خطيئة فى حق الأديان والشرائع والثوابت والرسل أجمعين، وأصبح من الضرورى على النظام العالمى أن ينزل أقسى عقوبة عاجلة وسريعة بالمعتدين حتى لا تتكرر إساءتهم بعد ذلك. وإن استصدار قانون دولى ينزل عليهم وعلى كل من يعتدى على أى رسول من رسل الله العقوبة من الأمور الواجبة التى يجب على النظام العالمى أن يبادر بها إحقاقًا للحق وصيانة لحقوق الرسل والشرائع، واتقاء لفتن طائفية نحن فى حل منها.

وعلى أمتنا الإسلامية فى كل مكان أن تكون على مستوى المسئولية، فتطبق تعاليم هذا الرسول العظيم وتقتدى به وتتأسى بسلوكه، وأن توحد صفوفها وتجمع كلمتها، وتصون عقيدتها وهويتها، وألا ترد على عبث الآثمين بأساليب كأساليبهم فلا تحرق ولا تهدم ولا تعتدى، لأن من تعاليم نبى الرحمة حتى فى الجهاد ألا يحرق الزرع وألا يهدم البناء وألا يقتل الطفل أو المرأة أو الشيخ الكبير .. لأن رسولنا ﷺ رحمة الله للعالمين.

حكم إتلاف المال العام

نتعرض فى هذا المقال إلى الحكم الشرعى لقضية جد خطيرة ألا وهى إتلاف المال العام...

أولا: تعريف الإتلاف: الإتلاف لغةً: هو الإهلاك والإفناء(١).

وشرعًا: هو إخراج الشىء عن أن يكون منتفعا به منفعة مطلوبة منه عادة(٢)

د. صبرى عبدالرءوف*

حكم الإتلاف

يقع الإتلاف تحت عدد من الأحكام الشرعية وذلك يرجع إلى طبيعة الشىء الذى يقع عليه الإتلاف.

فقد يكون الإتلاف حرامًا كإتلاف الرجل ماله أو مال غيره أو التعدى على الأموال العامة بالإتلاف، وهذا النوع محرم شرعًا بلا خلاف بين أهل العلم رضى الله عنهم.

وقد يكون الإتلاف واجبًا كإتلاف الخمر، وخنزير مملوك لمسلم، وهذا النوع من أنواع الإتلاف واجب بشرط ألا يترتب على ذلك ضرر أو ضرار لأبناء المجتمع.

وقد يكون الإتلاف مباحًا حالة استغناء صاحب المال عنه مع عدم وجود منفعة له أو لغيره فى الشىء المتلف، وهذا النوع أيضًا له شروط وضوابط تحدث فيها علماؤنا الأجلاء يُرجى الرجوع إليها فى كتب الفقه.

أنواع الإتلاف

يتنوع الإتلاف إلى عدة أنواع من أهمها الإتلاف من ما يقع عليه، وهو من تلك الوجهة ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول إتلاف العين: وهو أن يقوم الشخص

* أستاذ بجامعة الأزهر.

بإتلاف الشيء المنتفع به كلية بحيث يمتد الإتلاف ليشمل سائر أجزائه، أو معظمها، ومثاله قيام الإنسان بكسر عامود الإنارة الموجود فى الطريق العام.

القسم الثانى إتلاف المنفعة: وهو قيام الشخص المتلف بالتعدى على المنفعة المتحصلة من الشيء المتلف، ومثاله قيام الشخص بفصل التيار عن عامود الإنارة الموجود فى الطريق العام.

بعض صور إتلاف المال العام

مما لا شك فيه أن هذا النوع من أنواع إتلاف المال العام ينتشر كثيرًا فى الآونة الأخيرة لا من الموظفين العموميين فحسب، بل يمتد ليشمل الكثير من عامة الناس إلا من رحم ربى، وفيما يلى بعض من تلك الصور.

قيام المارين فى الطريق العام والحدائق العامة بإتلاف أعمدة الإنارة، ومصادر المياه العامة فى الطريق العام، وكذا إتلاف مقاعد الانتظار فى الأماكن المعدة لذلك.

كذلك قيام الموظف الذى يعمل على ماكينة معينة، أو تسليم سيارة للعمل عليها بصدد قيامه بمهام وظيفته بتعمد إتلاف ما تسلمه عامدا متعمدا بهدف الحصول على إجازة أو راحة حتى تقوم الجهة التى يعمل فيها بتدبير عهدة أو سيارة أخرى له، وما يلبث أن يكرر فعلته بعد فترة ليست بالقصيرة مع تمتعه بقدر غير متناه من الاستهتار، وعدم الشعور بالمسئولية تجاه الجهة التى يعمل بها خاصة وإن كانت جهة حكومية تخضع أموالها للدولة فتعد من قبيل المال العام.

كذلك أيضًا فإن من صور إتلاف المال العام قيام الأشخاص المتشاجرين بتحطيم واجهات المحلات والسيارات، وكل ما يقابلهم من ممتلكات عامة أو خاصة دون أدنى مسئولية أو جُرم ارتكبه أصحاب تلك الممتلكات، ودون أدنى مبرر من هؤلاء.

كذلك فإن من صور إتلاف المال العام أيضًا عدم التنسيق بين الجهات المعنية من طرق، وكهرباء، وشبكات صرف، وشبكات مياه، وغاز فى إنجاز أعمالهم.

ومن الملاحظ انتشار تلك الصورة فى الفترة الأخيرة بشدة فى المجتمع فترى الجهة المختصة برصف الطرق تقوم برصف طريق ما، ولا يمر أكثر من عدة أيام لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ثم تأتى هيئة الكهرباء مثلا بتكسير الطريق الذى رصف من عدة أيام بحجة القيام ببعض الإصلاحات مع تمتع تلك الجهة بقدر غير محدود من عدم الشعور بالمسئولية فى قيامها بتكسير الطريق، وتعسير حركة المرور فى الطريق العام.

رحم الله عمر بن الخطاب حينما علم الزعماء والملوك مبدأ عظيمًا فى مسئولية الحاكم تجاه محكوميه حينما قال قولته المشهورة: والذى نفسى بيده لو أن دابة تعسرت فى أرض الشام لسئل عنها عمر، يا عمر لماذا لم تصلح لها الطريق؟

أى عدل هذا؟ وخوف من الله؟ جعل هذا المبدأ يرسخ فى عقيدة ووجدان الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟

ناهيك عن تكرار تلك الصورة الأخيرة من قيام الكثير من أجهزة الدولة باستعمال معدات وماكينات

لأغراضهم الشخصية، أو لأغراض غير التى أعدت لها.

أضف إلى ما سبق قيام الكثير من أصحاب المصانع بتعمد إهلاك ما لديهم من ماكينات، ومعدات بهدف تقليل هامش الضريبة، أو للحصول على قيمة التأمين من شركة التأمين.

ناهيك عن قيام بعض المسئولين فى التعدى على بعض المحميات الطبيعية بالبيع، أو بالاستيلاء غير مبالين بأحقية المجتمع على وجه العموم بتلك المحمية فهى محمية طبيعية لا يجوز تخصيصها لأحد دون آخر.

كذلك ما يقوم به بعض المعتصمين والمتظاهرين من تعطيل للخدمات المقدمة من بعض المرافق العامة كتعطيلهم لمجمع التحرير، ومحطات مترو الأنفاق، ومداخل ومخارج بعض الوزارات، وقناة السويس والطرق العامة.

وتناسى هؤلاء أن هناك فارقًا كبيرًا وجوهريًا بين حق التظاهر، والتعبير عن الرأى، وبين إتلاف المال العام، أو المنافع المتحصلة من استعمال المال العام ففى الحالتين إضرار متعمد بالمال العام، وهو ما ليس لأى إنسان فيه حق بكل حال من الأحوال؛ لأنه كما نعلم جميعا أن من خصائص المال العام شيوع الملكية وحرمة التعدى عليها.

وعلى ما سبق فإن كل الصور السابقة من صور التعدى على المال العام بطريق الإتلاف محرمة شرعًا، ومرتكبها آثم بين يدى الله تبارك وتعالى، ويجب على كل من أتلف عينًا أو منفعة من منافع المال العام أن يقوم بإصلاحها أو تعويض المتضررين عن الأضرار الناتجة من فعله.

كما يجب على ولى الأمر أن يحاسب كل من أتلف شيئًا يتعلق بالمرافق العامة أو المال العام للدولة.

وهذا هو ما يجب عليه شرعًا ولا خلاف بين الفقهاء فى ذلك فما بالنا إذا كان ولى الأمر هو المتسبب فى الفساد؟ أو رغب فى الإفساد بقصد إلحاق الضرر بالمال العام أو إحراقه أو إتلافه حتى لا يتمكن أحد من اكتشاف ما استولى عليه هذا الحاكم الظالم بحكم سيطرته على مرافق الدولة والتحكم فيها فيكون فعله جريمة، وينبغى أن تكون محاكمته علنية وتوقع عليه أقصى العقوبة ليكون عبرة لغيره.

وهذه العقوبة بالنسبة له عقوبة دنيوية.

بالإضافة إلى العقاب الأخروى الذى سيناله من الله يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ • إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: ٨٨، ٨٩).

الهوامش:

(١) القاموس المحيط مادة (تلف).

(٢) البدائع (٧/١٦٤).

الأمانة ضلع صناعة الحضارات وانهيارها

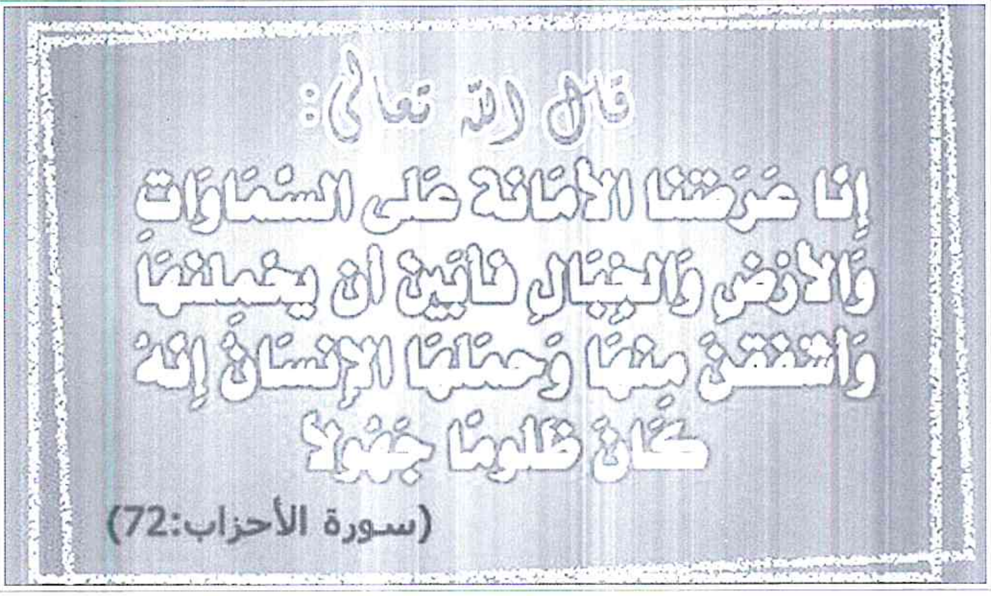

فريد إبراهيم *

الإنسان اجتماعى بطبعه ـ كما يقول علماء الاجتماع ـ فإنه لا يستطيع أن يعيش إلا فى جماعات يتعامل ويتفاعل معها من خلال تبادل المنافع والمصالح والتجارب، وكذلك الصراع على هذه المنافع والحاجات. بل يتبادل المشاعر من انتماء وحب وكره، وتوافق وتدابر، وتعاون وصراع وغير ذلك مما يصنع شخصية الإنسان من خلال تراكم التأثير والتأثر والاختلاف السلوكى فى الفعل ورد الفعل.

وبالتالى فإن القيم التى تسود هذه العلاقات فى المجتمعات ـ أى مجتمعات ـ هى الحاكمة فى بناء الشخصية وبالتالى هى الحاكمة فى تحضر الأمم أو تخلفها.

من هذه القيم المهمة فى بناء المجتمعات ـ سواء شخصيات الأفراد أو شخصية الأمة ـ قيمة الأمانة، لذلك جعلها رسول الله ﷺ فى المرتبة الثالثة من وصاياه فى حجة الوداع بعد حرمة الدماء والأموال، حيث قال: «.. فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها» كأنه بعد أن أوصاهم بما يحقق الأمن فى الحياة: وهما حرمة الدماء والأموال دعاهم

* نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية ـ عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

إلى ما يصنع الحضارات أى إلى آليات الانطلاق دون خوف ودون المعوقات الخلقية التى تمنع الأمم من صناعة مستقبلها.

ولو أردنا أن نتصور أثر هذه القيمة فلنتأمل فى غيابها وتبعات هذا الغياب. فلو أن مجتمعا من المجتمعات فقد فيه المدرس قيمة الأمانة، فكيف تكون حال العملية التعليمية وحال رجال المستقبل الذين أعدهم هذا الأستاذ غير الأمين؟، ولو فقد الطبيب أمانته فكيف يكون حال مرضاه، ولو فقد الجندى أمانته فماذا يكون شعور من يحرسهم ويحميهم؟ وماذا يكون حال الأمن فى مثل هذا المجتمع؟ ولو فقد المسئول الأمانة فى اختيار الأكفأ والأصلح فى تولى المهمات - أيًا كانت هذه المهمات - لشاع اليأس بين أصحاب الكفاءات ولكان مردود عمل الأقل كفاءة أقل مما يرتجى وهكذا تتدعى آثار هذا الفعل على كل شىء..

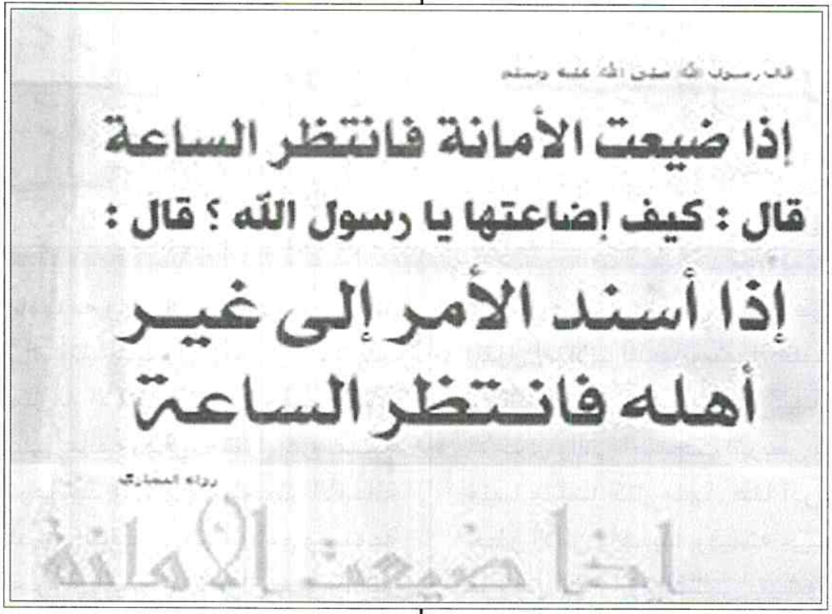

إذن لو شاع خلق الخيانة الذى هو عكس الأمانة فى مجتمع وصار سلوكا، ففضلا عن المستقبل والحاضر البائس التعيس الذى يعيشه هذا المجتمع فإن المجتمع يفرز رجالا يملؤهم الخوف من كل شىء والشك فى كل شىء والضغينة والكراهية للآخرين لمجرد أنهم آخرون، فلا يأمن الوالد ولده ولا الولد والده، ولا تأمن الأم ابنتها ولا الابنة أمها. وتصبح المحسوبية والرشوة والفساد المنهج لكل شىء هو القاعدة والأساس فى التعاملات اليومية، أى يصبح لكل شىء ثمن يمنح لمن يدفعه وليس لمن يستحقه.

أما المجتمع الصالح الذى تمثل الأمانة خلقًا غالبًا فيه فإنه يصبح مجتمعًا مؤهلاً للتحضر؛ لأن معوقات التحضر ليست فى نسيجه وهى غياب الأمانة أى انتشار الخيانة، وبالتالى لا يحتاج إلا العمل والاجتهاد.

والأمانة لا تعنى فى الإسلام أن يحفظ إنسان لدى آخر شيئا فيرده إليه فى وقته فقط، فكل ما اؤتمن عليه الإنسان أمانة سواء من قبل خالقه أى فى كل ما خلقه وسخره له الله سبحانه وتعالى ورزقه به من عقل وعلم وعمل وصحة وذكاء وأرض وهواء وشمس، وكذلك مؤتمن فيمن يتعامل معهم ومؤتمن فى نفسه.

لذلك أشار سيدنا رسول الله ﷺ حين سئل عن علامات الساعة بقوله: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة».

وقد جعل رسول الله ﷺ الأمانة قرين الإيمان حيث يقول ﷺ فيما أخرجه أبو يعلى عن أنس بن مالك: «لا إيمان لمن لا أمانة له».

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء: ٥٨) كما يحذر من التخلى عن هذا الخلق قصدا فيقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال: ٢٧).

كما جاء فى الحديث النبوى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «إن الشهادة تكفر كل ذنب إلا الأمانة،

تمثل الوسائل التعليمية التى اتبعها الرسول ﷺ فى تعليم أمته نموذجًا راقيًا ورائدًا فى الوضوح والإقناع

قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٧ ﴾

سورة الأنفال

يؤتى بالرجل يوم القيامة وإن كان قتل فى سبيل الله تعالى فيقال: أد أمانتك فيقول: وأنى أؤديها وقد ذهبت الدنيا؟، فتمثل له الأمانة فى قعر جهنم فيهوى إليها فيحملها على عاتقه، قال: فتنزل عن عاتقه فيهوى على أثرها أبد الآبدين». ولخطر الأمانة وأهميتها كانت الضلع الثالث فى بناء الأمم وصناعة الحضارات بعد حرمة الدماء والأموال وهى كذلك فى انهيار الأمم حيث يكثر الهرج وهو القتل وترفع الأمانة وتستباح الأموال.

أذكر أن رجلا قرويًا حكى لى أنه كان يعجب من إمام المسجد كلما حدثهم عن القناعة وعن أمور بسيطة من وجهة نظره تعتبر أهم ما فى الحياة الدنيا، ثم يتلو عليهم حديث رسول الله ﷺ الذى روته أُمّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبى الدَّرْدَاءِ، والذى يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ أَصبَحَ مُعافَى فى بَدَنه آمنًا فى سِربه عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِه فكأنَّما حيزت له الدُّنْيا، يا ابْنَ جُعْشُم يَكْفِيكَ مِنْهَا ما سَدَّ جُوعَتك، وما وارى عَوْرتك، وإنْ كانَ بَيْتًا يُواريك فذاك، وإنْ كانتْ دابَّةً تَركبُها فبخ، فلق الخُبز وماء الجر، وما فوق الإزار فحسابٌ عَلَيْكَ» فكان الرجل القروى كما قال لى يتساءل مستغربا: هل مجرد قوت اليوم والأمن فى المنزل امتلاك للدنيا بمتعها؟ فلما وقعت بين عائلتهم وعائلة أخرى مشكلة قتل فيها أحد أفراد العائلة الأخرى والتى أصبحت تتربص بأفراد عائلته لتقتل منها مثلما قتل منها. هنا أدرك الصديق القروى خطر الأمن وأهميته وقيمته حيث عاشوا جميعا فى فزع من هذه الورطة التى يعيشونها حتى وهم داخل بيوتهم يغلقونها على أنفسهم يتمنون زوال هذا الفزع الشديد الذى لا يدع لهم نوما هانئا ولا حركة مطمئنة.

ذلك لأنه لا يدرك معنى الأمن إلا من فقده ولا يعرف خطر الخوف والفزع إلا من عاشه؛ لذا فإن تاريخ الحضارت وارتقائها هو تاريخ مواز من الأمن والسلام الذى يمنح العقول فرصها فى الإتقان الذى هو ابن الأمانة، والإبداع الذى هو ابن التريث والتأمل والتجريب ولا يتحقق هذا إلا فى جو من الأمن يمنح العقل المشبّع بالأمانة فى تصرفاته القدرة على العطاء بحب ورضا.

من هنا فليس عجيبا أن تكون أضلاع صناعة الحضارة الثلاثة التى تمثل الرحم المناسب لميلادها هى حرمة الدماء وحرمة الأموال وتوفر الأمانة.

حقـــوق كفلهـــا الإســلام للمـــرأة

المستشار/ حسن حسن منصور*

القوانين المعمول بها فى نظام الدولة الحديثة، من حيث مصدرها نوعان هما:

الأول: القوانين الوضعية، التى قام بتشريعها البشر بعضهم لبعض.

والثانى: القوانين الدينية، وهى التى مصدرها الأديان، سواء كانت سماوية أو وضعية، وأهم صورها فى مصر القوانين المستمدة من الشريعة الإسلامية، ومن المعلوم أن القانون الواجب التطبيق على مسائل الأحوال الشخصية، هو الشريعة الإسلامية بصفة عامة بالنسبة للمسلمين من المصريين، وبالنسبة لغير المسلمين من المصريين إذا اختلفوا فى الديانة أو الملة أو الطائفة، أما إذا كانوا متحدين فى هذه الأمور، فتنطبق شريعتهم الملية الخاصة بهم.

والطريقة التى تطبق بها الشريعة الإسلامية على هذه المسائل، لا تخرج عن إحدى صورتين، هما:

الأولى: أحكام الشريعة المقننة فى نصوص تشريعية، كالقوانين المستمدة من أحكام الشريعة فى بعض مسائل الأحوال الشخصية، كالزواج والطلاق والنفقة والحضانة وغيرها، كالمرسوم بالقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ ببعض أحكام النفقة، والمرسوم بالقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ببعض مسائل الزواج والطلاق والحضانة والمهر وغير ذلك.

والثانية: أحكام الشريعة الإسلامية الفقهية غير المقننة، والتى يرجع إليها إذا خلت القوانين سالفة الذكر، من نص يطبق على المسألة المعروضة على القاضى، ونظرًا لاتساع المذاهب الفقهية فى الشريعة الغراء، وكان فى الرجوع إليها جميعًا إرهاقًا للقاضى والمتقاضى، فاختار المشرع من بينها الرأى الراجح فى المذهب الحنفى، ليطبق فى هذه الحالة، وذلك عملاً بالفقرة الأولى من المادة الثالثة، من مواد إصدار القانون رقم (١) لسنة ٢٠٠٠ بإجراءات التقاضى فى مسائل الأحوال الشخصية.

وجميع هذه القوانين، أيًا كان مصدرها، فى خطابها الخاضعين لها، لم تتضمن أى نوع من التفرقة بين الرجل والمرأة، بل إن القوانين ذات المصدر الدينى، ولا سيما الشريعة الغراء، أوردت من الأحكام ما يؤكد النظرة المنصفة للمرأة، والتى تعانى من عكسها فى بعض النظم القانونية الأخرى، وهناك كثير من الأدلة، التى تبرز المكانة المرموقة للمرأة، وأنها فى مركز دائرة اهتمام القانون، ومن نماذج هذه الأدلة، الآتى:

* نائب رئيس محكمة النقض.

ليس صحيحًا أن الإسلام انتقص من حق المرأة فى الشهادة على الحقوق

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾

أولا: تمتع المرأة بالحقوق العامة:

إذا كانت بعض الدول فى عالمنا المعاصر، تتفاخر أن دستورها أعطى المرأة بعض الحقوق السياسية، بدعوى مساواتها بالرجل، كحق الإدلاء بالأصوات فى الانتخابات العامة، وحق الترشيح للمجالس النيابية، أو المحلية، أو النقابات العامة، أو الجمعيات الأهلية والخيرية، وحق التعبير عن الرأى والرأى الآخر وغير ذلك، فإن الإسلام كان أكثر سبقًا من أى دستور فى الدنيا كلها، عندما منح هذه الحقوق لكل من الرجل والمرأة معًا، على حد سواء، دون ما تفرقة بينهما فى ذلك، ومنها على سبيل المثال الآتى:

أ ـ حق الترشيح والانتخاب:

هناك خطأ شائع يتردد حتى على ألسنة أهل التخصص من رجال القانون، مؤداه أن المرأة فى مصر تحصل لأول مرة على حق الترشيح والانتخاب بصدور القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ بتنظيم مباشرة الحقوق السياسية، ولكن القول الصواب هو أن هذه المرأة فى ظل الإسلام تتمتع بهذا الحق وغيره من الحقوق السياسية، ولكن لم يسمح لها باستعماله إلا بعد صدور هذا القانون، لأن الفرق شاسع بين تقرير الحق كمبدأ، ومباشرته فى التطبيق العملى.

ومن مقتضى حق الترشيح، أن يتقدم الشخص الذى يأنس فى نفسه القدرة على تمثيل غيره، فى الجهة العامة التى تنوب عن مجموع أفراد المجتمع، كالبرلمان أو المجلس المحلى أو النقابة أو غير ذلك، ويبين مظاهر هذه القدرة، حتى يحظى بموافقة هؤلاء الأفراد على نيل شرف تمثيلهم فى هذه الجهة. ومن مقتضى حق الانتخاب أن يقوم كل فرد، له أهلية التصويت كما يحددها القانون، بالإدلاء بصوته لاختيار هذا المرشح.

وهذان الحقان قررهما الإسلام لكل من الرجل والمرأة على حد سواء، ولم يقتصر تطبيقهما على الرجل وحده، بل باشرتهما المرأة واقعًا ملموسًا على عهد رسول الله ﷺ، فقد روى البزار والطبرانى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: جاءت امرأة ذكرت بعض الروايات أنها أسماء بنت يزيد ـ رضى الله عنها ـ إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله أنا وافدة (وفى رواية رسول) النساء إليك (أى أنها رشحت نفسها لهذه المهمة، والنساء اختاروها نائبة عنهن فى القيام بها)، وما منهن امرأة علمت أو لم تعلم إلا وهى تهوى مخرجى إليك، الله رب الرجال والنساء، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال، فإن أصابوا أثروا، وإن استشهدوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، فما يعدل ذلك من أعمالهم من الطاعة (وفى رواية ونحن معشر النساء فما لنا من ذلك)، فقال ﷺ: «أبلغى من لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافًا بحقه يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله».

ب ـ حق المرأة فى إبداء الرأى:

حظيت المرأة من شريعة الإسلام بالقسط الوافر من حرية إبداء الرأى، سواء من طرف واحد، أو من أطراف

متعددة، أو فى صورة حوار مع طرف آخر أو أطراف أخرى، ومن أوضح مثال على ذلك، الحوار القرآنى العظيم، الوارد فى قول الحق تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: آية ١)، وأطراف هذا الحوار هم : الزوجة الشاكية وهى خولة بنت ثعلبة، والرسول ﷺ يرد على شكواها، والله تعالى يسمع الحوار الدائر بينهما، وموضوع الحوار يمين الظهار الصادر من أوس بن الصامت زوج الشاكية، وما يترتب عليه من الفرقة الزوجية بينهما. وهذا الحوار يعد من أعظم أوجه تكريم الإسلام للمرأة.

ج ـ المرأة فى مقعد المعارضة:

روى البخارى ومسلم والترمذى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ، أن امرأة كانت تدعى بريرة وهى أمة اشترتها السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ وأعتقتها، وظل زوجها ـ ويدعى مغيثًا ـ عبدًا رقيقًا، وكان يهيم بها حبّا، لدرجة أن رسول الله ﷺ قال لعمه العباس رضي الله عنه : «يا عباس: ألا تعجب من حب مغيث بريرة، ومن بغض بريرة مغيثا؟»، وكان من حبه لها سيره فى طرقات المدينة يلهج لسانه بذكرها بعد افتراقهما، إذ لا يجوز للحرة أن تكون زوجة للعبد الرقيق إلا إذا اختارت هى البقاء معه، حتى بلغ أمره إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إليها وقال لها: «إنه زوجك وأبو ولدك»، فقالت بذكاء المرأة العربية المسلمة التى حصلت على حريتها منذ قليل: يا رسول الله أتأمرنى بذلك؟ (فتجب عليها الطاعة)، قال: «لا، إنما أنا شافع»، فقالت : فلا حاجة لى فيه، فقال لها: «إن قربك فلا خيار لك»، وأمرها أن تعتد، وتصدق عليها بلحم، فأكل منه ﷺ وقال: «هو عليها صدقة ولنا هدية».

وقد حرص الخلفاء الراشدون على تأكيد حق المرأة فى المعارضة، ولو كانت لولى الأمر الأعلى ذاته، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقف خطيبًا على المنبر، و يقترح تحديد المهور للقضاء على ظاهرة المغالاة فيها، فتقف امرأة من بين صفوف النساء، وتقول: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟، والله تعالى يقول: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾ (النساء: آية ٢٠)، فقال عمر قولته المشهورة: أصابت امرأة، وأخطأ عمر.

ثانيًا: حق المرأة فى إنهاء العلاقة الزوجية:

وذلك عن طريق استعمال حقها فى الخلع، وهو وإن كان فى الأصل حق يقوم على التراضى بين الزوجين، حتى عدَّه بعض الفقهاء أنه عقد بين طرفين، هما الزوجان، إلا أن للمرأة مطلق الحرية فى استعمال هذا الحق، وقد وضع القانون القواعد الإجرائية المنظمة لاستعماله، استمدادًا من المبادئ العامة للشريعة الغراء. والأصل فيها هو حوار امرأة ثابت بن قيس مع رسول الله ﷺ، الذى رواه البخارى بسنده عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ من أن هذه المرأة أتت النبى ﷺ، فقالت: يا رسول الله، زوجى ثابت لا أعتب عليه فى خلق ولا دين، ولكن لا أطيقه، فقال الرسول ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ٧﴾

قالت: نعم، فقال النبى لثابت: «خذ الحديقة، وطلقها تطليقة»، فكان الخلع فى الإسلام .

ثالثا: الحق فى شهادة النساء وحدهن:

وليس صحيحًا أن الإسلام، انتقص من حق المرأة فى الشهادة على الحقوق، فلا خلاف بين فقهاء الشريعة الغراء فى قبول شهادة النساء منفردات، فيما لا يطلع عليه الرجال عادة من شئون النساء، مثل الولادة والاستهلال، وعيوب ما تحت الثياب، كالرتق والقرن والبكارة والثيوبة والحيض والحمل، وما أشبه ذلك، سواء أكانت المشهود عليها حرة أم أمة، لقول الزهرى فيما رواه ابن أبى شيبة عنه: مضت السنة أنه تجوز شهادة النساء فيما لا يطلع عليه غيرهن، وما روى عن ابن عمر، أنه قال : لا تجوز شهادة النساء وحدهن، إلا على ما لا يطلع عليه غيرهن من عورات النساء وحملهن وحيضهن، ويقول الشافعية: إن كل شىء يقبل فيه قول النساء منفردات، يقبل فيه كذلك شهادة رجلين أو رجل أو امرأتين .

وقد اختلف الفقهاء فى توقف ما تقبل فيه شهادة النساء منفردات على عددهن، ولكن الرأى الراجح ما ذهب إليه الحنفية، من أنه لا يشترط العدد فى شهادة النساء على عورات النساء، لأن العدد شرط فيما يطلع عليه الرجال بالنص، أما ما لا يطلع عليه الرجال، فكما صحت شهادة الرجل منفردا للضرورة، كذلك تصح شهادة المرأة للضرورة أيضا .

كما تقبل شهادة بعض النساء على بعض، فيما يقع بينهن من القتل والجراح. فإذا تشاجر النساء فى أماكن وجودهن وحدهن، كما فى الحمامات الخاصة بالنساء، والأفراح والمآتم أو مساكن الطالبات ومدارس البنات، وغير ذلك من صور الحياة المعاصرة. ويجوز القضاء بشهادة المرأتين ويمين صاحب الحق، فيما تقبل به شهادة الرجل الواحد ويمين صاحب الحق، وهو المال أو ما يؤول إلى المال، وذلك : بقياس المرأتين فى الشهادة على الرجل.

رابعا: حق الزوجة فى إنفاق الزوج عليها:

حيث يقع على عاتق الزوج عبء الإنفاق على زوجته، وذلك لقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا....﴾ (الطلاق : ٧)، ويراد بنفقة الزوجية : هى كل ما تحتاج إليه الزوجة لمعيشتها من طعام وكسوة ومسكن وخدمة، وما يلزمها من فرش وغطاء، وسائر أدوات البيت، بحسب المتعارف عليه بين الناس، وهى باتفاق الفقهاء واجبة شرعا على الزوج، ولو كان فقيرا وكانت الزوجة غنية، لأنها تكون فى مقابل حقه فى طاعته، لأنها تكون محتبسة عليه، بمقتضى عقد الزواج، وقد أمر الله ـ عز وجل ـ الأزواج بالنفقة على الزوجات، فى قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلاَ تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولاَتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ....﴾ (الطلاق: آية ٦). وهذا الحق يمتد إلى ما بعد انتهاء رابطة الزوجية، سواء بالطلاق أو الوفاة، وذلك بتقرير نفقة العدة للمرأة طوال مدة العدة .

وقد استمد المشرع القانونى من الفقه الإسلامى، الأحكام التى تنظم النفقة الزوجية، وصاغها فى المادة الأولى من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٠ المعدلة بالقانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٨٥، والتى تنص على أنه : «تجب النفقة للزوجة على زوجها من تاريخ

العقد الصحيح، إذا سلمت نفسها إليه ولو حكما، حتى لو كانت موسرة، أو مختلفة معه فى الدين. ولا يمنع مرض الزوجة من استحقاقها النفقة. وتشمل النفقة: الغذاء والكسوة والمسكن ومصاريف العلاج وغير ذلك بما يقضى به الشرع. ولا تجب النفقة للزوجة إذا ارتدت، أو امتنعت مختارة عن تسليم نفسها دون حق، أو اضطرت إلى ذلك بسبب ليس من قبل الزوج، أو خرجت دون إذن زوجها. ولا يعتبر سببا لسقوط نفقة الزوجة خروجها من مسكن الزوجية، دون إذن زوجها، فى الأحوال التى يباح فيها ذلك بحكم الشرع ومما ورد به نص أو جرى به عرف، أو قضت به ضرورة، ولا خروجها للعمل المشروع، ما لم يظهر أن استعمالها لهذا الحق المشروط، مشوب بإساءة استعمال الحق، أو مناف لمصلحة الأسرة، وطلب منها الزوج الامتناع عنه. وتعتبر نفقة الزوجة دينًا على الزوج من تاريخ امتناعه عن الإنفاق مع وجوبه، ولا تسقط إلا بالأداء أو الإبراء. ولا تسمع دعوى النفقة عن مدة ماضية لأكثر من سنة نهايتها تاريخ رفع الدعوى. ولا يقبل من الزوج التمسك بالمقاصة بين نفقة الزوجة، وبين دين له عليها، إلا فيما يزيد على ما يفى بحاجتها الضرورية. ويكون لدين نفقة الزوجة امتياز على جميع أموال الزوج، ويتقدم فى مرتبته على ديون النفقة الأخرى».

خامسًا: حق الزوجة فى الاعتراض على الطاعة الزوجية:

من المقرر أن عقد الزواج تترتب عليه كثير من الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين، ومنها حق الزوج فى قرار زوجته بمنزل الزوجية، وهو ما يعرف بحق الطاعة، وهو واجب شرعًا على الزوجة، إذا أوفاها الزوج عاجل صداقها وهيأ لها المسكن الشرعى المناسب لهما، وطلبها إلى هذا المسكن ولم يوجد مانع شرعى.

والأصل فى الطاعة فى شريعة الإسلام، أنها حسن عشرة ولين جانب، من كل من الزوجين لمواجهة تبعات الحياة داخل الأسرة، ويترتب على عدم قيام الزوجة بهذا الحق، وذلك بامتناعها، دون حق، عن طاعة زوجها، كانت ناشزًا، ولكن إذا كانت قد طلبت منه أن ينقلها إلى منزله، أو يستأجر لها منزلا آخر، لاحتياجها لمنزلها لأى سبب، فلا تُعد ناشزًا، وإذا وقع هذا النشوز، فإنه يترتب عليه سقوط نفقة الزوجة فقط.

ولكن كما تقرر المادة مكررًا (ثانيا) من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ المضافة بالقانون رقم ٠٠ لسنة ١٩٨٥، على أنه: «إذا امتنعت الزوجة عن طاعة الزوج دون حق، توقف نفقة الزوجة من تاريخ الامتناع، وتعتبر ممتنعة دون حق إذا لم تعد لمنزل الزوجية، بعد دعوة الزوج إياها للعودة بإعلان على يد محضر أو من ينوب عنها، وعليه أن يبين فى هذا الإعلان المسكن، وللزوجة الاعتراض على هذا أمام المحكمة الابتدائية خلال ثلاثين يوما، من تاريخ هذا الإعلان »، ويجوز للزوجة أثناء نظر دعوى الاعتراض على هذا الإنذار، أن تطلب من القاضى أن يطلقها على زوجها».

ومن المقرر فى الفقه الإسلامى، أن المقصود ببيت الطاعة، هو أن تكون الزوجة فى محل تأمن فيه على نفسها ومالها، وتستطيع الاستمتاع فيه بزوجها، وهذا يتحقق فى بيت له غلق، وأن يكون بين جيران صالحين، وخاليًا من سكن أهل الزوجين، رعاية لهما فى العشرة وكمالها، وأن الزوج لو أراد إسكان زوجته مع ضرتها أو إحمائها كأمه أو أبيه، وأبت عليه ذلك، فإنه يجبر على إسكانها فى منزل خاص بها دونهم، لأن إباءها دليل على تضررها من ذلك .

ومن أوجه العظمة فى شريعة الإسلام، فى تكريم المرأة، أنه إذا كان منزل الطاعة فى مكان موحش، أو بعيدًا عن العمران، أو تعيش فيه الزوجة بمفردها، فإن الزوج يكون ملزمًا، بإحضار مؤنسة تقيم مع الزوجة فى فترة غيابه عنها، وإلا فقد هذا المنزل أحد شرائطه الشرعية، ويبرر للزوجة رفض الانتقال إليه، بل وطلب التطليق على الزوج، إذا لحقها ضرر من جراء ذلك.

والله تعالى ولى التوفيق ..

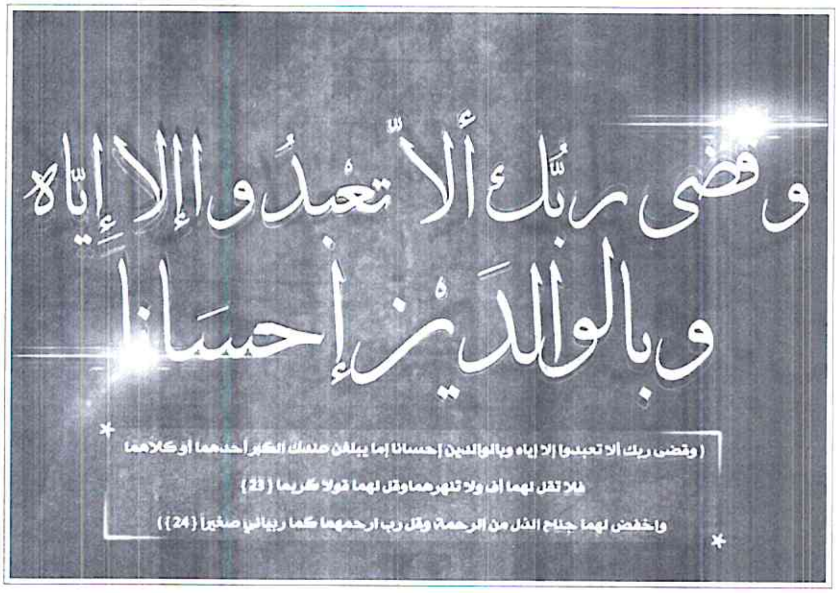

أمر الله تعالى بالإحسان إلى الوالدين ومصاحبتهما بالمعروف في آيات عدة من الكتاب الكريم، منها: قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣، ٢٤) وقوله سبحانه: ﴿ووَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت: ٨). وقوله جل شأنه: ﴿ووَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ (الأحقاف: ١٥). وقوله عز من قائل: ﴿واعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الأنعام: ١٥١). وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النساء: ٣٦). وقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة: ٨٣).

العقوق

د. عبدالفتاح محمود إدريس*

وهذه الآيات تدل على أن الأمر بالإحسان إليهما ومصاحبتهما بالمعروف، ليس خاصا بهذه الأمة بل هو أمر عام لكل بني آدم مسلمهم وكافرهم، يدل لهذا قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ (الأحقاف: ١٥)، وهذه الطاعة واجبة في كل معروف، فأما ما هو معصية فلا يجب طاعتهما فيه، ولا يعد ذلك عقوقا لهما، ولذا فإن أمرا أو أحدهما أحد أولادهما بالفراق من زوجه بدون سبب مشروع، أو بالسرقة أو القتل أو الكذب أو نحو ذلك، أو أمرا ابنتهما بالتبرج أو التحلل من الدين، فلا يجب طاعتهما فيه، لما روى عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «إنما الطاعة في المعروف»(1)، وقد روى أن آية: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾ (العنكبوت: ٨) نزلت في سعد بن أبي وقاص لما أسلم، فإن أمه حلفت ألا تأكل ولا تشرب حتى يتحول عن دينه فأبى، فلم تزل

* أستاذ الفقه المقارن بكلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر

عقوق الوالدين

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

{ أكبر الكبائر الإشراك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور } .

متفق عليه

كذلك حتى غشى عليها، فأتاها بنوها فسقوها، فلما أفاقت دعت الله عليه فنزلت الآية(٢)، وهى دليل على أن البر بالوالدين ولو كانا كافرين أو أحدهما واجب، وأنه يجب طاعتهما فيما يأمران به ما لم يأمرا بمحرم، كما يدل له ما روى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت: «يا رسول الله إن أمى قدمت على وهى راغبة، أفأصلها؟، قال: «نعم»(٣)، واسم أمها: قتيلة بنت عبد العزى، ولحرص الإسلام على الإحسان إلى الوالدين منع الشارع ولدهما أن يخرج للجهاد إلا بإذنهما، فإن لم يكن لهما غيره فليس له الخروج له وتركهما، لما روى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ يستأذنه فى الجهاد، فقال: أحى والداك؟، قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد»(٤)، بل إن رسول الله ﷺ منع رجلا من الهجرة معه بسبب عدم إذن والديه له فيها، إذ روى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «جاء رجل فقال: يا رسول الله إنى أريد أن أبايعك على الهجرة وتركت أبوى يبكيان، فقال: ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما»(٥)، وعدم الإحسان إلى الوالدين أو أحدهما عقوق، وهو عبارة عن: قطع صلتهما، مأخوذ من العق وهو الشق والقطع، وقيل: هو إيذاء لا يتحمل مثله من الولد عادة، وقيل: هو مخالفة أمرهما فيما لم يكن معصية، وقال ابن عبد السلام: لم أصل فى عقوق الوالدين وفيما يختصان به من الحقوق على ضابط أعتمده، فإنه لا يجب طاعتهما فى كل ما يأمران به وينهيان عنه باتفاق العلماء، وقد حرم على الولد الجهاد بغير إذنهما، لخوفهما من توقع قتله أو قطع عضو من أعضائه، ولشدة تفجعهما على ذلك، وقد ألحق بذلك كل سفر يخافان فيه على نفسه أو عضو من أعضائه، وقال ابن الصلاح: العقوق المحرم: هو كل فعل يتأذى به الوالد أو نحوه تأذيا ليس بالهين مع كونه ليس من الأفعال الواجبة، وربما قيل: طاعة الوالدين واجبة فى كل ما ليس بمعصية، ومخالفة أمرهما فى ذلك عقوق، وقد أوجب كثير من العلماء طاعتهما فى الشبهات، وليس قول من قال من علمائنا: يجوز له السفر فى طلب العلم وفى التجارة بغير إذنهما، مخالفا لما ذكرته فإن هذا كلام مطلق، وفيما ذكرته بيان لتقييد ذلك المطلق، ويعد من عقوق الوالدين: ما انتشر فى زماننا من عدم إيناسهما

طاعة الوالدين فى كل ما ليس بمعصية والإحسان إليهما وبرهما أمر عام لبنى آدم ولو كانا كافرين

بالحديث، أو عدم الاكتراث بما يشيران به، بدعوى اختلاف زمانهما عن زمان أولادهما، أو إشاحة ولدهما بوجهه عنهما، أو عدم سماع حديثهما، أو عدم الاهتمام بأمرهما، أو التنكر لهما بالتخلص منهما فى دور رعاية العجزة ونحوها، أو عدم وضع حد لتبرم زوجة ابنهما أو زوج ابنتهما بهما، أو طاعة ابنهما لزوجته أو ابنتهما لزوجها على حساب عصيانهما وعدم البر بهما، ومن المتفق عليه بين العلماء أن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، ومما يدل له: ما روى عن أبى بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا؟، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت»(٦)، وروى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أكبر الكبائر عقوق الوالدين، قيل: وما عقوق الوالدين؟، قال: يسب الرجل الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»، وفى رواية أخرى: «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل: يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟، قال: يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»(٧)، وفى كتاب النبى الذى كتبه إلى أهل اليمن وبعث به مع عمرو بن حزم: «وإن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة: الإشراك بالله، وقتل النفس المؤمنة بغير الحق، والفرار يوم الزحف، وعقوق الوالدين، ورمى المحصنة، وتعلم السحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم»(٨)، وروى عن عبد الله بن عمرو قال: «جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال: ما الكبائر؟، قال: أن تشرك بالله، قال: ثم ماذا؟، قال: ثم عقوق الوالدين، قال: ثم ماذا؟، قال: ثم اليمين الغموس، قال: وما اليمين الغموس؟، قال: الذى يقتطع مال امرئ مسلم بيمين كاذب»(٩)، وروى عن أبى بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين فإن الله تعالى يعجله لصاحبه فى الحياة قبل الممات»(١٠)، وروى عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان عطاءه، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء»(١١)، والديوث: الذى يقر أهله على الفاحشة مع علمه بهم، ورجلة النساء: المتشبهة بالرجال، وروى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يراح ريح الجنة من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجد ريحها منان بعمله ولا عاق ولا مدمن»(١٢)، وروى

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)﴾

عنه أن النبي ﷺ قال: «أربع حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها: مدمن الخمر، وآكل الربا، وآكل مال اليتيم بغير حق، والعاق لوالديه»(١٣)، وروى عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه أنه قال في المحتضر العاق لأمه، أنه لما عجز عن النطق بالشهادتين قال رسول الله ﷺ لأمه: «أرأيت لو أججت ناراً ضخمة فقيل لك: إن شفعت له خلينا عنه وإلا حرقناه بهذه النار، أكنت تشفعين له؟، قالت: يا رسول الله إذاً أشفع له، قال: فأشهدي الله أنك قد رضيت عنه، قالت: اللهم إني أشهدك وأشهد رسولك أني قد رضيت عن ابني، فقال له رسول الله ﷺ: يا غلام قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فقالها، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»(١٤).

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾

الهوامش:

١ - أخرجه الشيخان في صحيحيهما (صحيح البخاري ٢٦١٢/٦، صحيح مسلم ١٤٦٩/٣).

٢ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢٨/١٣ .

٣ - أخرجه الشيخان في الصحيحين (صحيح البخاري ١١٦٢/٣، صحيح مسلم ٦٩٦/٢).

٤ - أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين (صحيح البخاري ١٠٩٤/٣، صحيح مسلم ١٩٧٥/٤).

٥ - أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. (صحيح ابن حبان ١٦٣/٢، المستدرك ١٦٨/٤).

٦ - أخرجه الشيخان في الصحيحين (٩٣٩/٢، صحيح مسلم ٩١/١).

٧ - أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما (صحيح البخاري ٢٢٢٨/٥، صحيح مسلم ٩٢/١).

٨ - أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك وصححه (صحيح ابن حبان ٥٠٤/١٤، المستدرك ٥٥٣/١).

٩ - أخرجه البخاري في صحيحه ٢٥٣٥/٦ .

١٠ - أخرجه الحاكم في المستدرك وصحح إسناده، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب وسكت عنه (المستدرك ١٧٢/٤، الترغيب والترهيب ٢٢٥/٣).

١١ - أخرجه الحاكم في المستدرك والبيقي في سننه، وصحح الحاكم إسناده، وسكت عنه البيهقي والمنذري. (المستدرك ١٤٤/١، السنن الكبرى ٢٣٦/١٠، الترغيب والترهيب ٧٦/٣).

١٢ - أخرجه ابن حبان في صحيحه وأحمد في مسنده، والبيهقي والنسائي والدارمي في سننهم، والطبراني في معجمه الأوسط والكبير، وسكت عنه المنذري والنسائي والبيهقي (صحيح ابن حبان ١٧٦/٨، مسند أحمد ٢٠١/٢، سنن البيهقي ٢٨٨/٨، سنن النسائي ٣١٨/٨، سنن الدارمي ١٥٣/٢، المعجم الكبير ٩٨/١١، المعجم الأصغر ١٥٩/٥، الترغيب والترهيب ١٧٨/٣).

١٣ - أخرجه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عنه المنذري (المستدرك ٤٣/٢، شعب الإيمان ٣٩٧/٤، الترغيب والترهيب ١٧٧/٣).

١٤ - أخرجه البخاري في صحيحه ٤٥٥/١ .

بروا آباءكم تبركم أبناؤكم

محمود الإمامى*

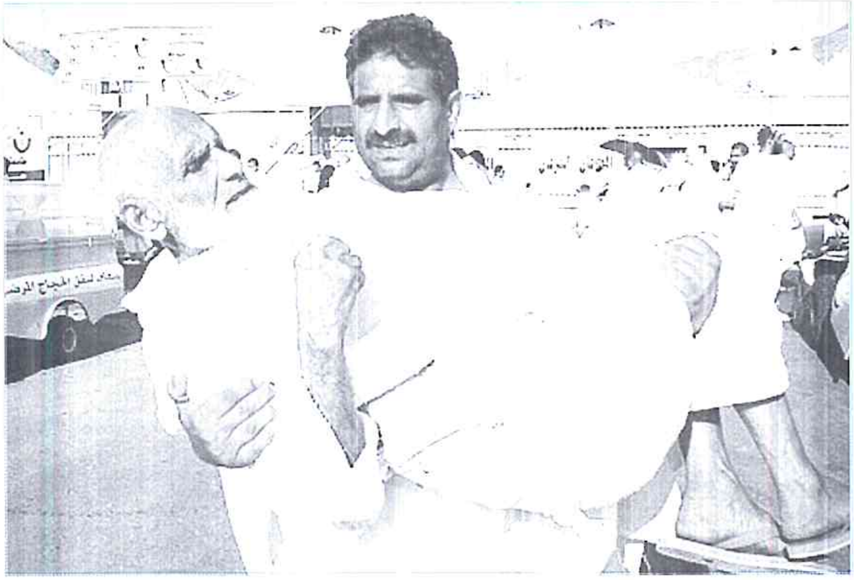

أكد الإسلام على طاعة الوالدين وبرهما. اعترافا بفضلهما ودورهما الكبير مع الأبناء يقول المولى عز وجل فى كتابه العزيز: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا • وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣، ٢٤).

ويقول أيضا: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾ (سورة النساء: آية ٣٦). لقد قرن المولى عز وجل عبادته وعدم الإشراك به بطاعة وبر الوالدين والإحسان إليهما، ولم لا؟ والأب والأم هما سبب وجود الإنسان فى الحياة. وهما من قاما بالتربية والرعاية وتحملا الكثير والكثير، وضحيا بكل ما يملكان من أجل إعداد الأبناء وتربيتهم، فالأم حملت ثم وضعت فأرضعت، وسهرت وتعبت، والأب كد وجد من أجل توفير لقمة العيش والرعاية، إنه جهد كبير وعمل عظيم، ومن عظمة تضحيات وجهود الوالدين تجاه الأبناء أنها تتم دون انتظار مقابل أو ثمن .

ونتيجة لهذا كانت طاعة الوالدين وبرهما أمرا واجبا، بل فرضا على الأبناء، وجعل هذا العمل من أفضل وأحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عندما سأله يا رسول الله أى العمل أحب إلى الله؟ فقال ﷺ: «الصلاة على وقتها، قال: ثم أى؟ قال: بر

* عضو لجنة الإعلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

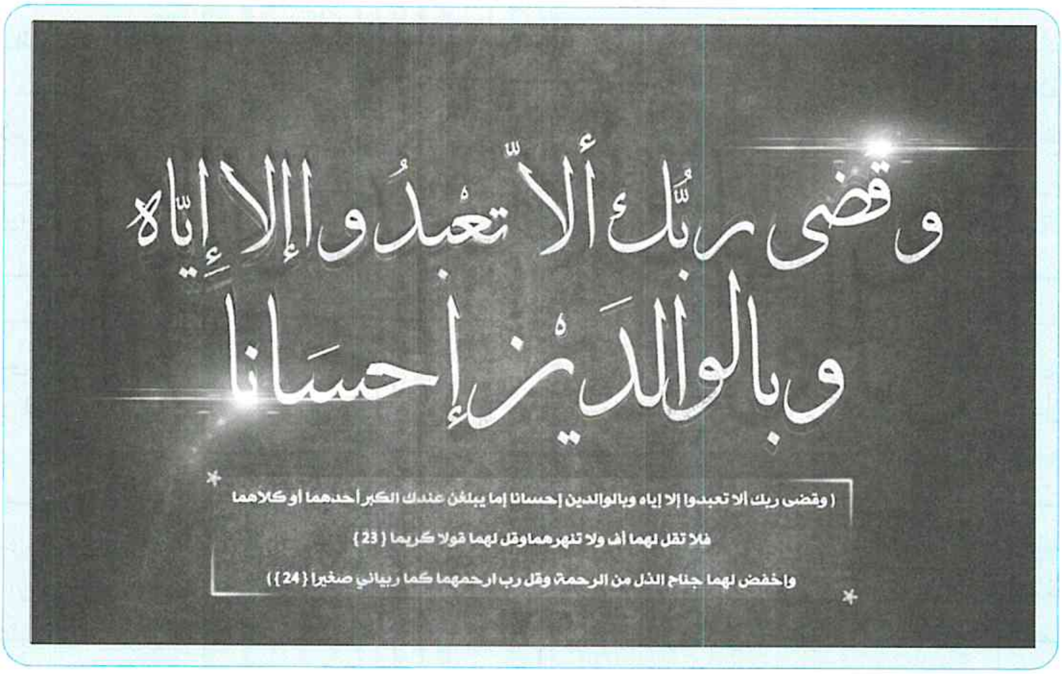

الوالدين، قال: ثم أى؟، قال: «الجهاد فى سبيل الله» (صحيح البخارى).

وبر الوالدين يكون بطاعتهما وحسن معاملتهما، والدعاء والاستغفار لهما ووضعهما دائما فى موضع الاحترام والتقدير، خاصة فى مرحلة الكبر والشيخوخة، فرعايتهما فى هذه السن تعد جهاداً فى سبيل الله كما قال رسول الله ﷺ لمن سأله الخروج للحرب والجهاد؟ فقال له: «فارجع إلى والديك، فأحسن صحبتهما» (صحيح مسلم).

نعم إنه جهاد فى حق من أمر الله ببرهما، وهو سبيل لنيل بر الأبناء بعد ذلك، فالإنسان الذى يبر والديه تبره بعد ذلك أبناؤه فيما بعد، كما قال النبى ﷺ: «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم» (الطبرانى فى الأوسط).

ويستمر البر بالوالدين حتى بعد مماتهما، ويكون برهما بكثرة الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة والاستغفار لهما، وتنفيذ وصاياهما ما لم تكن إثما، وكذلك الإحسان إلى صديقهما، فقال الرسول ﷺ لمن سأله يا رسول الله، هل بقى من بر أبوى شىء أبرُّهما به من بعد موتهما؟ قال: «نعم. الصلاة عليهما (الدعاء)، والاستغفار لهما، وإيفاءٌ بعهودهما من بعد موتهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما» (سنن ابن ماجه).

وكما حث الإسلام على بر الوالدين والإحسان إليهما نهى عن عقوق الوالدين وحذر من ذلك فجعله من أكبر الكبائر فقال الرسول ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين. وكان متكئًا وجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يرددها حتى قلنا: ليته سكت» (صحيح البخارى). فإذا كان الإشراك بالله كأكبر الكبائر فإنه يأتى بعده عقوق الوالدين وهذا إن دل على شىء فإنما يدل على خطورة هذا الأمر فى الدنيا والآخرة.

وعلى الرغم من حث الإسلام على بر الوالدين والنهى عن عقوقهما، إلا أن الواقع اليوم يشهد وبكل أسف سوء معاملة الوالدين من قبل البعض خاصة الشباب، فرفع الصوت على الأب والأم أصبحنا نسمعه داخل البيوت ونراه فى الطريق العام، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل وصل إلى السباب والشتائم، بل والضرب واستخدام العنف مع الوالدين.

وتطالعنا وسائل الإعلام يوميا بحوادث اعتداء على الآباء والأمهات حتى وصل الأمر للقتل وسفك الدماء وهو أمر جد خطير، فهل يعقل أن يكون

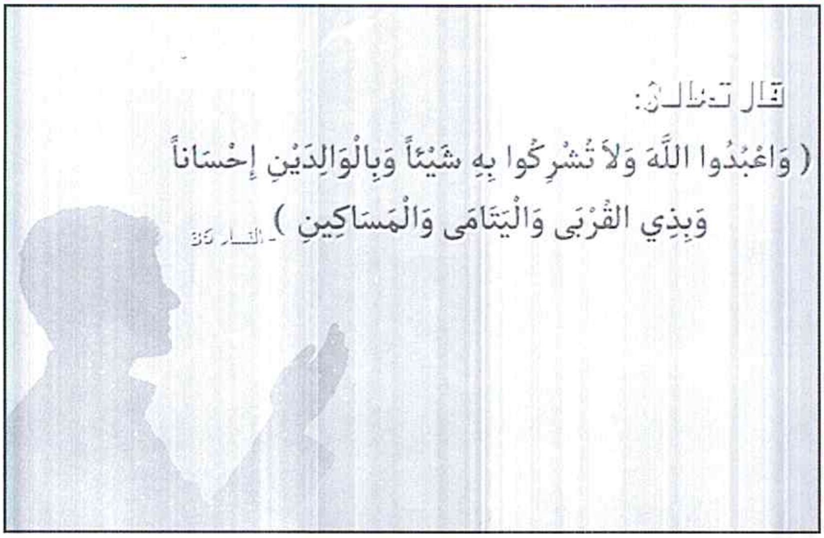

الرد على الوالدين أو أحدهما بالسب والضرب وربما القتل؟! إنه بحق أمر غريب وعجيب، أمر لا يصدقه عقل ولا يقبله منطق.

فحتى لو كان الأب أو الأم على خطأ فى رأى أو أمر، فهذا لا يبرر حتى مجرد رفع الصوت، لأننا مطالبون بحسن القول معهما كما قال ربنا: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾.

وقد ضرب خليل الله إبراهيم عليه السلام المثل فى كيفية تعامله مع أبيه الذى رفض الإيمان وتمسك بالكفر، ويبين ذلك القرآن الكريم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ● يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ● يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ● يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾(سورة مريم ٤٢ : ٤٥).

فكان رد أبيه: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (مريم: ٤٦).

فجاء جواب ابنه نبى الله إبراهيم: ﴿قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم: ٤٧).

هكذا يرد خليل الله إبراهيم على أبيه وهو يرفض الإيمان ويتمسك بالكفر، فلم يسبه ولم ينهره بل قال له: ﴿سَلاَمٌ عَلَيْكَ﴾ هذا فى أهم شىء وهو قضية الإيمان والكفر، وهو تأكيد لقول المولى عز وجل: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (لقمان: ١٥) فما بالنا بأمور الدنيا والمصالح الزائلة، هل يعقل أن تكون مبررا أو حجة للتطاول على الوالدين؟!

ولنعلم أن دعوة الوالدين من الدعوات التى تفتح لها أبواب السماء ويستجاب لها، كما بين ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة الوالد، ودعوة المسافر، ودعوة المظلوم» (سنن أبى داود).

فدعوة الوالدين بالخير لأبنائهما هى نعمة وزاد دنيوى وأخروى أيضا، وعلى النقيض يكون الدعاء عليهم بالشر فهو شقاء وتعاسة للأبناء فى الدنيا وكذلك فى الآخرة .

فالوالدان طريق الجنة كما قال ﷺ: «الوالد وسط أبواب الجنة فإن شئت فاحفظ ذلك الباب وإن شئت فأضعه» (مسند أحمد وسنن الترمذى وابن ماجه).

إننا بحاجة إلى حملات توعوية لتعريف الأبناء اليوم بفضل الوالدين وبرهما، والتحذير من عقوقهما، حملات للتوعية فى المساجد والمدارس والنوادى ومراكز الشباب، وعلى وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية أن تخصص مساحات للإسهام والمساعدة فى تعريف الصغار والشباب بأهمية بر الوالدين والبعد عن عقوقهما.

فاللهم اجعلنا من الذين يبرون آباءهم فتبرهم أبناؤهم .

فضل الشهادة ومكانة الشهيد

أولا: العناصر:

١ ـ فضلُ الشهادةِ في سبيل الله.

٢ ـ منزلة الشهيد عند الله (عز وجل).

٣ ـ جزاء الشهداء وثمرات الشهادة.

٤ ـ واجبنا في الدفاع عن الوطن.

ثانيًا: الأدلة من القرآن والسنة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:١٥٤).

٢ ـ وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١١١).

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران:١٤٠).

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء: ٦٩).

٥ ـ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (التوبة: ٣٨).

٦ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ● فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ

وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ • يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران:١٦٩: ١٧١).

٧ ـ وقال تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (الحديد: ١٩).

الأدلة من السنة:

١ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ» (رواه البخاري).

٢ ـ وعن أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ الشَّهِيدُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ» (رواه البخاري).

٣ ـ وعن سَهْل بْن أَبي أُمَامَةَ بْن سَهْل بْن حُنَيْف رضي الله عنه عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» (رواه مسلم).

٤ ـ وعن أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَت النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: «يَا نَبِيَّ اللهِ أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ ـ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ أي: لا يعرف له رام ـ فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي الْبُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى» (رواه البخاري).

٥ ـ وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، ومن قُتِل دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، ومن قُتل دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» (رواه أبو داود).

٦ ـ وعن جَابر ابْن عَبْدِ اللَّه (رضي الله عنهما) قال: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه اسْتُشْهِدَ أَبِي وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْنًا، قَالَ: «أَفَلا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه. قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا» ـ مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول ـ فَقَالَ: «يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ» قال: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ» قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا.....﴾ (آل عمران: ١٦٩) (رواه الترمذي).

٧ ـ وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ الْقَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ الْقَرْصَةِ» (رواه الترمذي).

٨ ـ وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ ـ وَاللَّهُ

أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِى سَبِيلِهِ - إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ» (رواه البخارى).

٩ - وعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ يُغْفَرُ لَهُ فِى أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَيُشَفَّعُ فِى سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ» (رواه الترمذى).

ثالثا: الموضوع:

لا شك أن الشهادة فى سبيل الله (عز وجل) وفى سبيل الوطن والحفاظ عليه من أعلى القربات وأعظم العبادات، فهى منحة إلهية يمنحها الله لأحب خلقه إليه بعد الأنبياء والصديقين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:٦٩)، وهى اصطفاء لمن أحبه الله تعالى من خلقه، يقول الحق سبحانه: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران:١٤٠).

لقد بيّن الحق - سبحانه وتعالى - فى الآية منزلة الشهداء؛ إذ جعلهم برفقة النبيين والصديقين، وذلك لشدة حرصهم على الطاعة والجدّ فى إظهار الحق فبذلوا مهجهم فى إعلاء كلمة الله، فكان الجزاء من جنس العمل، فجعل الله مكانتهم فى الجنة مع الأنبياء والرسل والصديقين، وهذا ليس بغريب على من استعلى على شهواته، وانتصر على رغباته، واسترخص الحياة فى نيل شرف الشهادة، وباع نفسه لله واشترى الجنة، وأوفى بعهده مع الله (عز وجل)، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١١١)، فعقدوا الصفقة مع الله، السلعة أرواحهم ودماؤهم، والثمن الموعود عند الله هو الجنة، ومَن أوفى بعهده من الله؟! فما أعظمَها من صفقة، فلله در الشهداء، تركوا لذيذَ الفراش ورغد العيش وضحوا بأنفسهم فى سبيل الله (عز وجل) يطلبون الشهادة ويريقون دماءهم تقربًا إلى الله سبحانه وتعالى، طمعًا فيما عنده من ثواب وكرم.

والشهداء ليسوا أمواتا بل أحياءٌ، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ • فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩،١٧٠).

فالإنسان الذى يقدمُ نفسه دفاعًا عن دينه ووطنه لا تنتهى حياته بالقتل، فهو حى عند ربه حياةً ليست كحياتنا، وهو - أيضًا - فى ذاكرة أمته حىٌّ لا يُنسى

بمرور الأزمنة والدهور، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة:١٥٤)، إنها حياة تفوق إدراك البشر، فعن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال: لقينى رسول الله ﷺ فقال لى: «يا جابر ما لى أراك منكسرا؟» قلت: يا رسول الله استشهد أبى وترك عيالا ودينا، قال: «أفلا أبشرك بما لقى الله به أباك؟» قال: بلى يا رسول الله. قال: «ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحا» - مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول - فقال: «يا عبدى تمن على أعطك» قال: يا رب تحيينى فأقتل فيك ثانية. قال الرب عز وجل: «إنه قد سبق منى أنهم إليها لا يرجعون»، قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا....﴾ (آل عمران: ١٦٩) (رواه الترمذى)

لذا كان حرص النبى ﷺ على الجهاد فى سبيل الله حتى ينال هذه الدرجة ويفوز بالشهادة فى سبيل الله (عز وجل)، فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله، والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل» (رواه البخارى).

فالإنسان المخلص لدينه ووطنه يبذل نفسه وماله وأغلى ما فى يديه، ويتمنى لو أن له بكل شعرة نفسا يقدمها لوطنه ودينه دفاعا ونصرا، كما يتمنى الحياة مرة أخرى بعد الشهادة لينال الشهادة مرات ومرات، فعن قتادة قال: سمعت أنس بن مالك يحدث عن النبى ﷺ قال: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما على الأرض من شىء غير الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة» (رواه مسلم)، وذلك ليفوز بما أعده الله من الفضائل والعطايا الجزيلة والمنزلة العالية التى يجدها الشهيد بعد موته.

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)).
متفق عليه

إنه الشوق والحنين إلى الجنة الذى جعل الابن والأب يتنافسان على نيل هذا الشرف العظيم - شرف الشهادة - ففى الحديث الصحيح الذى أخرجه أبو نعيم فى معرفة الصحابة من حديث إسحاق بن يسار قال: كان عمرو بن الجموح رضي الله عنه رجلا أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد أمثال الأسد، فلما كان يوم أحد، أرادوا حبسه، وقالوا له: إن الله قد عذرك، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن بنى يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه، والخروج معك فيه، والله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد عذرك الله، فلا جهاد عليك، وقال لبنيه: لا عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة»، فخرج معه، فقتل يوم أحد.

ولقد خص الله تعالى الشهيد بفضائل ومنح عديدة وبشارات عظيمة تؤكد علو منزلته عند الله

عز وجل، منها: ما أخبر به النبيّ ﷺ في حديث المِقْدَام بْنِ مَعْدِ يكرب رضي الله عنه حيث قال: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ، اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ» (رواه الترمذي) .

وإذا قُتل الشهيدُ لم ينقطعْ عمله الصالح، بل يزيدُ ويتضاعف، فعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلاَّ المُرَابِطَ فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَّانِ القَبْرِ» (رواه الحاكم).

بسم الله الرحمن الرحيم

(وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ) .

(البقرة: 154)

ومن فضائل الشهيد ما أخبر عنه الحبيب ﷺ من أن الشهيد لا يجد ألم القتل (سكرات الموت)، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلاَّ كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ» (رواه الترمذي) .

ودم الشهيد يأتي يوم القيامة وريحه ريح المسك، فعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ» (رواه البخاري).

والشهيد تظله الملائكة بأجنحتها، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ أَبْكِي وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ وَالنَّبِيُّ ﷺ لاَ يَنْهَانِي، فَجَعَلَتْ عَمَّتِي فَاطِمَةُ تَبْكِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَبْكِينَ، أَوْ لاَ تَبْكِينَ مَا زَالَتِ المَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ» (رواه البخاري).

وأجساد الشهداء محرمة على الأرض، فلا تأكلها، ويأمنون من فتنة القبر، وأرواحهم في حواصل طير خضر في ظل العرش، فعَنْ مَسْرُوق، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ أَرْوَاحِ الشُّهَدَاءِ، قَالَ: «أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالعَرْشِ، تَسْرَحُ فِي أَيِّ الجَنَّةِ شَاءُوا، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى قَنَادِيلِهَا، فَيُشْرِفُ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ فَيَقُولُ: أَلَكُمْ حَاجَةٌ؟ تُرِيدُونَ شَيْئًا؟ فَيَقُولُونَ: لاَ إِلاَّ أَنْ نَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَنُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى» (رواه الدارمي في سننه).

ومن فضائل الشهادة أن الله ضمن للشهيد إحدى الحسنيين: النصر والغنيمة أو الشهادة والجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ» (رواه البخاري)، إنهم أصحاب الأجر الوفير، والنور التام المنير، يقول تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ (الحديد: ١٩).

والشهداء يضحك الله إليهم، فعَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّار، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: «أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الَّذِينَ إِنْ يُلْقَوْا فِي الصَّفِّ لاَ يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ - أي يتمرغون - فِي الغُرَفِ العُلَى مِنَ الجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ

عَنْ أبي ثابت ، وقيل : أبي سعيد ، وقيل : أبي الوليد ، سهل بن حنيف ، وهو بدريٌ ، رضي الله عنه ، أن النبيَ صلى الله عليه وسلم قال

(مَنْ سَـأَلَ اللهَ تعالى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وإنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ) .

إِلَى عَبْدٍ فِى الدُّنْيَا فَلاَ حِسَابَ عَلَيْهِ» (مسند أحمد) .

ولقد أخبر النبى ﷺ أن الشهيد أول من يدخل الجنة، وأنه لا يسبقه فى الفضل إلا النبيون. وأنه يدخل الجنة من أحسن أبوابها شاء. فعَنْ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ قال النَّبِىُّ ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِى فَصَعِدَا بِى الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلاَنِى دَارًا هِىَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، قَالاَ: أَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ» (رواه البخارى)، وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «عُرِضَ عَلَىَّ أَوَّلُ ثَلاَثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: شَهِيدٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ» (رواه أحمد والترمذى وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ).

والشهيد لا يدخل الجنة فحسب، بل جنان. فعن أَنَس بْن مَالك أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ الْبَرَاءِ وَهْىَ أُمُّ حَارِثَةَ ابْنِ سُرَاقَةَ أَتَت النَّبِىَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا نَبِىَّ الله أَلاَ تُحَدِّثُنِى عَنْ حَارِثَةَ - وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ - فَإِنْ كَانَ فِى الجَنَّة صَبَرْتُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِى الْبُكَاءِ. قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِى الجَنَّةِ وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى» (رواه البخارى).

إن بلوغَ الأهداف الكبرى ونيلَ الغايات العظمى فى هذه الحياة يستلزم من التضحيات ما يتناسب مع سمو الأهداف وشرف المقاصد ونبل الغايات، ويأتى فى ذروة التضحيات التضحية بالنفس، وبذل الروح فى سبيل الله نصرة لدينه، ورغبة فى عزة البلاد وكرامة العباد.

وإن واجبنا فى هذه المرحلة التى يمر بها وطننا العزيز أن نسعى جميعًا لحمايته والدفاع عنه من أى عدو أو خطر يهدد أمنه واستقراره، وأن نتكاتف لردع كل من تسول له نفسه أن يجترئ على وطننا، فمصر تحيط بها مخططات متنوعة، هدفها النيل من مصر وأرضها وشعبها. يقف أمامها المخلصون من أبناء مصر فيقدمون أرواحهم ودماءهم وأموالهم دفاعًا عنها وحماية لأرضها. فمصر هى درع العروبة والقلب النابض للإسلام، والدفاع عنها واجب شرعى، وحق دينى، والنيل من مصر هو نيل من الإسلام، وإضعاف للمسلمين فى سائر البلاد، فلنقف جميعًا صفًا واحدًا فى سبيل الدفاع عنها من فساد المفسدين ومكر الماكرين وحقدهم .

حق المرأة فى الميراث والحياة الكريمة ودورها فى بناء الوطن

أولا : العناصر :

١ ـ مكانة المرأة فى الإسلام.

٢ ـ تكريم الإسلام للمرأة (أمًا، وبنتًا، أختًا، وزوجة).

٣ ـ حث الإسلام على حق البنت فى التربية السوية كالولد سواء بسواء.

٤ ـ حق المرأة فى الميراث .

٥ ـ دور المرأة فى بناء الوطن.

ثانيًا : الأدلة:

من القرآن الكريم:

١ ـ يقول تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء:١١).

٢ ـ ويقول تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِى الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ (النساء:١٢).

٣ ـ ويقول تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ● وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء: ١٣، ١٤).

٤ ـ ويقول تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا

قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (النساء: ٧).

٥ ـ ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء:١٩).

٦ ـ ويقول تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ● وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ● رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ (الإسراء: ٢٣: ٢٥).

٧ ـ ويقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤).

٨ ـ ويقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأحقاف: ١٥).

الأدلة من السنة والآثار:

١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أَبُوكَ» (صحيح البخارى).

٢ ـ وعَنْ ابن عباس (رضى الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا ـ قَالَ يَعْنِي الذُّكُورَ ـ أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ» (سنن أبى داود).

٣ ـ وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ اتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُتْنَ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ» (مسند أحمد).

٤ ـ وعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَتْ وَقَالَ مَرَّةً مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ فَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ» (مسند أحمد).

٥ ـ وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَطَعَ مِيرَاثًا فَرَضَهُ اللَّهُ قَطَعَ اللَّهُ مِيرَاثَهُ فِي الْجَنَّةِ» (سنن سعيد بن منصور).

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن الله حرم عليكم: عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال.

متفق عليه
واللفظ للبخاري

٦ ـ ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئًا فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَذَكَرَهُنَّ اللَّهُ رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًّا» (صحيح البخارى).

٧ ـ وعن ابن عمر (رضى الله عنهما) أن النبى ﷺ قال: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». قَالَ الراوى: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قال: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (صحيح البخارى).

٨ ـ وعَنْ عَائِشَةَ (رضى الله عنها) أن النبى ﷺ قَالَ: «... النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ» (رواه الترمذى وأبو داود).

ثالثًا: الموضـــوع:

لقد اهتم الإسلام بالمرأة اهتمامًا بالغًا، فرفع مكانتها وعظَّم منزلتها، وجعلها مرفوعة الرأس عالية القدر، تتمتع بشخصية محترمة وحقوق مقررة وواجبات معتبرة، وبالجملة أكرمها أيما إكرام، فصان شخصيتها وردّ عنها ألوانًا من الظلم تراكمت عليها عبر قرون طويلة، وبث روح الأمل فى نفوس النساء فساوى بينهن وبين الرجال فى الثواب والجزاء على العمل الصالح، يقول تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ (آل عمران: ١٩٥)، ويقول سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

ولقد بلغ من تكريم الإسلام للمرأة أن خصص لها سورة من القرآن سماها «سورة النساء»، فدلَّ ذلك على اهتمام الإسلام بالمرأة اهتمامًا كبيرًا، بخلاف ما كان عليه أمرها فى الجاهلية قبل الإسلام، فقد ظلمت المرأة فى الجاهلية ظلمًا شديدًا، فلما جاء الإسلام رفع مكانتها، وأعلى شأنها، وأعزها وأكرمها، يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «كُنَّا فِى الجَاهِلِيَّةِ لاَ نَعُدُّ النِّسَاءَ شَيْئًا فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ وَذَكَرَهُنَّ اللَّهُ رَأَيْنَا لَهُنَّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا حَقًّا» (صحيح البخارى).

وكما حرص الإسلام على حفظ كرامة المرأة، واحترام شخصيتها المعنوية، أثبت لها حقها فى التصرف ومباشرة جميع الحقوق كحق البيع، وحق الشراء وغير ذلك، قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (النساء:٣٢)، وهكذا فالمرأةُ فى ظل تعاليم الإسلام القويمة وتوجيهاته الحكيمة تعيش حياةً كريمة فى مجتمعها المسلم، حياةً ملؤها الحفاوةُ والتكريم من أوَّل يوم تقدُم فيه إلى هذه الحياة، مُرورًا بكل حال من أحوال حياتها، أمّا كانت، أو بنتًا، أو أختًا، أو زوجة، أو امرأة من سائر أفراد المجتمع.

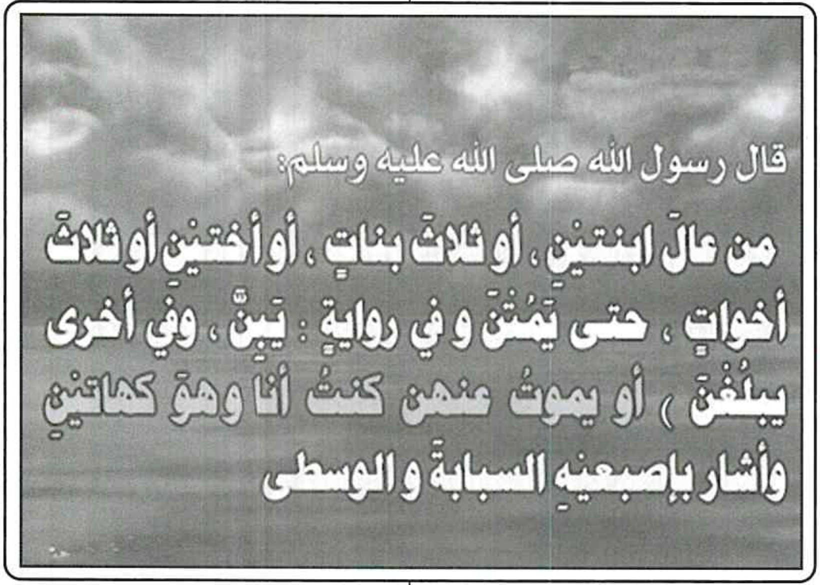

أما تكريم الإسلام للمرأة أمًّا، فقد دعا إلى إكرامها إكرامًا خاصًّا، والإحسان إليها، وحثَّ على العناية بها، فقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا • وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ (الإسراء:٢٣،٢٤)، وقال سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤).

فأى تكريم أعظمُ من أن يقرن الله حقها بحقه، ويجعلها المصطفى ﷺ أحقَّ الناس بحسن الصحبة وإسداء المعروف، فعن أبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِى؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أَبُوكَ» (متفق عليه).

وأما تكريم الإسلامُ للمرأة بنتًا: فرفع شأنها، وعدَّها نعمةً عظيمةً وهبةً كريمة، فقال تعالى: ﴿لِلَّهِ

مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (الشورى: ٤٩،٥٠) ، ثمَّ أمر الله بإكرامها طفلةً، وبين حقها فى الرضاعة كالولد سواء بسواء، وحثَّ على رعايتها والإحسان إليها منذ نعومة أظفارها، قال تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ (البقرة: ٢٣٣)، وقد حثَّ النبى ﷺ على تربية البنت فى جو من العبادة، وتعليمها آداب الإسلام، والإنفاق عليها، ووعد على ذلك بالثواب العظيم، ففى مسند أحمد من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ كَانَتْ - وَقَالَ مَرَّةً - مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ فَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ».

وبعد رعايتها وتربيتها حثَّنا الإسلام على معاملتها بالعدل وعدم التفرقة بينها وبين إخوتها من الذكور والإناث، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضى الله عنهما) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ اعْدِلُوا بَيْنَ أَبْنَائِكُمْ قالها ثلاثًا» (البخارى ومسلم)، ولما كان أحد الناس جالسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ بُنَيٌّ لَهُ، فَأَخَذَهُ فَقَبَّلَهُ وَأَجْلَسَهُ فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ جَاءَتْ بُنَيَّةٌ لَهُ، فَأَخَذَهَا وَأَجْلَسَهَا إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَمَا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا» (شعب الإيمان للبيهقى)، أى أنه كما وضع الولد على فخذه كان ينبغى أن يفعل مع البنت فيجعلها على فخذه الآخر.

أما تكريم الإسلام للمرأة أختًا، فقد حثَّ على إكرامها والإحسان إليها، ووعد من أحسن تربيتها بالأجر العظيم، فعند الترمذى من حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَكُونُ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ». وفى مسند أحمد من حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كُنَّ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ أَوْ بِنْتَانِ أَوْ أُخْتَانِ اتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ حَتَّى يَبِنَّ أَوْ يَمُتْنَ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ».

ومن تكريم الإسلام للمرأة زوجة: أن حُفَّت بسياج عظيم من التكريم، والمتأمل فى شريعة الإسلام السمحة يجد أنها قد أوجبت للمرأة على زوجها حقوقًا مادية، كالصداق والنفقة، وغير ذلك، تكريمًا لها ورفعة لشأنها، فقال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (النساء: ٤)، فالآية الكريمة عبرت عن المهر بأسلوب هو غاية فى تكريم المرأة، فجعلته حقًا ثابتًا لها، ولم تجعله ثمنًا للتمتع بها، ومن ثمَّ لا يجوز لأحد أكْل صداق المرأة أو التصرف فيه بغير إذنها ورضاها الحقيقى.

وكذلك على الزوج أن ينفق على زوجه، والنفقة تشمل الطعام والشراب والملبس والمسكن، وما تحتاج إليه الزوجة لقوام حياتها، لقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ (الطلاق:٧).

كما أوجبت الشريعة الإسلامية للمرأة حقوقًا معنوية عظيمةً، من المعاشرة بالمعروف، والإحسان، والرفق، والإكرام، لما تقوم به من عمل عظيم فى بيتها، من تربية أولادها، ومسئوليتها تجاه زوجها، وغير ذلك من الأمور التى تقوم بها المرأة تجاه أسرتها، قال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تنكح المرأة لأربع

لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها

فاظفر بذات الدين

تربت يداك

متفق عليه

كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩)، وقال تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة:٢٢٩)، وهذا ما وصى به النبى ﷺ فى خطبته فى حجة الوداع، حيث قال: «اتَّقُوا اللهَ فِى النِّسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، اتَّخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ» (شعب الإيمان)، وعن أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِى ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَىْءٍ فِى الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» (صحيح البخارى).

وفى شأن المرأة بصفة عامة أمًا كانت أو أختًا أو زوجةً أو ابنةً أو غير ذلك، فقد نهى ديننا عن عضلهن وظلمهن وبخسهن حقوقهن، بل جعل العدل معهن وعدم التفرقة بين البنت والابن سبيلاً واسعًا لمرضاة الله وطريقًا لرضوانه وجنته، فعَن ابْنِ عَبَّاس (رضى الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أُنْثَى فَلَمْ يَئِدْهَا وَلَمْ يُهِنْهَا وَلَمْ يُؤْثِرْ وَلَدَهُ عَلَيْهَا - قَالَ يَعْنِى الذُّكُورَ - أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ» (رواه أبو داود)، ففى هذا الحديث معان راقية وبلاغة عالية، حيث عبر النبى ﷺ فى صدر الحديث بالاسم الموصول (مَنْ) الذى يفيد العموم والشمول، وعبر بلفظ الأنثى دون البنت، لأنه أعم، فلفظ الأنثى يشمل كل أنثى سواء أكانت بنتًا، أم أختًا، أم بنت ابن، أم بنت بنت، أم غير ذلك.

وإضافة إلى هذه الحقوق التى أقرها الإسلام للمرأة فقد جعل لها حقًا فى الميراث مع الرجل جنبًا إلى جنب، فقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ (النساء: ٧)، فقضية الميراث تعد واحدة من أهم القضايا التى أكد عليها سيدنا رسول الله ﷺ فى خطبته الجامعة فى حجة الوداع حيث قال: «إِنَّ اللَّهَ عز وجل قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ، أَلاَ لاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ» (سنن ابن ماجة) .

وقد حدد الحق - سبحانه وتعالى - بنفسه أنصبة الوارثين ولم يتركها لأحد من خلقه، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِى أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء:١١)، وبهذا الميزان الإسلامى الدقيق كان نصيب المرأة فى بعض أحوال الميراث نصف نصيب الرجل، وذلك لأنها لا تتحمل من الأعباء المادية ما يتحمله الرجل.

ولم يقف الأمر عند حد تحديد الأنصبة، وإنما رتب القرآن الكريم الوعيد الشديد لكل من تسول له نفسه الاعتداء على هذه الحقوق، فقال سبحانه فى ختام الحديث عن تحديد الأنصبة: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ● وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء: ١٣،١٤) ، وذلك ليعلم كل من يجترئ ويقترب من حدود الله ويأكل الميراث أو يعبث

بالأنصبة إنما يقترب من النار. بل يأكل النار ويتعاطاها بيديه، فكيف به حين يُجاء بجهنم؟!! ﴿..وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ● وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ● كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ● وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ● وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ (الفجر:١٩: ٢٣).

إن من أعظم مكتسبات المرأة فى الإسلام إنصافها فى قضية الميراث، فلقد كان أهل الجاهلية لا يرون لها حقًا فى الميراث، بل كانوا يعتبرونها نفسها ميراثًا يتداولونه خلفًا عن سلف، فجاء الإسلام بالنهى عن ذلك والتحذير منه، ونعى على أهل الجاهلية أكلهم حقوق بعض الورثة بغير حق، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء:١٩). وهذا ما أكده النبى ﷺ حيث رهَّب من منع المرأة حقها فى الميراث، فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَطَعَ مِيرَاثًا فَرَضَهُ اللَّهُ قَطَعَ اللَّهُ مِيرَاثَهُ فِي الْجَنَّةِ» (سنن سعيد بن منصور)، وفى رواية: «مَنْ قَطَعَ مِيرَاثًا فَرَضَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ قَطَعَ اللهُ بِهِ مِيرَاثًا مِنَ الْجَنَّةِ» (شعب الإيمان للبيهقى) .

ثم إن حرمان النساء من الميراث يكون لعلل واهية أو عادات وتقاليد بالية لا أصل لها فى الشرع، وكأن الذى يعبث بالميراث فيحرم شخصا ويؤثر آخر وفق ما يقتضيه هواه يظن نفسه أعلم بالمصالح، وأعلم بمن يستحق ومن لا يستحق من رب العالمين وأحكم الحاكمين، خالق الخلق ومالك الملك، وكأن لسان حال هذا المفتئت على الله (عز وجل) فى تشريعه يقول: تقسيم الله لا يعجبنى، أو كأنه يقول: أنا أقسّم تقسيما أحسن من تقسيم الله ـ والعياذ بالله ـ، إذ لو كان مؤمنا بأن تقسيم الله فى كتابه العزيز هو الأفضل والأمثل، لما تدخل بإيثار هذا وحرمان ذاك.

لقد أوصى القرآن الكريم بمعاملة النساء بصفة عامة، والإحسان إليهن وملاطفتهن ومؤانستهن وتطييب القول لهن، بعيدًا عن السّب والضرب والإهانة، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أى صاحبوهن بما أمركم الله به من طيب القول والمعاملة بالإحسان.

يقول النبيّ
صلى الله عليه وسلم

كُلُّكُم راعٍ وكُلُّكُم مسئولٌ
عن رعيته، الإمام راعٍ ومسئول عن رعيته والرجل راعٍ في أهله ومسئول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها والخادم راعٍ في مال سيده ومسئول عن رعيته فكلكم راعٍ ومسئول عن رعيته

متفق عليه

جدير بالذكر أن المرأة لها دور عظيم لا يقل أهمية عن دور الرجل فى بناء الوطن ورقيه والدفاع عنه، حيث إن وجودها بارزٌ وواضحٌ فى كل مجالات الحياة، فهى المربية التى تغرس فى نفوس أبنائها حب الوطن والانتماء إليه، ليكونوا عناصر إيجابية قوية وفعالة فى المجتمع، وهى الطبيبة، وهى المعلمة، وهى الصانعة، وهى المفكرة والمبدعة والسياسية، وصاحبة الدور الذى لا ينكر فى البناء الوطنى الحديث.

وهى التى أسهمت فى بناء الوطن إسهامًا واضحًا من خلال أدوارها المختلفة، ومشاركتها فى ميادين الحياة العامة، وإسهاماتها الفعالة فى حركة المجتمع وفى الحفاظ عليه والرقى به، غير أن الوطن مازال فى حاجة إلى جهد أكبر من جميع أبنائه رجالاً ونساءً، شيوخًا وشبابًا، حتى نرقى به إلى المكانة التى يستحقها بين الأمم، وبما يحقق صالح الجميع فى لحمة وطنية لا تعرف التفرقة على أساس الدين أو اللون أو الجنس.

فضائل الصحابة (رضى الله عنهم) ونماذج من سيرتهم العطرة

أولاً: العناصر:

١ ـ مكانة الصحابة وعلو منزلتهم.
٢ ـ من فضائل الصحابة فى القرآن والسنة.
٣ ـ حب الصحابة من الإيمان.
٤ ـ الحث على الاقتداء بهدى الصحابة الكرام.
٥-حرمة سب الصحابة أو الطعن فيهم.
٦ ـ نماذج من سير الصحابة الكرام.

ثانيا: الأدلة:

من القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح:٢٩).

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١٠٠).

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ • أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ • فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ • ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ • وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة:١٠:١٤).

٤ ـ وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف:١٥٧).

٥ ـ وقال تعالى: ﴿لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١١٧).

٦ ـ وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ • أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:٨٨،٨٩).

٧ ـ وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨).

٨ ـ وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ● وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٨، ٩).

من السنة النبوية:

١ ـ عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن مسعود رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ» (متفق عليه).

٢ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» (رواه الشيخان).

٣ ـ وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ» (مسند أحمد).

٤ ـ وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (صحيح مسلم).

ثالثا: الموضوع:

لقد اختار الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنبيه ﷺ رجالاً أصفياء، وصحابةً أخيارًا صالحين، آمنوا به وأيدوه ونصروه، تخرجوا من مدرسته ﷺ وتربوا على يديه، ونهلوا من المنبع الصافى الذى يفيض إيمانًا وقوة، فكانوا أصدق الناس إيمانًا، وأكثرهم علمًا، وأدقهم فهمًا، وأحسنهم عملاً، حملوا راية الدين إلى أرجاء الدنيا، لا يخشون فى الله لومة لائم، ففازوا برضوان الله (عز وجل)، ومدحهم الحق سبحانه وتعالى فى قرآنه الحكيم بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠). أولئك هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم الله لصحبة رسوله الخاتم إلى العالمين.

جيل كان له السبق فى تغيير وجه الحياة، فقد حمل النور الذى جاء به سيد المرسلين ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للعالم أجمع، ومهما حاولنا اللحاق بهم فلن نستطيع مهما فعلنا، ويكفى أن نعلم أننا لو تصدقنا كل يوم بمثل جبل أحد ذهبًا ما بلغنا مد أحدهم ولا نصيفه، كما أشار إلى ذلك الحبيب المصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ حيث قال: «... فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» (رواه الشيخان).

وذلك لأنهم تحملوا أعباء نشر هذا الدين ولاقوا ما لاقوا من أجله، قدموا أنفسهم وأرواحهم وأموالهم فى سبيل نصرة دين الله (عز وجل)، ونصرة رسوله

ﷺ، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:١١١).

وإذا كان من حق سيدنا رسول الله ﷺ علينا أن نقرأ سيرته وسنته لنتأسى به ونقتدى بهديه، ونعمل بشريعته، فإن من حق أصحابه (رضى الله عنهم) علينا أن نعرف فضائلهم ومكانتهم ونقرأ تاريخهم؛ لنتشبه بهم فى مكارم أخلاقهم، وفى طاعتهم وعبادتهم لله رب العالمين، ولنأخذ العبرة والعظة من حياتهم، فهم الذين اختارهم الله تعالى وانتقاهم لصحبة نبيه ﷺ، ونشر رسالته من بعده، لأنهم أفضل هذه الأمة، وصفهم الله تعالى بأوصاف الكمال، عدَّلهم وزكاهم، فلم تعرف البشرية لهم مثيلاً فى التقوى والورع والإخلاص، أثنى الله - تعالى - عليهم، وبيَّن ما أعده لهم من الجزاء العظيم بقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ● أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ● فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ● ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ● وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ (الواقعة:١٠:١٤).

ولبيان مكانتهم وعلو منزلتهم ذكر الله شرف صحبتهم ببعض صفاتهم فى قرآنه الحكيم، بل أثنى عليهم فى التوراة والإنجيل، فقال سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح:٢٩).

فوصفهم الحق سبحانه بأنهم أشداء على الكفار فى غير ظلم، رحماء بينهم، عابدون لله وحده لا يشركون به شيئًا، راكعون ساجدون، لا يبتغون الفضل والرضوان إلا منه، قد أثرت فيهم العبادة حتى ظهر أثر ذلك على جوارحهم، فإذا رأيت الواحد منهم علمت أنه ممن يحب الله ويخشاه؛ ولذلك (رضى الله تعالى عنهم)، وهى أعظم منة يمن الله بها على عباده، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِىَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح:١٨).

وإذا ما تصفحنا سنة الحبيب المصطفى ﷺ وجدناها مليئة بالأحاديث التى تدل على عظيم فضلهم، وسمو مكانتهم، وعلو منزلتهم وشأنهم، ومن ذلك: شهادته ﷺ بأنهم أفضل القرون وخير الأمم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِىءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ» (متفق عليه)، وإنما صاروا خير القرون؛ لأنهم آمنوا به ﷺ حين كفر به الناس، وصدقوه حين كذبه الناس، وعزروه، ونصروه، وآووه، وواسوه بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله. وفى مسند الإمام أحمد، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِى قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِى قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ، يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ، فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا، فَهُوَ عِنْدَ اللهِ حَسَنٌ، وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا

فَهُوَ عندَ الله سَيِّئٌ) .

ومنها: ما أشار إليه النبى ﷺ بأنهم أمنة للأمة، يقول ﷺ: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِى فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِى مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِى أَمَنَةٌ لأُمَّتِى فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِى أَتَى أُمَّتِى مَا يُوعَدُونَ» (رواه مسلم)، فكان وجود الصحابة (رضى الله عنهم) أمان للأمة من ظهور البدع، بل إن بركتهم (رضى الله عنهم) امتدت لتشمل جيلين بعدهم، فعن أبى سعيد الخدرى ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيَقُولُونَ: فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ. ثُمَّ يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ. ثُمَّ يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ فَيَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، فَيُقَالُ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ صَاحَبَ مَنْ صَاحَبَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُفْتَحُ لَهُمْ» (متفق عليه). والفئام: الجماعة الكثيرة.

ومنها: أن الله (عزّ وجلّ) شهد لهم بالبذل والعطاء والجود والمجاهدة فى سبيله وابتغاء مرضاته، ووعدهم على هذا بالنعيم المقيم فى جنات الخلد، قال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ● أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة:٨٨، ٨٩)، يقول عمر بن الخطاب ؓ (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالا عِنْدِى، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟»، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ ؓ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟» قَالَ: (أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لاَ أُسَابِقُكَ إِلَى شَىْءٍ أبدًا) (رواه الترمذى).

وإذا كانت هذه هى مكانة صحابة رسول الله ﷺ فإن حبهم (رضى الله عنهم) والإقرار بأفضليتهم على غيرهم من الإيمان الواجب على كلِّ مسلم، لأنه دليل على حب رسول الله ﷺ الذى أحبهم واختارهم أصحابًا له، فالمؤمن يحب كل من يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، وعلى رأسهم الصحابة (رضى الله عنهم)، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ ؓ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهَ اللَّهَ فِى أَصْحَابِى، اللَّهَ اللَّهَ فِى أَصْحَابِى، لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِى، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّى أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِى أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِى، وَمَنْ آذَانِى فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ» (رواه الترمذى وأحمد)، وفى الصحيحين أيضاً عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ أنه قال فى الأنصار: «لا يُحبهم إلا مؤمنٌ، ولا يُبغضهم إلا منافقٌ، مَن أحبهم أحبَّه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»، فحبهم دليل على الإيمان والطاعة لله رب العالمين، وبغضهم دليل على النفاق والعصيان، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ» (صحيح البخارى).

وقد حرّمت الشريعة الإسلامية الطعن فى الصحابة (رضى الله عنهم)، لأن الذى اختارهم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

لصحبة المصطفى ﷺ، وأثنى عليهم، وترضى عنهم هو الحق سبحانه، ثم كان الثناء والمدح لهم من النبى ﷺ، كما نهانا المصطفى ﷺ عن سبهم، فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَسُبُّوا أصحابى لَا تَسُبُّوا أصحابى فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» (صحيح مسلم)، وعن عبدالله بن عمر (رضى الله عنهما) قال: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً) (فضائل الصحابة لأحمد)، ومن ثمَّ فيجب علينا أن نحفظ لهم قدرهم، ونعرف لهم منزلتهم ومكانتهم.

والناظر فى حياة الصحابة (رضى الله عنهم) يجد قدرا عاليا من الإيمان، والامتثال والحب لله ولرسوله ﷺ، ويجد ترجمة حقيقية للتحلى بمكارم الأخلاق، فكانوا خير قادة وأفضل سادة، ضربوا أروع الأمثلة فى البذل والعطاء، والعلم والعمل، والتضحية والفداء من أجل نصرة دين الله (عز وجل)، حتى نزل فيهم قول الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر: ٨).

وأبرز مثال على ذلك: سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه حيث نام فى فراش رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ليفديه بنفسه وروحه، وهو يعلم أن المشركين يقفون له بسيوفهم ليقتلوه.

وكذلك صهيب الرومى يضحى بماله لنصرة دين الله عز وجل، ونصرة نبيه ﷺ، فحين أَرَادَ الْهِجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، قَالَ لَهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: أَتَيْتَنَا صُعْلُوكًا، فَكَثُرَ مَالُكَ عِنْدَنَا، وَبَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ بِنَفْسِكَ وَمَالِكَ، وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَعْطَيْتُكُمْ مَالِى أَتُخَلُّونَ سَبِيلِى؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: أُشْهِدُكُمْ أَنِّى قَدْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِى، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِىَّ ﷺ، فَقَالَ: «رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ»، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (صحيح ابن حبان).

وهاهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضرب أروع الأمثلة فى الأخلاق الحميدة، والصفات النبيلة حتى صار قدوة فى الخير، وأسوة فى مكارم الأخلاق، حتى شهد له النبى ﷺ بالجنة، فَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِى امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» (صحيح مسلم).

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِامْرَأَةٍ مَعَهَا صِبْيَانٌ صِغَارٌ وَقِدْرٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى نَارٍ وَصِبْيَانُهَا يَتَضَاغَوْنَ، فَقَالَ عُمَرُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَصْحَابَ الضَّوْءِ، وَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ: يَا أَصْحَابَ النَّارِ، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ، فَقَالَ: أَدْنُو؟، فَقَالَتْ: ادْنُ بِخَيْرٍ أَوْ دَعْ، فَدَنَا فَقَالَ: مَا بَالُكُمْ؟ قَالَتْ: قَصُرَ بِنَا اللَّيْلُ وَالْبَرْدُ، قَالَ: فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الصِّبْيَةِ يَتَضَاغَوْنَ؟ قَالَتْ: الْجُوعُ، قَالَ: فَأَىُّ شَىْءٍ فِى هَذِهِ الْقِدْرِ؟ قَالَتْ: مَا أُسْكِتُهُمْ بِهِ حَتَّى يَنَامُوا، وَاللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُمَرَ، فَقَالَ: أَىْ رَحِمَكِ اللَّهُ، وَمَا يُدْرِى عُمَرَ بِكُمْ؟ قَالَتْ: يَتَوَلَّى عُمَرُ أَمْرَنَا ثُمَّ يَغْفُلُ عَنَّا. قَالَ زَيْدُ ابْنُ أَسْلَمَ - راوى الحديث - : فَأَقْبَلَ عَلَىَّ فَقَالَ:

انْطَلِقْ بِنَا. فَخَرَجْنَا نُهَرْوِلُ حَتَّى أَتَيْنَا دَارَ الدَّقِيقِ، فَأَخْرَجَ عِدْلًا مِنْ دَقِيقٍ وَكُبَّةً مِنْ شَحْمٍ. فَقَالَ: احْمِلْهُ عَلَيَّ. فَقُلْتُ: أَنَا أَحْمِلُهُ عَنْكَ. قَالَ: أَنْتَ تَحْمِلُ عَنِّي وِزْرِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ أُمَّ لَكَ؟ فَحَمَلْتُهُ عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ إِلَيْهَا، نُهَرْوِلُ. فَأَلْقَى ذَلِكَ عِنْدَهَا وَأَخْرَجَ مِنَ الدَّقِيقِ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهَا: ذُرِّي عَلَيَّ، وَأَنَا أُحَرِّكُ لَكِ، وَجَعَلَ يَنْفُخُ تَحْتَ الْقِدْرِ ثُمَّ أَنْزَلَهَا، فَقَالَ: أَبْغِينِي شَيْئًا، فَأَتَتْهُ بِصَحْفَةٍ فَأَفْرَغَهَا فِيهَا ثُمَّ جَعَلَ يَقُولُ لَهَا: أَطْعِمِيهِمْ وَأَنَا أُسَطِّحُ لَهُمْ. فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى شَبِعُوا، وَتَرَكَ عِنْدَهَا فَضْلَ ذَلِكَ. وَقَامَ وَقُمْتُ مَعَهُ، فَجَعَلَتْ تَقُولُ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، كُنْتَ أَوْلَى بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. فَيَقُولُ: قُولِي خَيْرًا إِذَا جِئْتِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَجَدْتِنِي هُنَاكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ تَنَحَّى نَاحِيَةً عَنْهَا ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا فَرَبَضَ مَرْبَضًا. فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّ لَنَا شَأْنًا غَيْرَ هَذَا، وَلاَ يُكَلِّمُنِي حَتَّى رَأَيْتُ الصِّبْيَةَ يَصْطَرِعُونَ ثُمَّ نَامُوا وَهَدَأُوا. فَقَالَ: يَا أَسْلَمُ، إِنَّ الْجُوعَ أَسْهَرَهُمْ وَأَبْكَاهُمْ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ لاَ أَنْصَرِفَ حَتَّى أَرَى مَا رَأَيْتُ. (فضائل الصحابة للإمام أحمد).

كما كان للصحابيات (رضوان الله تعالى عليهن أجمعين) مواقف عظيمة فى البذل والعطاء، والتضحية والفداء من أجل نصرة دين الله (عز وجل). نذكر منها :

● موقف أم المؤمنين خديجة بنت خويلد (رضى الله تعالى عنها) التى قامت بدور عظيم فى نشر دين الله عز وجل، حيث وقفت مع زوجها النبى ﷺ وضحت بمالها ونفسها، وهدأت من روعه ﷺ حين نزل عليه الوحى فى غار حراء، وقالت له بكل ثبات وثقة، بلا خوف ولا فزع : «وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ» (رواه البخارى)، فكانت نعم الزوج الوفية التى تعرف لزوجها حقه، ولذلك كان النبى ﷺ يكثر من ذكرها ويحسن الثناء عليها وفاءً لها، فعَنْ عَائِشَةَ (رضى الله عنها) قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: «مَا أَبْدَلَنِي اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ (عَزَّ وَجَلَّ) وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ» (رواه أحمد).

● كذلك من النماذج الطيبة والقدوة الصالحة من الصحابيات السيدة أم عمارة نُسيبة بنت كعب الأنصارية التى قال عنها الرسول ﷺ: «إننى فى غزوة احد ما الْتَفَتَ يَمِينًا وَلاَ شمالا إلا ورأيت أم عمارة تقاتل دونى» حتى جاء من يريد أن يقتل الرسول (صلى الله عليه وسلم) كلما أراد أن يطعن رسول الله (رضى الله عنها) يجد أم عمارة أمامه، وأخذ يضربها بالسيف حتى غارت عظام كتفها من شدة ضرب السيف عليه، فقال لها الرسول ﷺ: «ما أشد ما تطيقين يا أم عمارة» قالت: بل أطيق وأطيق يا رسول الله، فقال لها النبى ﷺ: «سلينى يا أم عمارة»، قالت: أسألك مرافقتك فى الجنة يا رسول الله، فقال ﷺ: «لست وحدك يا أم عمارة، بل أنت وأهل بيتك» فقالت (رضوان الله عليها): مَا أُبَالِي مَا أَصَابَنِي مِنَ الدُّنْيَا (سير أعلام النبلاء).

فإذا أردنا أن نرتقى ونتقدم وننجو من المهالك، ونفوز برضوان الله - سبحانه وتعالى - فى الدنيا والآخرة. فلا بد من أن نستضىء بنور صحابة رسول الله ﷺ ونسير على خطاهم، ونتخلق بأخلاقهم، فهم قدوة للمؤمنين وأسوة للمسلمين، أمرنا النبى ﷺ أن نقتدى بهم، وأن نتمسك بسنتهم، فعن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» (سنن ابن ماجة)..

علينا أن نعلم أنفسنا، وأبناءنا، ونساءنا، أخلاق الصحابة الكرام، وكيف كان اتباعهم لرسول الله ﷺ، وتضحيتهم فى سبيل نصرته ودينه، حيث باعوا أنفسهم بصدقٍ ويقين لله (عزّ وجلّ).

نحو علاقات أسرية سوية مستقرة

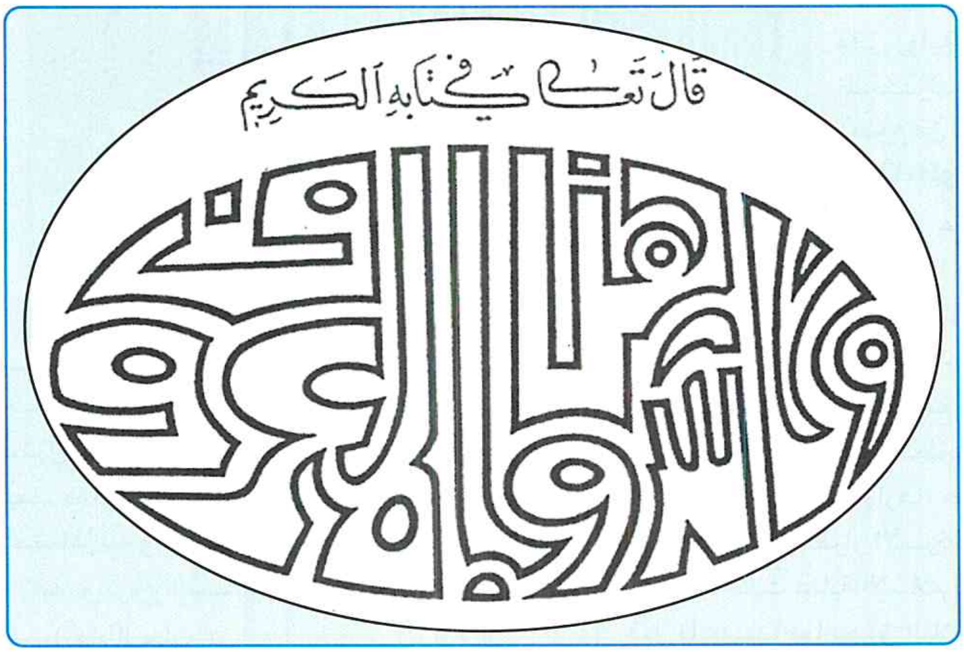

أولا: العناصر:

١ ـ منزلة الأسرة فى الإسلام.

٢ ـ منهج الإسلام فى استقرار الأسرة:

أ ـ حسن الاختيار.

ب ـ رعاية الحقوق والواجبات.

ج ـ تحقيق المودة والرحمة.

د ـ المعاشرة بالمعروف.

هـ ـ العدل بين الأولاد.

ثانيًا: الأدلة:

الأدلة من القرآن الكريم:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (النحل: ٧٢).

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور:٣٢).

٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة :٢٢٨).

٥ ـ وقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء : ١٩).

٦ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ (النساء :٣٥).

٧ ـ وقال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق: ٧).

من السنة النبوية:

١ ـ عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (متفق عليه).

٢ ـ وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» (رواه البخارى).

٣ ـ وعن أَنس بن مَالك ﵁ قَال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِىِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِىِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّى أُصَلِّى اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ

> عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما :
> أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :
> (الدُّنيا متاع ، وخيرُ متاعِها المرأة الصالحة)
> رواه مسلم

آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّى لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّى أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّى وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِى فَلَيْسَ مِنِّى» (رواه البخارى).

٤ ـ وعَنْ أَبِى حَاتِمٍ الْمُزَنِىِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الأَرْضِ وَفَسَادٌ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ». (رواه الترمذى). وفى سنن البيهقى: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ».

٥ ـ وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِى أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِى بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِىَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِى مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَحْسِبُ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «وَالرَّجُلُ فِى مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (رواه البخارى).

٦ ـ وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ» (رواه أحمد) وفى رواية عند الحاكم فى المستدرك: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ».

ثالثا: الموضوع:

لقد عُنى الإسلام بالأسرة واهتم بها اهتمامًا بالغًا، لأنها اللبنة الأولى فى بنيان المجتمع، فبصلاحها يصلح المجتمع، وبفسادها يفسد المجتمع، لذلك وضع الإسلام للأسرة ضوابط ومعايير تنظم قيامها، وتحرص على سلامتها واستقرارها، حفاظًا على الإنسان والمجتمع، لأن استقرار الأسرة هو استقرار للمجتمع.

وقد امتدت عناية الإسلام بالأسرة إلى مرحلة ما قبل تأسيسها بما يحقّق التلاؤم والانسجام، والتوادّ والتراحم بين جميع أفرادها، ويُقلّل من دوافع الهدم والانهيار لبنيانها، فقد حَثَّ الإسلام أتباعه على تكوين الأسرة بوسيلة مشروعة تتماشى مع الحفاظ على كرامة الإنسان وحفظ آدميته وتتوافق مع فطرته السوية، ألا وهى الزواج، إحدى سُنَن الله (عز وجل) فى الخلق كله، قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الذاريات: ٤٩)، ويقول سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (يس: ٣٦)، فالزواج سُنَّة كونيَّة، جعله ربنا سبحانه دليلا على عظيم قدرته، وآية باهرة من آياته فى خلقه، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١).

كما رغَّب الإسلام فى تكوين الأسرة واستقرارها إعمارًا للأرض، وتحقيقًا لمصلحة المجتمع وبناء الوطن، ووصولاً إلى الغايات السامية المتمثلة فى: نشر العفة والفضيلة، وحماية المجتمع من كل مظاهر

الفسق والرذيلة، وترابط الأسر فيما بينها بالمصاهرة، وغير ذلك من الحكم والغايات النبيلة، يقول الحق سبحانه: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ● وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٣٢، ٣٣)، بل إن النبى ﷺ حثَّ الشبابَ على تحقيق سنة الزواج مبينًا منافعه وفوائده، حيث قال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ» (متفق عليه).

> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
>
> **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**
>
> متفق عليه
>
> الباءة: القدرة على النكاح، وجاء: حماية

وفى المقابل نهى الإسلام عن كل الأمور التى تتعارض مع عمارة الكون، ومنها التبتل والانقطاع عن النساء، فقد منعه الرسول ﷺ ونهى عنه، قال سَعْدُ ابْنُ أَبِى وَقَّاص رضي الله عنه: (رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ ابْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لَاخْتَصَيْنَا) (رواه البخارى)، وعن أَنَس بن مَالِك رضي الله عنه قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِىِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِىِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِىِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّى أُصَلِّى اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّى لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّى أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّى وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِى فَلَيْسَ مِنِّى» (رواه البخارى).

ولمَّا كان الاستقرار الأسرى ـ بكل ما تحمله الكلمة من معنى للهدوء والسكون والطمأنينة ـ مطلبًا شرعيًا ودنيويًا منشودًا وضع الإسلام أسسًا شرعية سليمة ومنهجاً قويمًا، حتى تدوم العشرة والألفة بين الزوجين، ويتحقق الاستقرار، ومن أهم هذه الأسس:

● الاختيار الصحيح لكل من الزوجين للآخر، فقد أوصى النبى ﷺ عند اختيار الزوج لزوجه بحسن الاختيار، لأنها المربية الصالحة، المحافظة على ماله وعرضه، وهى خير متاع الدنيا، فعن عبد الله بن عمرو (رضى الله عنهما) قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»، فعندما تُبنى الأسر على حسن الاختيار يتحقق السكن والاستقرار، والودّ المتصل، والتراحم المتبادل، حينئذ يكون الزواج أشرف النعم، وأبركها أثرًا.

ولا بد وأن يكون ذلك الاختيار على أساس من الدين والخلق، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ» (رواه البخارى). وفى رواية عند الإمام أحمد عَنْ أبى سعيد الخُدْرِىِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى إِحْدَى خِصَالٍ ثَلَاثٍ: تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى مَالِهَا، وَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى جَمَالِهَا، وَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى دِينِهَا، فَخُذْ ذَاتَ الدِّينِ وَالْخُلُقِ تَرِبَتْ يَمِينُكَ» (رواه أحمد).

فالزوجة لها دور عظيم فى رعاية الأسرة، فبصلاحها تستقر الأسرة، بل يستقر المجتمع كله، وبفسادها تنهار الأسرة.

يقول الشاعر :

الأمُّ مدرسةٌ إذا أعددتَها ... أعددتَ شعبًا طيبَ الأعراقِ

كذلك أوصى النبى ﷺ عند اختيار الزوجة لزوجها بأن يكون الاختيار على أساس الدين والخلق، فعَنْ أَبِى حَاتِمٍ الْمُزَنِىِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الأَرْضِ وَفَسَادٌ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ» (رواه الترمذى).

فجعل النبى ﷺ الدين والخلق أهم صفات الزوج الصالح، ومن ثم فالاختيار الصحيح على أساس الدين يحقق للأسرة الاستقرار الذى يؤدى إلى تقدم المجتمع.

● وكذلك من أسس استقرار الأسرة: أن يراعى كل فرد من أفرادها ما له من حقوق وما عليه من واجبات، فقد جعل الإسلام لكل من الزوجين على الآخر حقوقًا تتساوى مع ما عليه من واجبات، قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة البقرة: ١٢٨)، فلا يطلب أى فرد من أفراد الأسرة بحقٍّ قبل أن يؤدى ما عليه من واجب، حتى تتحقق المودة والرحمة والسكينة التى تجعل الأسرة مستقرة.

ولقد وضح الإسلام هذه الحقوق والواجبات، وقسمها بين جميع أفراد الأسرة، وألزم جميع أفرادها بضرورة المحافظة عليها، فمنها الحقوق المادية، ومنها الحقوق المعنوية والتربوية، ومنها المشاركة البناءة فى أداء المسئوليات، وضرورة التعاون المشترك بين جميع أفراد الأسرة فى أعباء الحياة ومتطلباتها، ففى الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّهُ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِى أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِى بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِىَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِى مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَحْسِبُ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ: «وَالرَّجُلُ فِى مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (رواه البخارى)، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ» (رواه أحمد).

ولقد سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟، قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوِ اكْتَسَبْتَ، وَلاَ تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلاَ تُقَبِّحْ، وَلاَ تَهْجُرْ إِلاَّ فِى الْبَيْتِ» (سنن أبى داود).

وها هى أسماء بنت يزيد الأنصارية تسأل رسول الله ﷺ فتقول: (... إِنَّا مَعْشَرَ النِّسَاءِ مَحْصُورَاتٌ مَقْصُورَاتٌ، قَوَاعِدُ بُيُوتِكُمْ، وَمَقْضَى شَهَوَاتِكُمْ، وَحَامِلاَتُ أَوْلاَدِكُمْ، وَإِنَّكُمْ مَعَاشِرَ الرِّجَالِ فُضِّلْتُمْ عَلَيْنَا بِالْجُمُعَةِ الْجَمَاعَاتِ، وَعِيَادَةِ الْمَرْضَى، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ، وَالْحَجِّ بَعْدَ الْحَجِّ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ الله، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا أُخْرِجَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا وَمُرَابِطًا حَفِظْنَا لَكُمْ أَمْوَالَكُمْ، وَغَزَلْنَا لَكُمْ أَثْوَابًا، وَرَبَّيْنَا لَكُمْ أَوْلاَدَكُمْ، فَمَا نُشَارِكُكُمْ فِى الأَجْرِ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: فَالْتَفَتَ النَّبِىُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ كُلِّهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَلْ سَمِعْتُمْ مَقَالَةَ امْرَأَةٍ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْ مَسْأَلَتِهَا فِى أَمْرِ دِينِهَا مِنْ هَذِهِ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا ظَنَنَّا أَنَّ امْرَأَةً تَهْتَدِى إِلَى مِثْلِ هَذَا،

فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: «انْصَرِفِي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ، وَأَعْلِمِي مَنْ خَلْفَكِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ حُسْنَ تَبَعُّلِ إِحْدَاكُنَّ لِزَوْجِهَا، وَطَلَبَهَا مَرْضَاتِهِ، وَاتِّبَاعَهَا مُوَافَقَتَهُ تَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ»، قَالَ: فَأَدْبَرَتِ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تُهَلِّلُ وَتُكَبِّرُ اسْتِبْشَارًا) (شعب الإيمان).

ومن ثمّ فإن نجاح الأسرة المسلمة واستقرارها مرهون بالمحافظة على الحقوق والواجبات بين جميع أفرادها، وتجنب تجاهلها أو التفريط فيها.

● ومن الأمور التى تساعد على استقرار الأسرة: انتشار الرحمة بين أفرادها، فإن الرحمة من أهم دعائم البيت السعيد، وأساس متين لأى أسرة ناجحة، وهى من القيم التى ينبغى لكلا الزوجين أن يتحلى بها فى علاقته مع الآخر حتى تنعم الأسرة بالسكينة والمودة والاستقرار، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم:٢١). فالتراحم بين جميع أفراد المجتمع مرهون بتحقيقه فى الأسرة. ولنا فى رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فقد كان ﷺ أنموذجًا فى الرحمة بأهل بيته كلهم على السواء، أزواجه وأولاده وحتى أحفاده وخادمه، فكان ﷺ خير الناس لأهله.

فالرحمة إذا نُزعت من البيت كانت الحياة الأسرية شقاء ودمارًا، فينبغى على كل أفراد الأسرة العمل بجدية على تحقيق الرحمة.

● وكذلك من أسس استقرار الأسرة: المعاشرة بالمعروف، وهذا ما أمرنا به ربنا سبحانه وتعالى، وأوصانا به نبينا ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (سورة النساء: ١٩)، فكل من الزوجين مطالب بإحسان الصلة بالآخر حتى يسود الأسرة جو من المودّة والتعاون يتحقق معه مقصد هذه العلاقة، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧)، وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (الروم:٢١)، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (الأعراف: ١٨٩).

ومما تتم به المعاشرة الحسنة: الكلمة الطيبة، والفعل المحمود، والتسامح، والتعاون، والاحترام، والتشاور، وحفظ الأسرار، واجتناب دواعى النزاع والشقاق، وسائر الخصال الحميدة.

ولقد ضرب لنا النبى ﷺ وأصحابه الكرام (رضوان الله عليهم) أعظم الأمثلة فى حسن العشرة ، ففى حديث الأسود، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ (رضى الله عنها) مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ» (صحيح البخارى)، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضى الله عنهما) قَالَ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لِلْمَرْأَةِ، كَمَا أُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي الْمَرْأَةُ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨)، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَسْتَنْظِفَ جَمِيعَ حَقِّي عَلَيْهَا، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (البقرة: ٢٢٨) [المصنف لابن أبى شيبة).

ومن معانى حسن العشرة بين الزوجين: عدم إثقال أحد الزوجين كاهل شريكه بالمشاكل التى يعانى منها الآخر، فحسن العشرة كلمة جامعة تضم كل معانى الخير للحياة الزوجية الطيبة، والإسلام يحرص كل الحرص على أن تقوم الرابطة الزوجية على المحبة، والتفاهم والانسجام، وهذه هى أهم خطوة فى إصلاح المجتمع.

● ومن الأمور التى تساعد على استقرار الأسرة : مشاورة كل من الزوجين للآخر، فالتشاور بين الزوجين يزيد الألفة والمحبة بينهما، حتى فى مسألة قد تبدو أمام البعض صغيرة وهى مسألة فطام الرضيع قبل عامين، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ (البقرة:٢٣٣)، فالشورى بين الزوجين، بل بين جميع أفراد الأسرة تمثل منهج حياة فى ديننا الإسلامى، والأمر بها ورد بصيغة العموم فى كتاب الله عز وجل، قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (سورة الشورى:٣٩)، وهذا ما طبقه الرسول ﷺ

عمليًا، وفى السنة النبوية مواقفُ عدة لمشاورته ﷺ لبعض أزواجه، منها: ما حدث بينه ﷺ وبين زوجه السيدة أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) يوم الحديبية، فبعد أن انتهى النبى ﷺ من إبرام عهد الصلح بينه وبين أهل مكة قَالَ لأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا»، قَالَ راوى الحديث: فَوَ اللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ ﷺ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِىَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِىَّ اللهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا» (صحيح البخارى). قال الحسن البصرى رَحِمَهُ اللهُ: إنْ كان رسول الله ﷺ لفى غنى عن مشورة أم سلمة، ولكنه أحبّ أن يقتدى الناس فى ذلك، وأن لا يشعر الرجل بأى غضاضة فى مشاورة النساء.

● كذلك من أسس استقرار الأسرة: النفقة على جميع أفرادها، فهى حق من الحقوق التى أوجبها الإسلام على الراعى، قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء:٣٤)، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ (البقرة : ٢٣٣)، وقال تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ (الطلاق : ٧).

● ومن الأمور التى تساعد على استقرار الأسرة: تحقيق العدل بين جميع أفرادها، فحسن التربية الدينية للأبناء، وتعليمهم شعائر الدين، والعدل بينهم عامل أساسى فى استقرار الأسرة. فقد حذر النبى ﷺ من التفريق بين الأبناء فى المعاملة، حفاظًا على الترابط الأسرى، والتآلف بين جميع أفرادها، فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: (تَصَدَّقَ عَلَىَّ أَبِى بِبَعْضِ مَالِه، فَقَالَتْ أُمِّى عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَانْطَلَقَ أَبِى إِلَى النَّبِىِّ ﷺ لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتِى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا فِى أَوْلاَدِكُمْ»، فَرَجَعَ أَبِى، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ» (رواه مسلم).

إن الإسلام قد نظر إلى الأسرة نظرة تقدير واحترام، فهى فى نظره رباط مقدَّس له غايات سامية، حرص الإسلام على إبقائه قويًا متماسكًا، يحقِّق أهدافه ويصمد أمام الشدائد والمحن، ولهذا أولاها الإسلام عناية فائقة بجملة من الآداب من أجل أن يكون البناءُ متماسكًا قويًّا، يحافظ على استقرار المجتمع وحمايته من كل مظاهر التطرف والتشدد والعدوان، فاهتم الإسلام بالأسرة وأسَّس لاستقرارها، تحقيقًا للترابط بين أفراد الأمة، وتحقيقًا للتقدم والرخاء .

وإذا استقرت الأسرة شعر جميع أفرادها بالأمن فى جميع صوره ـ النفسى والبدنى والاجتماعى والاقتصادى ـ مما ينعكس ذلك على أمن المجتمع وسلامته. فالإسلام اعتبر أن استقرار الأسرة وسيلة فعّالة لتحقيق الأمن المجتمعى من الفساد والفوضى، فبداية الأمن المجتمعى من الأسرة أولا، ثم المدرسة، ثم المجتمع.

فالأسرة هى المدرسة الأولى التى يتعلم فيها الطفل الحق والباطل، والخير والشر، ويتعلم تحمل المسئولية، وحرية الرأى، وفى الأسرة تتحدد عناصر شخصية الطفل، وتتميز ملامح هويته، ومن ثم يكون مواطننا صالحا فى مجتمع صالح.

فالأمن لا يُفرض بالقوة فحسب، وإنما ينبع من أفراد المجتمع، من خلال ضمائرهم، وللأسرة الدور الرئيسى فى تكوين الضمير وتنشئته فى نفوس أفرادها.

الإسـلام... والطـب

لا غنى للناس عن الطب
لصحة أبدانهم ولحالهم ومعاشهم وقوتهم على الصراع مع الحياة، وقوتهم على أداء فرائضهم الدينية ومصالحهم الدنيوية، ودفاعهم عن أنفسهم وحياتهم، ودفاعهم عن أوطانهم ولهذا قال الإمام الشافعي: «صنفان لا غنى بالناس عنهما، العلماء لأديانهم، والأطباء لأبدانهم»(١).

د. عامر يس النجار*

فثمرة الطب حفظ صحة الإنسان، ووقايته من الأمراض، ودفع الضرر عنه وبقدر نجاح الطبيب في علاجه فهو يساعد على حفظ الجسم والنفس، وحفظ النفس من أسمى مقاصد الشريعة الإسلامية يقول العز بن عبد السلام: «والطب كالشرع، وُضع لجلب مصالح السلامة والعافية، ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام»(٢).

وهنا نلاحظ أن العز بن عبد السلام رحمه الله، قد ساوى بين علم الطب والعلوم الشرعية على أساس أنهما يحييان النفوس والقلوب والأبدان. ومن أجل ذلك يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: «لا أعلم علما بعد الحلال والحرام أنبل من الطب»(٣).

وكأن كلام الشافعي مقتبس من مشكاة النبوة، فرسول الله ﷺ يقول: «العلم علمان، علم الأبدان، وعلم الأديان» (أخرجه الدارمي).

والطب علم لا يستغنى عنه فهو من فروض الكفايات كما أشار إلى ذلك الغزالي في إحيائه حيث قال: «أما فرض الكفاية فهو علم

* أستاذ بجامعة قناة السويس.

لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا، كالطب إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان»[٤].

فعلم الطب من فروض الكفايات التى يجب على بعض أفراد الأمة القيام بها، وتأثم الأمة جميعها بتركه. وقد حث رسول الله ﷺ الناس جميعًا على التداوى واستعمال الدواء والعلاج.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال:
" مَا أنْزَلَ اللّهُ دَاءً إلّا أنْزَلَ لَهُ شِفَاءً "
رواه البخاري

ولقد حرص المسلمون الأوائل على تعلم الطب والنبوغ فيه؛ لأن رسول الله ﷺ دعاهم إلى محاولة اكتشاف أدوية الأمراض حين قال ﷺ: «إن الله لم ينزل داء إلا وله دواء» فحثهم ذلك على محاولة البحث والتنقيب عن العلاجات المختلفة لشتى الأدواء، ولهذا ازدهر الطب ازدهارًا بالغًا عند المسلمين فى العصور الإسلامية المختلفة.

ولقد دعانا رسول الله ﷺ إلى الأخذ بالأسباب وضرورة التداوى؛ فالتداوى سنة عن رسول الله ﷺ حيث قال: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله» (أخرجه النسائى وصححه ابن حبان والحاكم).

فالتداوى سنة عن رسول الله ﷺ، والأدوية من الأسباب التى خلقها الله تعالى. فلا تناقض ولا تباين أو اختلاف بين الأخذ بالأسباب وبين التوكل والإيمان بالقضاء والقدر. فعن أسامة بن شريك الثعلبى قال: كنت عند النبى ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتداوى؟ فقال: «نعم يا عباد الله تداووا فإن الله (عز وجل) لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد. قالوا: ما هو؟ قال: الهرم» (رواه أحمد والترمذى وأبو داود وابن ماجه والحاكم. وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح).

وفعل رسول الله ﷺ يؤكد هذا المعنى فقد كان يتداوى، وأيضًا يأمر أصحابه بالتداوى، وكذا يرسل الأطباء إليهم، فعن جابر قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبى ابن كعب طبيبًا فقطع منه عرقًا ثم كواه عليه. (رواه مسلم).

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: «إن رسول الله ﷺ كان يسقم (أى يمرض) عند آخر عمره – أو فى آخر عمره ـ وكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الأنعات وكنت أعالجها له» (رواه أحمد).

ولقد كان يعالج نفسه أحيانًا عن طريق الحجامة، فعن ابن عباس رضى الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ احتجم وهو محر م فى رأسه من شقيقة كانت به» (رواه البخارى).

فليس هناك تناقض كما قلنا بين التداوى والإيمان بالقدر فعن أبى خزامة قال: «قلت: يارسول الله، أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ فقال: «هى من قدر الله» (رواه الترمذى وقال: صحيح)، فالمؤمن كما يقول – صاحب الأحكام النبوية فى الصناعة الطبية، «يعتقد أن الله تعالى هو الشافى وأن التداوى من قدر الله، وأن الشفاء من قدر الله أيضًا يحصل عند الدواء بإذن الله. فالأخذ بالتداوى كالتداوى والتحصن من الأعداء، وقد أمرنا بهما مع أن الأجل لا يتغير والمقادرير لا تتقدم ولا تتأخر.. وربما قال جاهل منكر للتداوى: إن كان الشفاء قد قدر فالتداوى لا يفيد، وإن لم يكن قدر فكذلك. وأيضًا فإن المرض حصل بقدر الله وقدر الله لا يُدفع ولا يرد منه وهذا السؤال هو الذى أورده الأعراب على رسول الله ﷺ بقولهم: «أنتداوى؟». وأما أفاضل

الصحابة فأعلم بالله وحكمته وصفاته من أن يوردوا مثل هذا، وقد أجابهم النبى ﷺ بما شفى وكفى. فقال عن هذه الأدوية والرقى واكتفى -: هى من قدر الله، فما خرج شىء عن قدره بوجه، وهذا كرد قدر الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها، وكرد قدر العدو بالجهاد، وكل من قدر الله، الدافع، والمدفوع، والدفع!»(٥).

وهذا المعنى العظيم وهو أن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع الإيمان بالقدر والتوكل على الله يبينه، ما روى عن عمر رضي الله عنه فى قصة الطاعون التى ذكرها الإمام البخارى فى «صحيحه». فقد روى أنه لما قصد عمر وأصحابه الشام وانتهوا إلى «الجابية» بلغهم أن به موتًا عظيمًا ووباءً ذريعًا، فافترق الناس فرقتين، فقال بعضهم: لا ندخل على الوباء فنلقى بأيدينا إلى التهلكة، وقالت طائفة أخرى: بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من الموت، فنكون كمن قال الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٣)، فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه فقال: نرجع ولا ندخل على الوباء، فقال له المخالفون فى رأيه: أتفر من قدر الله تعالى؟ قال عمر: نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله».

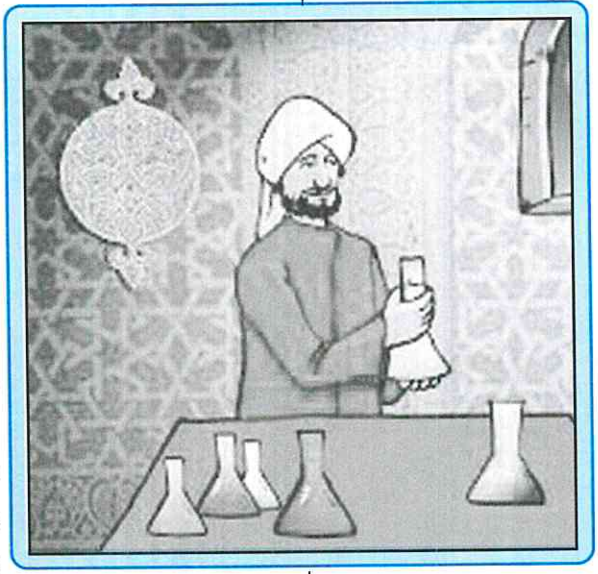

والحقيقة أن الإيمان بالقدر كما يقول الأستاذ عفيف طبارة: «يسوق معتقده دائمًا إلى السعى والعمل، فيرى منفعته فى السعى قائلاً: إن لم يثمر أحدهما فيستثمر الآخر، ومؤملاً خيرًا من أسرار القدر؛ لأن المقدر غير معلوم ولا أمارة له غير أفعاله وأعماله.. ومن حكمه السامية أن الله دعا الأنفس البشرية للإيمان بالقدر لتكون مخففًا لجزعها إذا نزلت بها النوائب، ومثبتًا لها عند ملاقاة المصائب وتجشم المصاعب، فإذا هاجم اليأس قلب امرئ من مطلب يطلبه، أو قامت العقبات دون رغبة يرغبها، قام الإيمان بالقدر والاعتماد على الله ليجزيه.. كما أنه عند التوفيق فى أعماله، وما يطرأ عليه من مفاجآت سارة لا ينسى أن يزينها بالتواضع، ولا يفقد رشده من شدة الفرح، وإلى هذا يشير القرآن الكريم: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ● لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (الحديد: ٢٢، ٢٣).

والاعتقاد بالقدر تتبعه صفات الشجاعة والبسالة والجود فالذى يعتقد بأن الأجل محدود، والرزق مكفول، والأمور بيد الله يصرفها كما يشاء، كيف يرهب الموت فى الدفاع عن حقه؟ وإعلاء كلمة أمته وملته، وكيف يخشى الفقر حين ينفق من ماله فى تعزيز الحق وفعل الخير حسب الأوامر الإلهية».

الهوامش:

(١) الذهبى، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قيماز، الطب النبوى، تحقيق أحمد رفعت البدراوى، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٦، صفحة ٢١٩.

(٢) ابن عبد السلام، أبو محمد عبد العزيز السلمى الشافعى، قواعد الأحكام فى مصالح الأنام، دار الشروق - مصر ١٣٨٨ هـ جـ١ صفحة ٤٠.

(٣) الذهبى، الطب النبوى ص ٢٢٨.

(٤) الغزالى، الإحياء، طبعة مطبعة مصطفى البابى الحلبى، مصر ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، جـ١ ص١٦.

(٥) الأحكام النبوية فى الصناعة الطبية.

نافذة على العالم

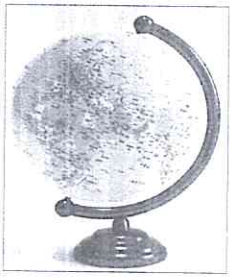

إعداد:

د. أحمد فاروق الهلباوى

اليابان

لا تزال أعداد المسلمين بـ«اليابان» تشهد ارتفاعًا مستمرًا حيث بلغ عددهم وفقًا لبعض التقديرات الخاصة غير الحكومية إلى ما بين ٨٠ إلى ١٢٠ ألفًا. يشكل المواطنون الأصليون منهم ١٠٪، وذلك بعد أن كان عدد المسلمين ٣٠ ألفًا فحسب عام ١٩٨٢م

ويوجد بـ«اليابان» حاليًا نحو ٦٠ جمعية إسلامية، من بينها ٢٠ جمعية يابانية أصلية، بالإضافة لوجود العديد من المؤسسات الإسلامية: مثل «المركز الإسلامى باليابان»، و«جمعية مسلمى اليابان»، و«مسجد طوكيو»، و«اتحاد السلام الإسلامى اليابانى»... وغيرها، وهذا فى ظل تنامى الاستجابة للمتطلبات المختلفة التى تتطلبها زيادة الكثافة السكانية الإسلامية.

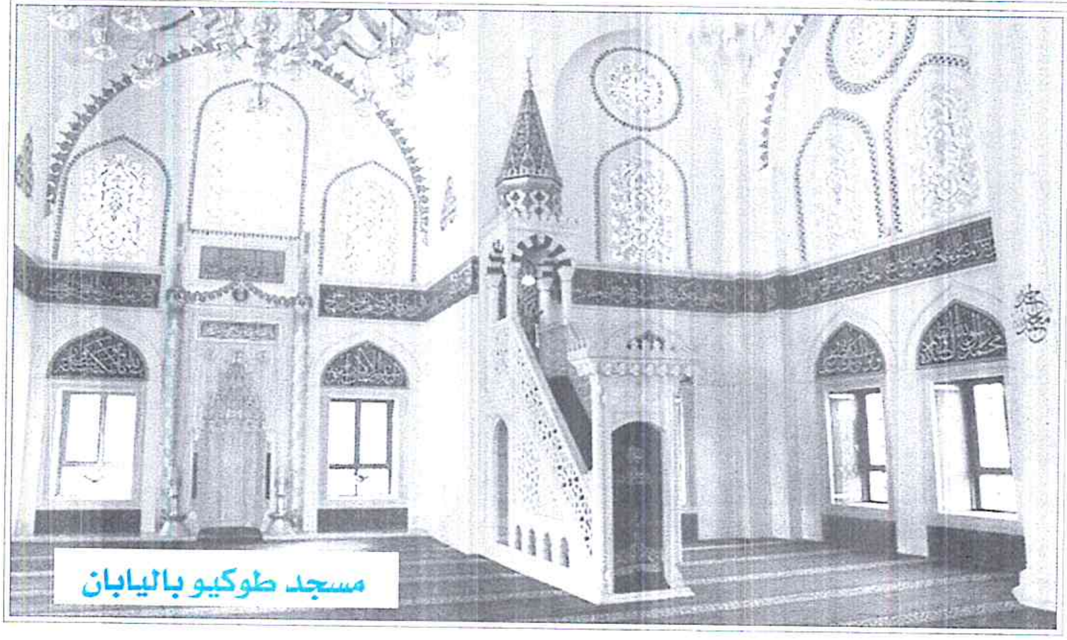

مسجد طوكيو باليابان

يُواصل «مسجد كامى» - أحد أكبر مساجد «اليابان» - فتح أبوابه أمام الزيارات المجانية التى يُنظمها فى عطلات نهاية الأسبوع، والتى بدأت فعاليتها منذ إبريل عام ٢٠١٤: حيث يحصل الزوَّار على تعريفٍ وشرْحٍ للإسلام وأركانه.

وقد أدت الأحداث العالمية المعاصرة إلى ازدياد رغبة المواطنين فى التعرف على الإسلام، وخاصةً أن بعضهم ذكر أنه لم يسمع عنه من قبلُ، وبعد التعرف عليه أصبحوا يرغبون فى الاطِّلاع على المزيد من تعاليمه وثقافته.

وقد اتخذت «اليابان» خطوات لتعزيز توفير البيئة الإسلامية الحلال، وذلك فى ظل ارتفاع نسبة السياحة ما بين عامى ٢٠٠٤ و٢٠١٣ إلى ٧,٢٪، واستمرار توفير المرافق التى تُراعى متطلبات المسلمين التى تتوافق مع الشريعة: مثل: أماكن الوضوء والصلاة والأطعمة الحلال.

أعلن مطار «شوبو» بمدينة «ناجويا» عن خططه لتوفير غرف للصلاة والأطعمة الحلال، وذلك تلبيةً

لحاجة المسافرين المسلمين، على إثر فتح المطار خط طيران جديد بينه وبين «ماليزيا»، وذلك ليأتى فى قائمة المطارات اليابانية التى تلبى متطلبات المسلمين الدينية.

وتأتى هذه الخطوات فى إطار وفود العديد من المسلمين على «اليابان» من «ماليزيا» و«إندونيسيا»، وغيرها من بلدان شرق آسيا، وفى إطار استعداد «اليابان» لأولمبياد ٢٠٢٠، ومن أجل إيجاد بيئة صديقة للمسلمين الوافدين؛ حيث يبلغ المسلمون اليابانيون ١٢٠ ألف نسمة من ١٢٧ مليون يابانى بعد أن كانوا ألف نسمة فقط عام ١٩٣٠م.

وللمرة الأولى فى تاريخ دولة بالشرق الأقصى، استضافت «جامعة دوشيشا» بمدينة «كيوتو» اليابانية معرضًا عن الإسلام والتعريف به، باسم «رسالة الإسلام من عُمان».

ووفقًا لتصريحات البروفيسور «كتاشيرو كوهارا» ـ مدير مركز الدراسات التوحيدية ـ كان الهدف من المعرض نشر معانى التعايش المشترك والتسامح، وتلبية رغبة اليابانيين فى التعرف الواسع على الإسلام.

وأكد «كوهارا» أن المعرض يمنح اليابانيين فرصة للتعرف الموسع على الإسلام، وبيان جهود سلطنة «عمان» وإسهامها فى نشر التسامح الإسلامى، وذلك فى إطار حملة المعارض التى تُنظمها فى عدد من بلدان العالم.

قامت العديد من الجامعات اليابانية بتضمين قوائم الأطعمة الحلال لديها، وذلك لتلبية رغبات الطلاب المسلمين الذين تتزايد أعدادهم بها.

وتتضمن القوائم عناصر موسومة بلفظ «حلال»؛ حيث قدمت جامعة «ياماناشى» نحو ١٠ وجبات حلال بنهاية عام ٢٠١٣م.

وتضم الجامعة ٥٠ طالبًا مسلمًا من «إندونيسيا» و«ماليزيا» و«بنجلاديش»، وتعتبر واحدة من بين ١٩ جامعة تقدم الأطعمة الحلال للطلاب المسلمين بـ«اليابان»؛ حيث يأتى ذلك ضمن خطة الحكومة لمضاعفة أعداد الطلاب الأجانب بحلول عام ٢٠٢٠م، ويشكل الطلاب المسلمون نحو ٥١٠٠ طالب.

شروط المفسر وآدابه

لما كان علم التفسير أشرف العلوم وأفضلها؛ لأن محوره القرآن الكريم وهو أشرف الكلام وأعظمه كان لا بد لمن يشتغل بذلك العلم ويعمل فيه ويقوم به أن يكون ذا حيثية خاصة وقدرة معينة ومعرفة وافية بعلوم كثيرة ومعارف عديدة، فضلا عن الموهبة الخاصة التى يجب أن يتميز بها عمن سواه، وقد اشترط العلماء للاشتغال بالتفسير شروطا أهمها المعرفة بالقرآن الكريم والسنة النبوية وذلك أن القرآن يفسر بعضه بعضا فما أجمل منه فى موضع قد فسر فى موضع آخر وما اختصر فى مكان قد بسط فى موضع آخر، والسنة شارحة للقرآن ومبينة له بنص القرآن: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤)، وقد قال الشافعى ﷺ: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (النساء: ١٠٥) الآيات، وقال ﷺ: «ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه» يعنى السنة.

د. محمد نبيل غنايم*

ويأتى بعد ذلك فى الأهمية المعرفة بأقوال الصحابة وتفسيرهم للقرآن فإنهم أدرى بذلك لما شهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، وعليه بعد ذلك أن يكون صحيح الاعتقاد، وملازمًا سنة الدين، فإن من كان مغموصًا عليه فى دينه لايؤتمن على الدنيا. قالوا: ومن شروطه أيضا: صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئا من عدة الإعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام. وقد أجمل الزركشى تلك الشروط وبينها فى أربعة فقال: للناظر فى القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة وأمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن النبى ﷺ وهذا الطراز المعلم لكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع فإنه كثير.

الثانى: الأخذ بقول الصحابى فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبى ﷺ.

الثالث: الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل بلسان عربى وقد توقف آخرون فى ذلك؛ بل كرهوا تفسير القرآن بمطلق اللغة.

* أستاذ الشريعة الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

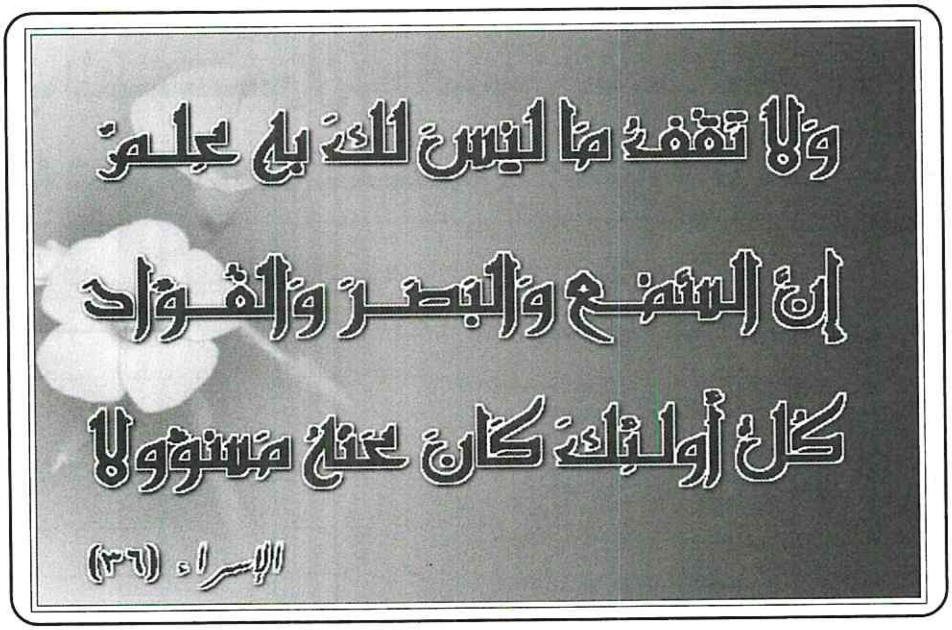

الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع وهذا هو الذى دعا به النبى ﷺ لابن العباس حيث قال: «اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل»(١).

ويفهم من كلام الزركشى ههنا فى بيان الشرائط الأخذ بنوعى التفسير الشهيرين: المأثور والرأى أو الرواية والدراية ولذا فقد أثيرت هنا قضية التفسير بالرأى، قال السيوطى: (ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأى والاجتهاد من غير أصل قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ (الإسراء: ٣٦) وقال: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٣) وقال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل: ٤٤) فأضاف البيان إليه، وقال ﷺ: **«من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»** وقال: **«من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»**، وقال البيهقى فى الحديث الأول: إن صح أرادوا الله أعلم الرأى الذى يغلب من غير دليل قام عليه، وأما الذى يسنده برهان فالقول به جائز.

فاتضح من ذلك أن الممنوع فى التفسير بالرأى الذي لا دليل له ولا مستند لا من الشرع ولا من اللغة، أما رأى له دليل ومستند فغير ممنوع، فما ورد بيانه عن صاحب الشرع ففيه كفايته عن فكر من بعده، وما لم يرد عنه بيانه ففيه حينئذ فكرة أهل العلم بعده ليستدلوا بما ورد بيانه على ما لم يرد، قال: وقد يكون المراد به من قال فيه برأيه من غير معرفة منه بأصول العلم وفروعه فتكون موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة، وقال الماوردى: «إن صح الحديث فتأويله أن من تكلم فى القرآن بمجرد رأيه ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق وإصابته اتفاق إذ الغرض أنه مجرد رأى لا شاهد له». وقال أبو الليث: «النهى إنما انصرف إلى المتشابه منه لا إلى جميعه كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٧)؛ لأن القرآن إنما نزل حجة على الخلق فلو لم يجب التفسير لم تكن الحجة بالغة، فإذا كان كذلك لجاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره وأما من لم يعرف وجوه اللغة فلا يجوز أن يفسره إلا بمقدار ما سمع فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير(٢)، ومن هذا نعلم أن الرأى المذموم هو الرأى المجرد القائم على الهوى بلا دليل ولا مستند، أما الرأى القائم على دليل والمستند إلى حجة فلا بأس به، بل هو ضرورى لفهم القسم الأكبر من القرآن الذى هو حجة على الناس.

من آداب المفسر أن يكون ملمًا بالعلوم التى تعينه على أداء مهمته بالصورة الصحيحة

هذا ومن آداب المفسر أن يكون ملما بالعلوم التى تعينه على أداء مهمته والقيام بالتفسير بالصورة الصحيحة وقد أحصى العلماء هذه العلوم فى خمسة عشر علمًا:

أحدها: اللغة: لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ولا يكفى فى حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركًا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر. قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب.

الثانى: النحو: لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره.

الثالث: التصريف: لأن به تعرف الأبنية والصيغ.

الرابع: الاشتقاق: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح هل من السياحة أو المسح.

الخامس والسادس والسابع: المعانى والبيان والبديع وهى علوم البلاغة العربية: لأنه بالأول يعرف خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى وبالثانى خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها وبالثالث وجوه تحسين الكلام.

الثامن: علم القراءات: لأنه تعرف به كيفية النطق بالقرآن؛ وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

التاسع: أصول الدين: لما فى القرآن من الآية الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى فالأصولى يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز.

العاشر: أصول الفقه: إذ به يعرف وجوه الاستدلال على الأحكام والاستنباط.

الحادى عشر: أسباب النزول والقصص: إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه.

الثانى عشر: الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره.

الثالث عشر: الفقه.

الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم.

الخامس عشر: علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم وإليه الإشارة بما جاء فى الأثر «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم».

فهذه العلوم التى هى كالآلة للمفسر لا يكون مفسرًا إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرًا بالرأى المنهى عنه، وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرًا بالرأى المنهى عنه(٣). وتلك هى العلوم التى أشار إليها القدماء وقد قال الزرقانى(٤) عنها: إنما هى لتحقيق أعلى مراتب التفسير. أما المعانى العامة التى يستشعر منها المرء عظمة مولاه والتى يفهمها الإنسان عند إطلاق اللفظ الكريم فهى قدر يكاد يكون مشتركا بين عامة الناس وهو المأمور به للتدبر والتذكر، لأنه سبحانه سهله ويسره وذلك أدنى مراتب التفسير.

ومن خير ما قيل فى هذا المجال ما أشار إليه الشيخ محمد عبده وخلاصته أن للتفسير مراتب أدناها: أن يبين بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله وتنزيهه ويصرف النفس عن الشر ويجذبها إلى الخير. وهذا متيسر لكل إنسان بتيسير الله عز وجل وقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٧) ويتبين ذلك من خشوع جميع طبقات

يجب أن يكون المفسر من أهل الإيمان والتقوى والتواضع والزهد

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)﴾

الناس عند تلاوة القرآن وظهور الجلال والعظمة على مشاعرهم مما يؤكد فهمهم إجمالا لما يوحيه إليهم. وأما المرتبة العليا فى التفسير فهى لا تتم إلا بأمور.

أحدها: فهم حقائق الألفاظ المفردة التى أودعها القرآن وهذا ما أشار إليه القدماء بعلوم اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق.

ثانيها: فهم أساليب العرب الرفيعة وذلك بممارسة الكلام البليغ ومزاولته مع التفطن لنكته ومحاسنه؛ وذلك هو علوم البلاغة والإعجاز والنحو.

ثالثها: علم أحوال البشر للوقوف على أخبارهم وأسرار قوتهم وضعفهم وعزهم وذلهم؛ من أهم ما يحقق ذلك علم التاريخ.

رابعها: العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن فيجب على المفسر القائم بهذا الفرض الكفائى أن يعلم ما كان عليه الناس فى عصر النبوة من العرب وغيرهم؛ لأن القرآن ينادى بأن الناس كلهم كانوا فى شقاء وضلال وأن النبى ﷺ بعث به لهدايتهم وإسعادهم وكيف يفهم المفسر ما قبحته الآيات من عوائدهم على وجه الحقيقة أو ما يقرب منها إذا لم يكن عارفًا بأحوالهم وما كانوا عليه.

خامسها: العلم بسيرة النبى ﷺ وأصحابه وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف فى الشئون دنيويها وأخرويها(٥). وهذا ما أشار إليه السابقون بعلوم أسباب النزول والناسخ وأصول الدين والفقه.

ومن جملة الآداب أن يكون المفسر من أهل الإيمان والتقوى والتواضع والزهد قال الزركشى: «اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معانى الوحى ولا يظهر له أسراره وفى قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصر على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض»(٦)، قلت: وفى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (الأعراف: ١٤٦). قال سفيان بن عيينة: «يقول: أنزع عنهم فهم القرآن»(٧).

الهوامش:

١ - بتصرف واختصار من الإتقان ج٢ ص ١٧٨، ١٧٩.

٢ - بتصرف من الإتقان ج٢ ص١٨٠.

٣ - انظر الإتقان ج٢ ص ١٨٠، ١٨١.

٤ - مناهل العرفان ج١ ص ٥١٩.

٥ - بتصرف من مناهل العرفان ج١ ص٥٢٠.

٦ - الإتقان ج٢ ص١٨١.

٧ - مختصر تفسير ابن كثير مج٢ ص٥٠.

فاسألوا أهل الذكر

دار الإفتاء المصرية

د/ شوقى علام
مفتى الجمهورية

الطمأنينة فى الركوع

هل الطمأنينة فى الركوع فرض تبطل الصلاة بتركه؟

الجواب: ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الطمأنينة فى الركوع بقدر تسبيحة فرض لا تصح الصلاة بدونها.

ومن أدلة الجمهور على وجوب الطمأنينة ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ، وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ثَلاثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا» (أخرجه البخارى فى صحيحه)، والله أعلم.

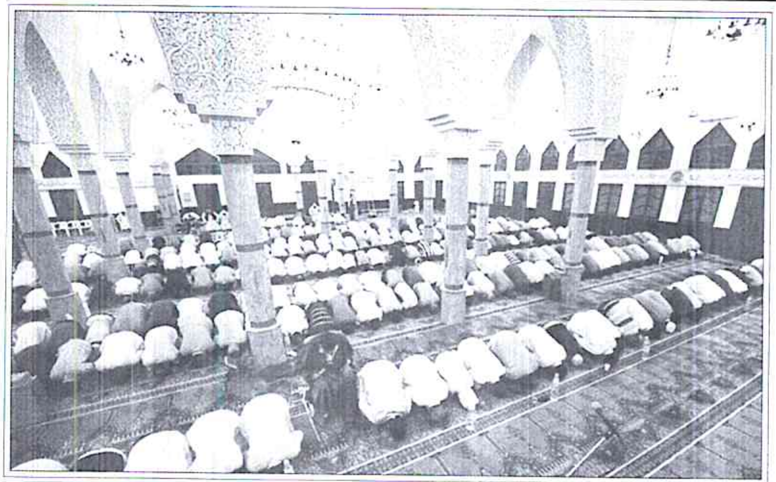

الكسل فى العبادة

أعانى من الكسل فى العبادة ماذا أفعل؟

الجواب: عليك بتقوى الله ـ عز وجل ـ، فكلما ابتعدت عن الذنوب والتقصير فى حق الله كلما يسر الله لك النشاط والقرب منه، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤).

وعليك بعدم التسويف والتأخير وعدم انتظار الغد لفعل ما تريده من خير، فالتسويف من عمل الشيطان، فإذا أردت إصلاح هذا الأمر فلتكن البداية من يومك هذا دون تأخير.

وعليك بهذا الدعاء فعن أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه قال: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ وَالهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ» (أخرجه البخارى فى صحيحه)، والله أعلم.

حكم الدعاء فى الركوع

ما حكم الدعاء فى الركوع؟

الجواب: الدعاء فى الركوع مستحب، فعَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ أَنَّهَا قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي».

(أخرجه البخارى فى صحيحه).

قال الخطيب الشربينى فى «مغنى المحتاج إلى معرفة معانى ألفاظ المنهاج» (١/ ٣٦٦): (وَيُسْتَحَبُّ الدُّعَاءُ فِي الرُّكُوعِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ «كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»)، والله أعلم

الانتظار بتطويل الركوع

لو أحس الإمام وهو فى الركوع بداخل يريد الصلاة معه هل يجوز له الانتظار بتطويل الركوع ليلحقه أم لا؟

الجواب: يجوز ذلك شرعا، فقد ذهب الشافعية فى الأصح عندهم إلى استحباب الانتظار بشروط هى:

أ ـ أن يكون المسبوق داخل المسجد حين الانتظار.

ب ـ أن لا يفحش طول الانتظار.

ج ـ أن يقصد به التقرب إلى الله لا التودد إلى الداخل أو استمالة قلبه.

د ـ أن لا يميز بين داخل وداخل؛ لشرف المنتظر أو صداقته أو سيادته، أو نحو ذلك؛ لأن الانتظار بدون تمييز إعانة للداخل على إدراك الركعة.

أما إذا أحس بقادم للصلاة خارج عن محلها، أو بالغ فى الانتظار كأن يطوله تطويلا لو وزع على جميع الصلاة لظهر أثره، أو لم يكن انتظاره لله تعالى، أو فرق بين الداخلين للأسباب المذكورة فلا يستحب الانتظار قطعا، بل يكره.

قال الإمام النووى فى «منهاج الطالبين» (ص٣٨): (وَيُكْرَهُ التَّطْوِيلُ لِيَلْحَقَ آخَرُونَ، وَلَوْ أَحَسَّ فِي الرُّكُوعِ أَوْ التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ بِدَاخِلٍ لَمْ يُكْرَهْ انْتِظَارُهُ فِي الأَظْهَرِ)، والله أعلم.

الفيزا كارت

ما حكم الفيزا كارت؟

الجواب: كروت الائتمان (الفيزا كارت) تعد قرضًا حسنًا فى المدة التى تعرف بفترة السماح والتى يُرَد فيها القرض كما هو، ثم تعد قرضًا ربويًا بعد فترة السماح، وعليه فيجوز الانتفاع بالقرض الحسن عن طريق كروت الائتمان فى فترة السماح التى يُرد فيها المبلغ كما هو، وقد تخصم مصاريف تحصيل أو نحو ذلك مما لا يعد فائدة، ويحرم أخذ هذا القرض بفائدة فى حالة تخطى فترة السماح؛ لحصول الشرط الفاسد، وهو ترتب الفائدة على القرض.

وأما الكروت الأخرى التى يقوم بها الشخص بالسحب من رصيده من غير احتساب فائدة فلا حرج فى استخدامها، فإنها لا تعدو أن تكون وسيلة من وسائل السحب من الرصيد، والله تعالى أعلى وأعلم.

حكم سجود التلاوة

ما حكم سجود التلاوة؟ وما صفته؟

الجواب: عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قرأ ابنُ آدمَ السَّجدةَ فسجد اعتزلَ الشَّيطانُ يبكى، يقولُ: يا ويْلَهُ - وفى روايةٍ: يا ويْلى -، أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسُّجودِ فسجدَ فلهُ الجنَّةُ، وأُمرتُ بالسُّجودِ فأبيْتُ فلىَ النَّارُ» (أخرجه مسلم فى صحيحه)، وعن عبد الله بن عمر - رضى الله تعالى عنهما - قال: «كان رسول الله ﷺ يقرأ علينا السورة فيها السجدة فيسجد ونسجد» (أخرجه البخارى فى صحيحه).

- حكم سجود التلاوة: سجود التلاوة سنة مؤكدة عقب تلاوة آية السجدة؛ للأحاديث المذكورة وغيرها، وهو سنة مؤكدة فى الصلاة وفى غير الصلاة، فلا يترتب على تركها إثم، ولكن الأفضل والأولى فعلها.

- شروط صحة سجود التلاوة: يشترط لصحة سجود التلاوة: الطهارة من الحدث والخبث فى البدن والثوب والمكان؛ لكون سجود التلاوة صلاة، أو جزءًا من الصلاة، أو فى معنى الصلاة.

فيشترط لصحته الطهارة التى شرطت لصحة الصلاة، وكذلك يشترط استقبال القبلة، وستر العورة.

- كيفية سجود التلاوة: يحصل سجود التلاوة بسجدة واحدة، وتكون بين تكبيرتين. ويستحب أن يختم بتسليمتين إذا كان السجود خارج الصلاة؛ خروجًا من خلاف من أوجب التسليم، وهم الشافعية والحنابلة فى الراجح عندهم.

- ما يقال فى سجود التلاوة: من يسجد للتلاوة إن قال فى سجوده للتلاوة ما يقوله فى سجود الصلاة جاز، وكان حسنا، وسواء فيه التسبيح والدعاء، ويستحب أن يقول فى سجوده ما روت عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت: كان رسول الله ﷺ يقول فى سجود القرآن: «سجد وجهى للذى خلقه، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته» (أخرجه الترمذى فى سننه)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، وإن قال: «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لى بها عِنْدَكَ أجرًا، وضَعْ عنى بها وزرًا، واجعلْها لى عِنْدَكَ ذُخْرًا، وتقبلْها منى كما تقبلْتَها من عبدِكَ داودَ» فهو حسن، فعَنِ ابْنِ عَبَّاس، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنِّى رَأَيْتُنِى اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّى أُصَلِّى خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ، فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِى، فَسَمِعْتُهَا وَهِىَ تَقُولُ: «اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِى بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّى بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِى عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّى كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاس: «فقرأ النَّبِىُّ ﷺ سَجْدَةً، ثُمَّ سَجَدَ» (أخرجه الترمذى فى سننه).

- حال المأموم مع سجود التلاوة: يسقط حكم سجود التلاوة عن المأموم الذى لم يسجد إمامه؛ لعدم جواز مخالفة الإمام إذا تركها، وتجب على المأموم إذا سجدها إمامه؛ لوجوب متابعة الإمام، والله أعلم.

صلاة جماعتين فى وقت واحد

ما حكم صلاة جماعتين فى مسجد واحد فى وقت واحد؟

الجواب: صورة إقامة جماعتين فى وقت واحد فى مسجد واحد من الأمور التى تحدث مشكلات بين الناس، والحكم فى ذلك يختلف باختلاف وجود إمام راتب أو ترتب فتنة ونحوه، فإن كان المسجد له إمام راتب ومؤذن، وقصد المصلون تفريق المسلمين بذلك وفتنتهم بعمل جماعة ثانية فى وجود الجماعة الأولى، فإن ذلك حرام، ومن الإساءة مع صحة صلاتهم، وإن لم يقصدوا ذلك ولم يتنبهوا لوجود جماعة أولى وصلوا فصلاتهم صحيحة بلا إثم، وينبغى السعى لما فيه اجتماع المسلمين لا لما فيه فرقتهم، والله تعالى أعلى وأعلم

من فاتته ركعتان مع الإمام فى صلاة العشاء

كيف يصلى من فاته ركعتان مع الإمام فى صلاة العشاء؟ هل يقضى الأولى والثانية، أو يتم الثالثة والرابعة ؟

الجواب: المقتدى: وهو من يصلى جماعة بصلاة إمامه إما أن يكون مدركًا، أو مسبوقًا، أو لاحقًا، فالمدرك: من صلى الركعات كاملة مع الإمام، أى أدرك جميع ركعات الصلاة معه، سواء أأدرك معه التحريمة أم أدركه فى جزء من ركوع الركعة الأولى إلى أن قعد بعضها معه القعدة الأخيرة، واللاحق: هو من فاتته الركعات كلها بعد اقتدائه بعذر، أو كغفلة وزحمة، وسبق حدث ونحوها، أو بغير عذر، والفرق بين اللاحق والمسبوق: أن المسبوق تفوته ركعة أو أكثر من أول الصلاة، واللاحق تفوته ركعة أو أكثر من آخر الصلاة أو وسطها.

والمسبوق - وهو موضع السؤال - هو من سبقه الإمام ببعض ركعات الصلاة أو بجميعها، أو هو الذى أدرك الإمام بعد ركعة أو أكثر.

وحكمه: أن المسبوق إذا تخلف فى صلاته بركعة أو أكثر فإنه يتبع إمامه فيما بقى من الصلاة، ثم يأتى بما فاته من صلاته، فلو أدرك الإمام رافعًا من الركوع حين كبر للإحرام لم يأت بدعاء الاستفتاح ، بل يقول: سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد... إلى آخره؛ موافقة للإمام، وإن أدركه فى القيام وعلم أنه يمكنه دعاء الاستفتاح والتعوذ والفاتحة أتى به، ويستحب للمسبوق ألا يقوم ليأتى بما بقى عليه إلا بعد فراغ الإمام من التسليمتين، فإن قام بعد فراغه من التسليمة الأولى جاز؛ لأن الإمام خرج من الصلاة بالأولى، فإن قام قبل شروع الإمام فى التسليمتين بطلت صلاته.

وذهب جمهور الفقهاء إلى أن المسبوق إذا أدرك الإمام فى الركوع فقد أدرك الركعة؛ لقوله ﷺ: «من أدرك الركوع فقد أدرك الصلاة» (أخرجه البخارى فى صحيحه).

توصيف ما يأتى به المسبوق من ركعات بعد سلام الإمام: ذهب الشافعية، وهو المفتى به إلى أن ما أدركه المسبوق مع الإمام فهو أول صلاته، وما يفعله بعد سلام إمامه فهو آخرها؛ لقوله ﷺ: «فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا» (أخرجه البخارى فى صحيحه)، وإتمام الشىء لا يكون إلا بعد أوله، وعلى ذلك إذا أدرك ركعة من المغرب مع الإمام تشهد فى الثانية، يقول الإمام النووى - رحمه الله تعالى - فى «المجموع شرح المهذب» (٤/٢٢٠): (مذهبنا أن ما أدركه المسبوق فهو أول صلاته وما يتداركه بعد سلام الإمام آخر صلاته، فيعيد فيه القنوت).

وذهب الحنفية والحنابلة إلى أن ما أدركه المسبوق مع الإمام فهو آخر صلاته قولا وفعلا، وذلك لما رواه أبو هريرة عن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - قال: «إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ، فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ، فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ، فَاقْضُوا» (أخرجه أحمد فى مسنده)، فقد قال السرخسى الحنفى فى «المبسوط» (١/ ١٩٠): (ثم ما يصلى المسبوق مع الإمام آخر صلاته حكما عند أبى حنيفة وأبى يوسف - رحمهما الله تعالى -، وعند محمد - رحمه الله تعالى - فى القراءة والقنوت هو آخر صلاته)، وقال ابن مفلح الحنبلى فى «الفروع» (٢/ ٤٣٧): (وما يدركه آخر صلاته، وما يقضيه أولها فى ظاهر المذهب).

وذهب المالكية ومحمد من الحنفية إلى أن المسبوق يقضى أول صلاته فى حق القراءة وآخرها فى حق التشهد، وذلك عملا برواية: «وما فاتكم فاقضوا»؛ لكنه بانٍ على صلاته فى حق الفعل عملا برواية: «وما فاتكم فأتموا»، وذلك تطبيقا لقاعدة الأصوليين: «إذا أمكن الجمع بين الدليلين جمع»، فحملوا رواية الإتمام على الأفعال، ورواية القضاء على الأقوال، فقد جاء فى «شرح مختصر خليل» للخرشى المالكى (٢/ ٤٦): (ص) وقضى القول وبنى الفعل (ش) يعنى أن المسبوق إذا أدرك بعض صلاة الإمام، وقام لإكمال ما بقى من صلاته بعد سلام الإمام، فإنه يكون قاضيا فى الأقوال بانيا فى الأفعال، والقضاء عبارة عن جعل ما فاته قبل الدخول مع الإمام أول صلاته وما أدركه آخر صلاته، والبناء عبارة عن جعل ما أدركه معه أول صلاته وما فاته آخر صلاته).

والأمر على السعة فيجوز للمسلم الإتمام كما ذهب الشافعية، أو القضاء كما ذهب الحنفية والحنابلة، أو الجمع بينهما كما ذهب إلى ذلك المالكية، وإن كان الأيسر هو ما ذكر أولا مما ذهب إليه الشافعية، والصلاة صحيحة فى جميع الأحوال، والله تعالى أعلى وأعلم

صلاة الوتر وعدد ركعاتها وكيفية صلاتها

قال الله تعالى:

إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا

النساء: 103

ما صلاة الوتر؟ وما عدد ركعاتها وكيفية صلاتها؟ وماذا يفعل لو أراد أن يصلى المسلم بعد الوتر؟

الجواب: الوتر: صلاة تفعل ما بين صلاة العشاء وطلوع الفجر تختم بها صلاة الليل، سميت بذلك لأنها تصلى وترا، ركعة واحدة، أو ثلاثًا، أو أكثر، ولا يجوز جعلها شفعًا، والوتر سنة مؤكدة، وليس واجبا على الصحيح.

وأما عن كيفية صلاة الوتر فذلك حسب عدد ركعاته، فالمصلى إما أن يوتر بركعة، أو بثلاث، أو بأكثر: فإن أوتر المصلى بركعة ركع وسجد وتشهد فيها وسلم، وإن أوتر بثلاث يجوز له أن يصلى الثلاث ركعات متصلات بتشهد واحد، ويجوز أن يصليها بتشهد بعد الثانية من غير تسليم، وتشهد بعد الثالثة، وذلك كالمغرب، ويجوز له الفصل بينها فيصلى ركعتين، ثم يسلم ويصلى ركعة، وكل هذه الصور صحيحة.

إذا صلى المسلم الوتر، ثم أراد أن يصلى بعد ذلك فله عند الفقهاء طريقتان:

الطريقة الأولى: أن يصلى شفعًا ما شاء، ثم لا يوتر بعد ذلك، وعليها الجمهور.

والطريقة الثانية: وعليها القول الآخر عند الشافعية: أن يبدأ نفله بركعة يشفع بها وتره، ثم يصلى شفعًا ما شاء ثم يوتر، وذلك جمعا بين الحديث الذى ينهى عن وترين فى ليلة، والحديث الذى يأمر أن تكون آخر الصلاة من الليل وترًا، قال النووى فى «المجموع شرح المهذب» (٤/ ١٥): (إذا أوتر قبل أن ينام ثم قام وتهجد لم ينقض الوتر على الصحيح المشهور، وبه قطع الجمهور، بل يتهجد بما تيسر له شفعًا، وفيه وجه حكاه إمام الحرمين وغيره من الخراسانيين: أنه يصلى من أول قيامه ركعة يشفعه، ثم يتهجد ما شاء، ثم يوتر ثانيًا، ويسمى هذا نقض الوتر).

والله تعالى أعلى وأعلم.

الحوالة (٢)

يجيب عنها: د/سيف رجب قزامل*

السؤال: ما دليل مشروعية الحوالة؟

١ ـ من السنة: ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مطل الغنى ظلم فإذا أتبع أحدكم على ملىء فليتبع» بإسكان التاء فى الموضعين (أى فليحتل) كما رواه هكذا البيهقى، وفى رواية فليتبع بالتشديد (البخارى ومسلم)، وفى رواية: «ومن أحيل على ملىء فليتبع» والمعنى إذا أحيل أحدكم على ملىء، أى قادر على السداد فليحتل، تبعت الرجل أتبعه تباعًا فأنا تبيع، إذ طلبته، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾ (الإسراء: ٦٩).

هل الأمر فى الحديث الشريف للوجوب أم الندب؟ يرى بعض العلماء أنه للوجوب، إذ الأصل فى الأمر للوجوب (أهل الظاهر وأكثر الحنابلة وأبو ثور، وابن جرير).

والجمهور على أن الأمر على الاستحباب، لأن أهل الملاءة قد يكون فيهم اللدد فى الخصومة، والمطل بالحقوق أيضًا، وهو ضرر لا يأمر الشرع بتحمله، وإنما يأمر بالتباعد عنه واجتنابه.

جاء فى مغنى المحتاج للشيخ/ محمد الشربينى الخطيب من فقهاء الشافعية (مغنى المحتاج ٢/١٩٣)، إثر بيانه لدلالة الحديث الشريف: «مطل الغنى ظلم فإذا أتبع أحدكم على ملىء فليتبع» ويسن قبولها على ملىء لهذا الحديث، وصرفه عن الوجوب القياس على سائر المعاوضات (أى فى عدم وجوبها) وخبر لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه (ويعتبر فى الاستحباب) كما بحثه الأذرعى أن يكون الملىء وافيًا، ولا شبهة فى ماله(١).

ومن ثم فالأمر مرجعه إلى المحال (الدائن) بحسب رغبته ورضاه، خاصة إذا كان الدائن لا يعرف حال المحال عليه، فالأمر على الإباحة اتباعًا للسنة الشريفة.

والمطل أى التأخير فى سداد ما استحق أداؤه بغير عذر، والمماطل بفعله هذا قد ظلم نفسه، وظلم غيره، إذ يرى جمهور الفقهاء أن فعله هذا موجب للفسق، ولا يدرى المماطل فقد يموت وعليه الدَّين، فتبقى نفسه محبوسة بدينه فى قبره، لا يعرف منزلته عند الله حتى يقضى عنه الدين، كما ثبت فى السنة الشريفة، وهو لا يدرى هل الورثة حريصون على سداد دينه أم لا؟ وقد رأينا الرسول ﷺ كان يمتنع عن الصلاة على الصحابى الذى مات وعليه دين، عن جابر قال: «كان النبى ﷺ لا يصلى على رجل مات وعليه دين، فأتى بميت فسأل: عليه دين؟ قالوا: نعم، ديناران، قال: «صلوا على صاحبكم» فقال أبو قتادة: هما علىّ يا رسول الله، فصلى عليه، فلما فتح الله على رسوله قال: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فمن ترك ديناراً فعلى، ومن ترك مالاً فلورثته(٢)، وفى الحديث أيضًا: «نفس المؤمن مرتهنة بدينه حتى يقضى عنه».

وذلك لعظم الدَّين، والاهتمام بأدائه فى موعده؛ لأنه حق العبد، وحقوق العباد مبناها على المشاحة، أى أن الشخص يكون حريصًا على ماله، لا يخرج من ماله شىء إلا برضاه، بل وربما يشح بما أوجبه الشرع، ومن ثم لا بد من الحصول على هذا الإذن والسماحة، أما حقوق الله فمبناها على المسامحة والعفو، وهذا ما يليق بجناب الله ـ سبحانه وتعالى.

٢ ـ كما دل الإجماع من العلماء على مشروعية الحوالة، وسند الإجماع فى ذلك السنة الشريفة، وذاع الإجماع وانتشر فى سائر الأمة الإسلامية(٣).

يوضح ابن القيم فى (إعلام الموقعين ٢/١٠) جريان القياس فى الحوالة: أن الحوالة من جنس إيفاء الحق لا من جنس البيع، فإن صاحب الحق إذا استوفى من المدين ماله، كان هذا استيفاء، فإذا أحاله على غيره كان قد استوفى ذلك الدين عن المدين الذى فى ذمة المحيل؛ ولهذا ذكر النبى ﷺ الحوالة فى معرض الوفاء، فقال فى الحديث الصحيح: «مطل الغنى ظلم، وإذا أتبع أحدكم على ملىء فليتبع»، فأمر المدين بالوفاء، ونهاه عن المطل، وبين أنه ظلم إذا مطل، وأمر المدين بقبول الوفاء إذا أحيل على ملىء، وهذا كقول الله تعالى: ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة: آية ١٧٨)... إلخ.

هذا وبالله التوفيق،،

الهوامش:

١ ـ انظر سبل السلام للشوكانى ٣/١٨٨ حديث رقم ٨٢٤.

٢ ـ نيل الأوطار ٥/٣٥٧.

٣ ـ المرجع السابق: نيل الأوطار ٥/٣٥٦.

* الأستاذ بجامعة الأزهر.

نافذة على القراء

يحرره ـ أحمد حسن

جمهورية مصر العربية
القاهرة
مجلة منبر الإسلام
٩ شارع النباتات - جاردن سيتي - القاهرة

ذكر الله شفاء

ذكر الله تعالى شفاء من كل داء.. ذلك لأن الشفاء من الأدواء لا يتحقق إلا بإرادة الله تعالى، فمن شاء أن يشفيه الله تعالى فعليه بذكر الله تعالى، قال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة: ١٥٢).

وفى الحديث القدسى الصحيح يقول تعالى: «من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه».

إن ذكر الله تعالى هو الأفضل بين الأعمال لأنه يدخل فى كل عمل صالح!

ولقد روى الإمام البخارى فى صحيحه قوله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل أعمالكم وأرفعها فى درجاتكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربون رقابهم ويضربون رقابكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله عز وجل».

والصلاة ذكر، والزكاة ذكر، والصوم ذكر، والحج ذكر، والثناء ذكر، وتلاوة القرآن ذكر، وكل عمل صالح ذكر، لأنه لا يتم إلا باستحضار «اسم الله العظيم».

ولهذا كان طبيعيا أن تطمئن قلوب المؤمنين بذكر الله تعالى، وقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

فاحرص أخا الإسلام على ذكر الله بالعشى والإبكار حتى تسعد فى دنياك وفى أخراك طوال حياتك كلها.

خيرى محمد إبراهيم أبو الروس ـ كفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ.

عزيزى القارئ: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾، هذه حقيقة أبدية لأن الله سبحانه وتعالى رؤوف رحيم غفور، وهو المتفضل على عباده بالقرآن الكريم، وقد جعله سبحانه وتعالى شفاء لما فى الصدور وهداية لكل حائر وملاذ لكل تائب، وقد اختص ذاته العليا بالرحمة والمغفرة فهو أكثر رحمة بالرضيع من أمه، وهو أقرب للإنسان من حبل الوريد، وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وقال أيضا: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

فبالعمل الصالح والاعتماد على الله وذكر الله دوما تصح العقيدة وتطمئن القلوب وتستريح من أعباء الدنيا.

سلامة القلب فى صحة العقيدة

العقيدة الصحيحة هى أصل الدين الإسلامى، كما جاءت بالكتاب والسنة توضح الأعمال المقبولة والأقوال السليمة المقبولة عند الله سبحانه وتعالى، وهذا يؤدى إلى سلامة القلب والعقل ويؤدى إلى الجنة بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٥)، والعقيدة الصحيحة تؤكد على

الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، أمور ستة بيَّنها القرآن الكريم قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، إيمان بالله ينير القلب ويغذيه بنور الإيمان ويقوى البصر والبصيرة، والإنسان محتاج لله والله ليس محتاجا لأحد من خلقه، فالله الحق المستحق وحده بالطاعة والعبادة والشكر والحمد لأنه الخالق المحسن لخلقه القائم بأرزاقهم، المحيى المميت المعز المذل، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ • مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ • إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٦: ٥٨). وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ • أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر: ٢، ٣) بمعنى يستحى الإنسان من الله فلا يعصاه، فيحسن فى العبادة والعمل والقول، ويؤدى أركان الإسلام الخمسة دون كسل أو ملل، بل بحب وتمتع وتقرب إلى الله، ويؤمن بأن الإنسان راجع إلى الله لا محالة راجع للحساب العسير الشديد للكافرين كما علمنا الرسول الكريم بقوله: «اللهم اجعل حسابى يسيرا وآتنى كتابى بيمينى»، وأن يؤمن المؤمن بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى الواردة فى كتابه الكريم والثابتة عن رسول الله الكريم قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى ١١). والإيمان بأن من أحسن فقد أحسن لنفسه ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت ٤٦).

القارئ: محمد أحمد الديب ـ فوه ـ محافظة قنا.

عزيزى القارئ: علمنا رسول الله ﷺ أن فى الجسد مضغة إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب. والقلب هو موضع الإيمان وأداته فلو كان سليما صحيحا رحيمًا يتمكن صاحبه من ترسيخ العقيدة الصحيحة التى تدخله الجنة وتنجيه من نار جهنم وهى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

نبتهل إلى الله العلى القدير أن يطهر قلوبنا وأن يجعلها عامرة دائما بحب الله ورسوله وأن يجعلنا وإياكم من الفائزين برحمته ومغفرته يوم لا ظل إلا ظله، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الإمام محمد عبده.. المجدد المصلح

يُعد «الإمام محمد عبده» واحداً من أبرز المجددين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث، وأحد دعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة: فقد أسهم بعلمه ووعيه واجتهاده في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لعدة قرون، كما شارك في إيقاظ وعي الأمة نحو التحرر، وبعث الوطنية، وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العلم، ومسايرة حركة المجتمع وتطوره في مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية. وقد تأثر به العديد من رواد النهضة مثل عبدالحميد بن باديس ورشيد رضا وعبدالرحمن الكواكبي.

ولد محمد بن عبده بن حسن خير الله سنة ١٢٦٦هـ الموافق ١٨٤٩م في قرية محلة نصر بمركز شبراخيت في محافظة البحيرة، لأب تركماني وأم مصرية تنتمي إلى قبيلة (بني عدي) العربية.

في سنة ١٨٦٦م التحق بالجامع الأزهر، وفي سنة ١٨٧٧م حصل على الشهادة العالمية، وفي سنة ١٨٧٩م عمل مدرسا للتاريخ في مدرسة دار العلوم وفي سنة ١٨٨٢م إلى ١٨٨٦م اشتغل بالتدريس في المدرسة السلطانية، وفي سنة ١٨٨٩م عين قاضيا بمحكمة بنها، ثم انتقل إلى محكمة الزقازيق ثم محكمة عابدين ثم ترقى إلى منصب مستشار في محكمة الاستئناف عام ١٨٩١م، وفي ٣ يونيو عام ١٨٩٩م/ ٢٤ المحرم ١٣١٧هـ صدر مرسوم خديو وقعه الخديو عباس حلمي الثاني بتعيين الشيخ محمد عبده مفتيّا للديار المصرية، وتبعا لذلك أصبح عضوا في مجلس الأوقاف الأعلى، وفي ٢٥ يونيو عام ١٨٩٠م عين عضوا في مجلس شورى القوانين، وفي سنة ١٩٠٠م/١٣١٨هـ أسس جمعية إحياء العلوم العربية لنشر المخطوطات، وزار العديد من الدول الأوروبية والعربية.

أهم مؤلفاته:

رسالة التوحيد، تحقيق وشرح «البصائر القصيرية للطوسي، شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، تقرير إصلاح المحاكم الشرعية سنة ١٨٩٩م، العروة الوثقى مع معلمه جمال الدين الأفغاني.

وفاته:

في يوم ١١ يوليو عام ١٩٠٥م/ ٧ جمادى الأولى ١٣٢٣هـ توفي الشيخ بالإسكندرية بعد معاناة من مرض السرطان عن سبع وخمسين سنة، ودفن بالقاهرة ورثاه العديد من الشعراء.

أحمد أبو الوفا صديق.

عزيزي القارئ: أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على رسولنا محمد ﷺ دستورا أبدياً كاملا شاملا للإسلام والمسلمين ينظم حياتهم وعباداتهم وشئون دينهم ودنياهم والله تعالى يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: ٣٨).

فالقرآن الكريم أُنزل كافيا صالحا لكل مكان وزمان ولكن آياته المحكمات تحتاج إلى التفسير والتوضيح بشكل يتلاءم مع واقع العصر وطبيعة تطوره مع الحفاظ على ثوابت الدين القيم، وهذا ما يقوم به علماء وفقهاء الدين الأجلاء الفضلاء من أمثال الإمام الجليل فضيلة الشيخ محمد عبده - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته -.

قبور الصالحين فى سفح المقطم

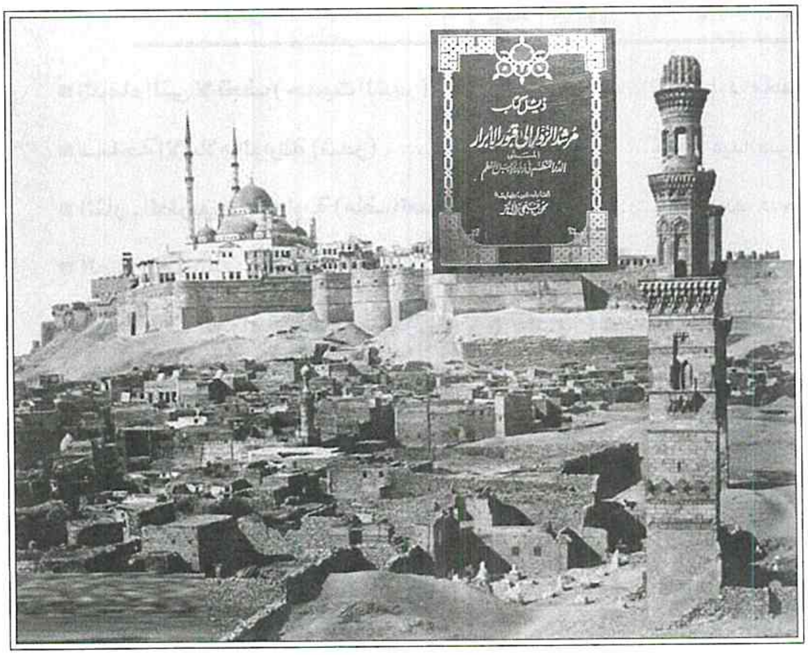

وفق الله عمرو بن العاص رضي الله عنه فأسس مدينة الفسطاط عام ٢١هـ، ومنذ ذلك الحين صار سفح جبل المقطم فى شرقها مقبرة لموتى المصريين. وأضاف الأمير أبو عون والى العباسيين إليها مدينة العسكر عام ١٣٥هـ ثم زاد اتساعها بتأسيس مدينة القطائع فى عام ٢٥٦هـ على يد أحمد بن طولون واتصلت المدن الثلاث وصار يطلق عليها مدينة الفسطاط.

وفى عام ٣٥٨هـ أسس جوهر الصقلى قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى مدينة القاهرة، وسرعان ما انتشر العمران خارج القاهرة وما بينها وبين الفسطاط وفيما بين عامى ٥٧٢، ٥٧٩هـ شرع صلاح الدين الأيوبى فى تشييد سور عظيم ضم كلا من القاهرة والفسطاط وما حولهما من عمران واتحدت جميعها لتكون أخيرا مدينة واحدة هى القاهرة عاصمة مصر المحروسة حتى اليوم.

وعلى حين اتسع العمران نحو الشمال والغرب فقد ظل سفح المقطم فى الشرق جبانة لأهل القاهرة ويرجع حرص سكانها إلى اتخاذها قرافة لهم إلى عامل روحى علاوة على العامل الجغرافى المتمثل فى صلاحية الموقع وطبيعة الأرض.

ويقول الإمام العارف موفق الدين بن عثمان مؤلف كتاب «مرشد الزوار إلى قبور الأبرار» والمسمى (الدر المنظم فى زيارة الجبل المقطم): «إذا أردت أن تعرف شرف الأرض فانظر إلى المدفونين بها».. ويقول الإمام الجليل عبدالله بن وهب المولود فى مصر وهو من أصحاب الإمام مالك «قُبرَ فى المقطم ممن عرف من أصحاب رسول الله ﷺ خمسة نفر: عمرو بن العاص السهمى، عبدالله بن الحارث، عبدالله بن حذافة، أبو نصرة الغفارى، وعقبة بن عامر الجهنى، ومن الأشراف: نفيسة بنت الحسن بن زيد - رضى الله عنها - والشريفة فاطمة والشريف الهاشمى وابنته السيدة زينب والأشراف من آل طباطبا والشريف حيدر، ويحيى الشبيه بن القاسم الطيب وأخوه عبدالله وزوجة القاسم الطيب أم يحيى الشبيه وكانت من الزاهدات العابدات وغيرهم. ومن الأئمة والفقهاء: الإمام الليث بن سعد والإمام الشافعى، وعبدالله بن الحكم، والمزنى، وأشهب وعبدالرحمن بن القاسم والبويطى والطحاوى.. وغيرهم».

شعبان عبدالعال إبراهيم خليفة
المنيا - بنى حسن - الشروق

عزيزى القارئ: نتفق معك فى أن خيرة قبور العديد من الصالحين يرقد في سفح جبل المقطم؛ لأنه يضم فى ثراه الشريف الطيب العديد من أصحاب رسول الله ﷺ، والأشراف والأئمة والفقهاء والعباد والزهاد والصوفية والقضاة والصالحين وقراء القرآن الكريم طيب الله ثراهم جميعا وألحقنا بهم فى دار الخلد مع الأبرار والصديقين والشهداء والصالحين يوم يقوم الحساب.

محتـــويات مجلــــة منـــبر الإســــلام «جمادى الآخرة» ١٤٣٧هـ

■ الدماء التى لا تجف (حديث الشهر) .... أ. د. محمد مختار جمعة - وزير الأوقاف ... ١

■ سماحة الإسلام الوارفة (شعر) .... عبدالغنى أحمد ناجى ٤

■ الثأر.. الطريق إلى الهاوية (ملف العدد) .... إعداد: د. حسن أحمدخليل ـ محمد كامل شاهين ٥

■ الصلح تجارة مع الله .... د. أحمد عبداللطيف الكلحى ٣٦

■ حرمة إراقة الدماء فى الشريعة الإسلامية .... د. محمد مبارك البندارى ٤٢

■ أخبار ولقاءات .... محمد سيد أحمد علىَ الدين ٤٦

■ مفاهيم يجب أن تصحح (ندوة) ٥٢

■ مصر كنانة الله فى أرضه .... د. عبدالفتاح مصطفى غنيمة ٥٥

■ نظرات بيانية فى الكلمة القرآنية (٨٤) .... د. طه مصطفى أبو كريشة ٥٨

■ التفسير اللغوى للقرآن الكريم (٥٢) .... د. عبدالغفار حامد هلال ٦٢

■ من تراث «منبر الإسلام» براعة الاستهلال وروعة الأساليب فى فواتح سور القرآن الكريم أ. د. عبدالغنى الراجحى (يرحمه الله) ٦٦

■ فى عرس مصر الثقافى.. (تغطية لمعرض الكتاب) .... إعداد: محمد كامل شاهين ٧٢

■ تجليات الرحمة فى أسمى مظاهرها .... د. طه عبدالسلام خضير ٧٥

■ مكانة الرسول ﷺ فى نظر المنصفين من المستشرقين .... د. أحمد عمر هاشم ٨٠

■ حكم إتلاف المال العام .... د. صبرى عبدالرؤوف ٨٣

■ الأمانة ضلع صناعة الحضارات وانهيارها .... فريد إبراهيم ٨٦

■ حقوق كفلها الإسلام للمرأة .... المستشار: حسن حسن منصور ٨٩

■ العقوق .... د. عبدالفتاح محمود إدريس ٩٤

■ بروا آباءكم تبركم أبناؤكم .... محمود الإمامى ٩٨

■ خطب الجمعة لشهر جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ ١٠١

■ الإسلام والطب .... د. عامر يس النجار ١٢٥

■ نافذة على اليابان .... د. أحمد فاروق الهلباوى ١٢٨

■ شروط المفسر وآدابه .... د. محمد نبيل غنايم ١٣٠

■ فاسألوا أهل الذكر .... د. شوقى علام (مفتى الجمهورية) ١٣٤

■ فتاوى منوعة .... يجيب عنها: د. سيف رجب قزامل ١٣٩

■ نافذة على القراء .... يحرره: أحمد حسن ١٤٠

■ محتويات العدد ١٤٤

إصدارات
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

صوت الإسلام الوسطى

مع الباعة وفى الأسواق

- ترجمات معانى القرآن الكريم باللغات الأجنبية
- الموسوعات الإسلامية
- سلسلة قضايا إسلامية
- سلسلة دراسات إسلامية
- كتب التراث الإسلامى
- مجلة منبر الإسلام
- مجلة الفردوس (مجلة كل الأطفال)

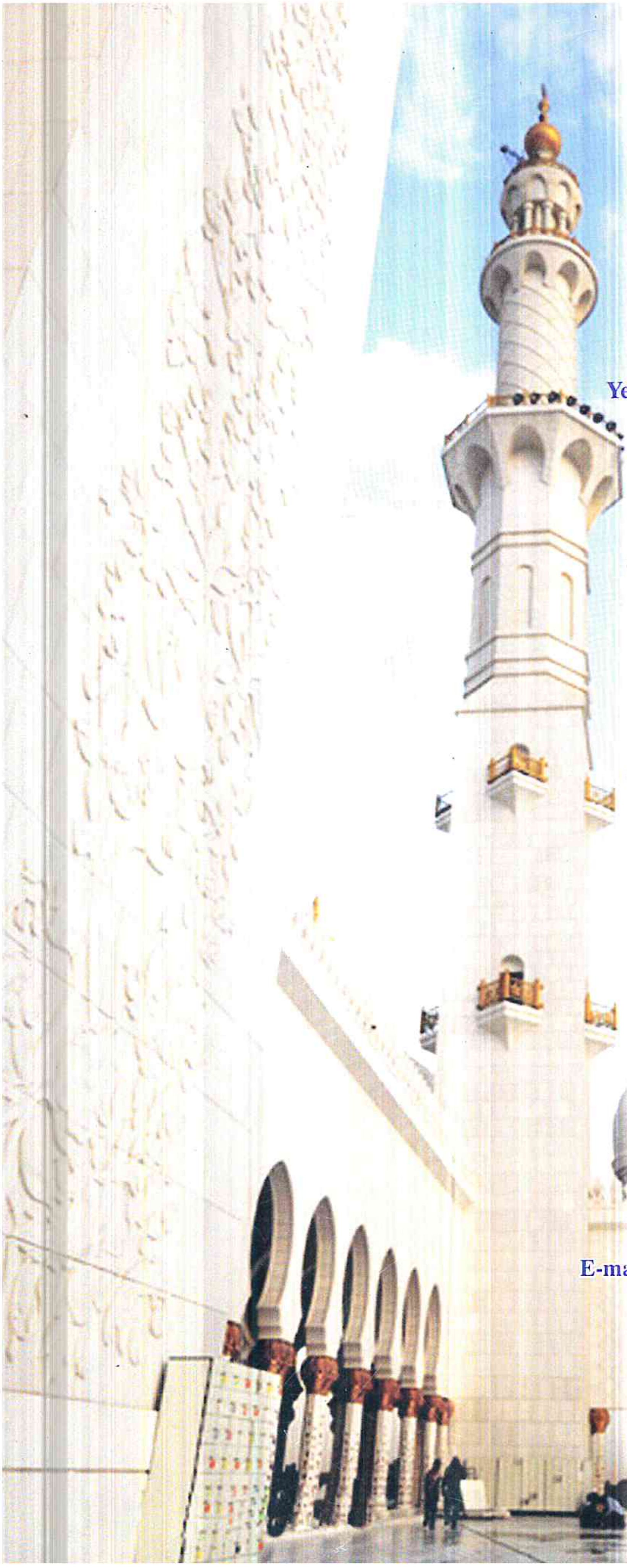

MINBAR AL-ISLAM

Year (75), Vol. (6), Jumada al-Akhera, 1437 H.
March 2016 - Price: EGP 2:00

Issued by
Ministry of Al-Awqaf
The Supreme Council for Islamic Affairs

Chairman
Prof. Dr. Mohamed Mukhtar Gomaa
Minister of Al-Awqaf & President of
The Supreme Council for Islamic Affairs

Editor-in-Chief
Prof. Dr. Ahmed Ali Ageeba
Secretary General
The Supreme Council for Islamic Affair

E-mail Address: islamic_council_eg@yahoo.com

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر